مجلة سنوية مُحكَّمة، مُتخصصة في الدراسات الأثرية والترميم، تصدر عن كلية الآثار والسياحة - جامعة المرقب

لبـدة الكبرى

العدد الثالث – أبريل – 2018 م

لبدة الكبرى العدد الثالث – أبريل 2018 م
LEPTIS MAGNA Issue No. 3 April 2018

An International Refereed Annual Journal in Archaeology and Conservation issued by the Faculty of Archaeology and Tourism

LEPTIS MAGNA

Issue No. 3, April, 2018

لبدة الكبرى

العدد الثالث – أبريل 2018م
كلية الآثار والسياحة/جامعة المرقب
الخمس - ليبيا

مجلة لبدة الكبرى

هيأة التحرير:

د. جمال أحمد الموبر	رئيس التحرير
أ. محمد مصطفى الخازمي	سكرتير التحرير
د. مصطفى عثمان الحوات	عضواً
د. حميدة محمد إكتيبي	عضواً

اللجنة الاستشارية:

أ.د. محمد عبد الله القطوس

أ.د. علي مسعود البلوشي

أ.د. عبد الله أحمد المحمودي

محتوى الأبحاث يعبر عن وجهات نظر أصحابها، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

لبدة الكبرى

العدد الثالث – أبريل 2018 م

جامعة المرقب – ليبيا

جامعة المرقب – بيانات الفهرسة

لبدة الكبرى، ع 3 (أبريل 2018م) – الخمس ، ليبيا: جامعة المرقب © 2018م

مجلة سنوية مُحكَّمة، مُتخصصة في الدراسات الأثرية والترميم، تصدر عن كلية الآثار والسياحة – جامعة المرقب

1- الآثار الكلاسيكية – دوريات 2- الآثار البيزنطية – دوريات 3- الآثار الإسلامية – دوريات 4- ترميم الآثار – دوريات

© جامعة المرقب – الخمس ، ليبيا 2018 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (ليبيا) – جامعة المرقب – الإدارة العامة – الخمس

قرار رئيس الجامعة رقم (128) لسنة 2014م بتاريخ 23 فبراير 2014 م

رقم الإيداع: 2018/74 (دار الكتب الوطنية – بنغازي)

Email: / leptismj@elmergib.edu.ly

موقع المجلة على الانترنت: **http://lasj.elmergib.edu.ly/index.htm**

يحظر إعادة نسخ أجزاء من المواد الواردة بالمجلة أو إنتاجها، كلياً أو جزئيًّا، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري إلا بموجب إذن كتابي من جامعة المرقب.

قواعد النشر

1- يجب أن يتوفر في البحث التحصيل العلمي السليم، والمنهج العلمي في التناول والاستنتاج.

2- لا يجوز نشر البحوث التي سبق نشرها في مجلة أو دورية علمية أخرى.

3-تقدم المقالات من ثلاث نسخ ليتم تقييمها ومراجعتها، ويتم في ذلك اتباع قواعد النشر المنصوص عليها في *Chicago manual of style* مع إدخال بعض التعديلات التي ستذكر فيما يأتي.

التقديم النهائي للمقالات

1- يقدم النص النهائي بعد إجراء التعديلات التي تراها لجنة المراجعة العلمية وهيأة التحرير، على قرص ممغنط، مع استخدام برنامج الكتابة MS Word، وبنمط 12 للغات الأجنبية، وبنمط 14 للغة العربية.

2- تقدم نسخة مطبوعة على ورق A4، وتكون الكتابة على أحد الوجهين فقط، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور وهوامش كبيرة.

3 – يراعى عدم استخدام أنماط متعددة وأنماط مختلفة الحجم.

4 – لا يستخدم ألقاب مثل .Dr أو .Prof سواء في داخل النص أو الحواشي أو عند كتابة اسم المؤلف.

5- تكون جميع الأقواس هلالية مثل: (   )

6- تستخدم علامات التنصيص المفردة دائما مثل ‘   ’

7- يجب تجنب استخدام العلامات الحركية عند كتابة كلمات عربية باللغة الإنجليزية.

8- تكتب أرقام القرون والأسرات بالحروف، مثل: القرن الخامس، الأسرة الثامنة عشرة.

9- تستخدم الشرطة الصغيرة بين التواريخ أو أرقام الصفحات (120-130)

البنط

1.يستخدم الخط simplified Arabic 14 للنص و simplified Arabic bold 16 للعنوان.

2.يتم تزويد هيأة التحرير بأي نوع من الخط غيرالقياسي أوالتقليدي على قرص ممغنط منفصل.

الحواشي السفلية

1-تكتب الحواشي حواشيَ ختاميةً في صفحات مستقلة ملحقة بالنص،وتترك مسافة مزدوجة بين السطور.

2- تكون أرقام الحواشي مرتفعة عن مستوى السطر ولا توضع بين قوسين.

3- لا يتضمن عنوان المقال أية إشارة إلى حاشية، وإذا كان هناك احتياج لإدراج حاشية بغرض

تقديم الشكر وما إلى ذلك يوضع فى العنوان علامة النجمة* وتكون قبل الحاشية قبل رقم 1.

الملخص

1- يقدم ملخص (بحد أقصى 150 كلمة) وذلك فى مقدمة المقال، ويستخدم الملخص في استرجاع المعلومات، ويكتب بحيث يمكن فهمه إذا ما تمت قراءته منفصلا عن نص المقال.

2- تقدم ترجمة للملخص (بحد أقصى 150 كلمة) باللغة العربية بالنسبة للأبحاث المكتوبة باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وملخص باللغة الإنجليزية في حالة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية.

الاختصارات

1- بالنسبة لاختصارات أسماء الدوريات والحوليات يتبع في ذلك:

- **اختصارات :**

Bernard Mathieu, *Abréviation des périodiques et collections en usage a l'IFAO*, 4éme éd. (Cairo, 2003).

يمكن الحصول عليها من الموقع

**www.ifao.egnet.net*

2- يمكن استخدام الاختصارات الخاصة بعد أن تذكر بالكامل في العناوين التي يشار إليها كثيرا فى المقالات الفردية، ويمكن أيضا استخدام الصيغ المقبولة (المتعارف عليها)، مثل القاموس الطوبوغرافي MOSS & Porter يكتب PM (بخط غير مائل). وتكتب المراجع الأخرى كالآتي:

- **مقال في دورية يكتب المرجع أول مرة :**

اسم المؤلف، «عنوان المقالة»، **عنوان الدورية** رقم المجلد، رقم العدد (التاريخ)، رقم الصفحة أو الصفحات.

محمد عبد الستار عثمان، «دور المسلمين في صناعة الأقلام»، **دراسات أثرية إسلامية** المجلد الرابع، (القاهرة 1991م)، 172-194.

وإذا تكرر يكتب :

عثمان، «دور المسلمين في صناعة الأقلام»، 175.

J. D. Ray, 'The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382', *JEA* 85 (1999), 190.

وإذا تكرر يكتب:

Ray, JEA 85, 190.

- **مقال أو فصل في كتاب لعدة مؤلفين :**

I. Mathieson, 'Magnetometer Surveys on Kiln Sites at Amarna', in B. J. Kemp (ed.), *Amarna Reports* VI, *EES Occasional Publications* 10 (London, 1995), 218-220.

وإذا تكرر يكتب:

Mathieson, in Kemp (ed), *Amarna Reports* VI, 218-220.

- **الكتب العلمية**

مؤلف واحد

اسم المؤلف بالترتيب الطبيعي، **العنوان**، إعداد اسم المعد، ترجمة اسم المترجم، الطبعة، رقم المجلد، السلسلة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر): رقم الصفحة أو الصفحات.

حسني نويصر ، **الآثار الإسلامية** (القاهرة: نهضة الشرق، 1996) ، 92.

وإذا تكرر يكتب :

نويصر ، **الآثار الإسلامية** ، 94-96.

E. Strouhal, **Life in Ancient Egypt**, (Cambridge, 1992), 35-38.

وإذا تكرر يكتب :

Strouhal, **Life in Ancient Egypt**, 35-38.

مؤلفان اثنان – ثلاثة مؤلفين

تكتب أسماء المؤلفين بحد أقصى ثلاثة مؤلفين على الترتيب:

اسم المؤلف الأول، واسم المؤلف الثاني، واسم المؤلف الثالث، ثم تستكمل بقية البيانات كما ذكر للكتاب المؤلف الواحد

أحمد أمين، محمد عبد الودود، أحمد حسين، **العمارة العثمانية في اليونان**، (القاهرة: 2014)، ٩.

أكثر من ثلاثة مؤلفين

اسم المؤلف الأول وآخرون، وتستكمل بقية البيانات كما هو في حالة كتاب المؤلف الواحد

ماجد عثمان وآخرون، **السكان وقوة العمل في مصر: الاتجاهات والتشابكات والآفاق المستقبلية حتى عام ٢٠٢٠**، (القاهرة: ميريت، ٢٠٠٢)، ٢– ٥.

بدون مؤلف – بدون مكان نشر – بدون ناشر – بدون تاريخ نشر

العنوان، الطبعة، رقم المجلد، السلسلة (مكان النشر: تاريخ النشر): الصفحة أو الصفحات.

دور قديمة في دمشق، (د.م.، [١٩--])، 7.

- **سلسلة المطبوعات**

W. M. F. Petrie, Hyksos and Israelite Cities, **BSAE** 12(London,1906), 37 pl. 38. A, no. 26.

وإذا تكرر يكتب :

Petrie, Hyksos and Israelite Cities, 37 pl. 38. A, no. 26.

- **الرسائل العلمية**

محمد حمزة إسماعيل الحداد، **الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر**

العثماني923-213هـ/1517-1798م (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1990م)، 112.
وإذا تكرر يكتب :
الحداد، **الطراز المصري لعمائر القاهرة**، 120-125.
Joseph W. Wegner, The Mortuary Complex of Senwosrt III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos (Ph. D. Diss., University of Pennsylvania, 1996) 45-55.
وإذا تكرر يكتب :
Wegner, The Mortuary Complex of Senwosrt III, 45-55.

المواد الإلكترونية

- **الموقع الإلكتروني**

الأمم المتحدة، http://www.un.org/arabic /

- **الصفحة الإلكترونية**

سميحة فوزي، «سياسات الاستثمار ومشكلة البطالة في مصر»، **المركز المصري للدراسات الاقتصادية**، _
www.eces.org.eg/Downloads/ECESWP68.pdf

- عند الإشارة إلى دوريات على الإنترنت أو أسطوانات CD ، انظر الفصل الخاص بهذا في الكتاب: Chicago Manual of Style
- لا بد من ذكر اسم الكاتب كاملا وتفاصيل النشر الأخرى، بما في ذلك عنوان المقال بالكامل واسم السلسلة ورقم الجزء عند الإشارة إليه للمرة الأولى، أما بعد ذلك فيذكر اسم العائلة فقط ويذكر العنوان باختصار ، ويجب تجنب استخدام مصطلحات مثل : ibid, op.cit, loc.cit كما يجب الإشارة إلى رقم الصفحة بالتحديد وليس إلى المقال عمومًا.
- **المواد السمعية والمرئية (الفيديو، الأفلام، البث)**

اسم العمل، سنة الإصدار في البلد المُنتج. مادة التصميم، صاحب العمل (أو المخرج، يكتب لقب المخرج بحروف كبيرة)، تفاصيل الإنتاج (المكان، اسم المؤسسة أو المنظمة المنتجة)

- **مقدمة ابن خلدون**، 1999، كاسيت صوتي، أبو ظبي، المجمع الثقافي.
- **الناصر صلاح الدين**، 1963، كاسيت مرئي، إخراج يوسف شاهين، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للسينما.
- **الفقه وأصوله**، 1999، قرص مدمج، يوسف القرضاوي، سلسلة علماء الإسلام، القاهرة، الشركة الهندسية لتطوير نظم الحاسب.

Birds in the Garden, 1998, Video, London: Harper Videos.

- **البرامج، الحلقات المسلسلة**

اسم البرنامج أو المسلسل، رقم (أو اسم) الحلقة، المؤسسة أو المنظمة الناقلة للبث، اسم القناة، منتجة)، تفاصيل تاريخ وتوقيت البث.

العلم والإيمان، حلقة 59 (العقرب)، التلفزيون المصري، القناة الأولى المصرية، 2003.

Yes, Prime Minister, Episode 1, The Ministerial Broadcast, 1986, TV, BBC2, 16 Jan 1986.

المشاركات واللقاءات الشخصية في البرامج توثق باسم المشارك مثل:

T. BLAIR, 1997, Interview, In: **Six O'clock News**, TV, BBC1, 29 Feb 1997, 1823 hrs.

الصور

1- تقدم الصور والأشكال ممسوحة مسحاً ضوئياً بدقة 300 نقطة على الأقل، وتكون الصور محفوظة في ملفات نوع TIFF.

2- لا يزيد حجم الصور عن ثلث حجم البحث.

3- تقدم الصور على CD منفصل، ولا ترسل بالبريد الإلكتروني.

تعليقات الصور والأشكال

1- لا بد من التأكد من صحة التعليقات، وأن تكتب في ورقة منفصلة، وتكون المسافة بين السطور مزدوجة، وتقدم على قرص ممغنط مع النسخة النهائية للمقال.

2- لا بد أن تحمل الصور والرسومات المقدمة للنشر اسم الكاتب، ورقم الصورة، أو الشكل مكتوباً بوضوح على الخلفية أو على CD.

حقوق الطبع

1- تقع المسؤولية على كاتب المقال في الحصول على تصريح باستخدام مادة علمية لها حق الطبع، وهذا يشمل النسخ المصورة من مواد تم نشرها من قبل.

2- أصول البحوث والمقالات التي تصل إلى المجلة لا ترد أو تسترجع، سواء نشرت أم لم تنشر.

3- ترفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب.

تقدم المقالات في نسختين (مطبوعة، وإلكترونية) إلى :

رئيس تحرير مجلة لبدة الكبرى، كلية الآثار والسياحة – جامعة المرقب – ليبيا

بريد إلكتروني: leptismj@elmergib.edu.ly

المحتوى

تقديم	هيأة تحرير المجلة	
العائلات الثرية ودورها في إعمار مدينة لبدة الكبرى"عائلة طبحفي أنموذجًا	محمد علي الدراوي	11
الدرهم العباسي	جمال أحمد الموير	27
الخصائص النوعية للفنون الصخرية في ليبيا	محمد علي أبو شحمة	47
الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة العباسية والفاطمية	فتحية سليمان الصديق	74
توظيف الإنارة في العمارة وفق المنهج الإسلامي	فوزية الزرقاني فضل الله	87
الحمّام الكبير بمدينة طرابلس القديمة	الهام إبراهيم القرقني	107
من مدن جبل نفوسة "مدينة إتلثيين"	سعيد علي حامد	121
دراسة مقارنة بين مدينة غات الليبية وبعض مدن واحات مصر الغربية خلال العصر الإسلامي	ابراهيم سالم انويجى	132
ملامح الحياة الفكرية في مدينة تاهرت الرستمية (161-296هـ/777-908م)	محمد مصطفى المنتصر محمود عبد المجيد مجبر	158
دراسة تحليلية لطرز المنشآت التجارية في مدينة طرابلس خلال العصر العثماني	حنان سالم زريق	176
دراسة أضرار أثر أشكال التجوية الفيزيائية على مواد بناء المدينة القديمة طرابلس	ابوراوي مصطفى المرخية	207
المخطوطات والوثائق الليبية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي بمالي الوثائق الغدامسية أنموذجاً	نصر الدين العربي خالد مرشان	238
تقرير عن أعمال حصر وتوثيق النقوش بمدينة لبده الكبرى ابريل 2017م	فريق من أ. هـ.ت بكلية الآثار والسياحة –جامعة المرقب	265

تقديم

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم، ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا، أما بعد:

فيسعدنا ويشرفنا أن نقدم لقراء مجلتنا الكرام العدد الثالث حافلا كأخواته بموضوعاته المختلفة وعناوينه الشائقة التي حملت بين أسطرها كل ما هو ممتع ونافع بإذن الله جل في علاه في مجال الآثار الكلاسيكية والآثار الاسلامية، ويتضمن هذا العدد العناوين التالية (العائلات الثرية ودورها في إعمار مدينة لبدة الكبرى "عائلة طبحفي أنموذجًا، الدرهم العباسي، الخصائص النوعية للفنون الصخرية في ليبيا، الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة العباسية والفاطمية، توظيف الإنارة في العمارة وفق المنهج الإسلامي ، الحمّام الكبير بمدينة طرابلس القديمة، من مدن جبل نفوسة "مدينة إتلثيين"، دراسة مقارنة بين مدينة غات الليبية وبعض مدن واحات مصر الغربية خلال العصر الإسلامي ،ملامح الحياة الفكرية في مدينة تاهرت الرستمية ، دراسة تحليلية لطرز المنشآت التجارية في مدينة طرابلس خلال العصر العثماني ، دراسة أضرار أثر أشكال التجوية الفيزيائية على مواد بناء المدينة القديمة طرابلس ، تقرير عن أعمال حصر وتوثيق النقوش بمدينة لبده الكبرى ابريل 2017م).

وبمناسبة صدور هذا العدد الثالث من مجلة لبدة الكبرى لكلية الاثار والسياحة تتقدم هيأة التحرير بخالص الشكر للسادة المحكمين واللجنة الاستشارية والمدقق اللغوي للمجلة .

وإلى لقاء في العدد القادم إن شاء الله تعالى

هيأة تحرير المجلة

العائلات الثرية ودورها في إعمار مدينة لبدة الكبرى "عائلة طبحفي أنموذجاً"

محمد علي الدراوي
جامعة المرقب – ليبيا
Email/ madarawi@elmergib.edu.ly

الملخص/

تعد مدينة لبدة الكبرى من بين أهم مدن أفريقيا الرومانية، وقد أشارت العديد من النقوش الكتابية المكتشفة فيها إلى أنها شهدت خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي نهضة معمارية كبيرة، وإن الإنفاق على بناء تلك الصروح المعمارية وتزيينها أخذ أهمية كبيرة من قبل أبناء العائلات الثرية فيها، حتى إنهم ولمجهوداتهم تلك منحهم زعماء لبدة وشعبها ألقابًا تشريفية وفخرية، وكانت عائلة طبحفي من أبرز تلك العائلات وأشهرها، وأكثرها أهمية في مدينة لبدة إلى ما يقرب قرن من الزمن، ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، فقد تصدر عدد من أفرادها المناصب الإدارية والدينية العليا بالمدينة، مثل: القضاء، والكهانة، هذا كما يتضح من تلك النقوش ان أصول هذه العائلة من العنصر المحلي، وتأثروا بالحضارة البونية، ويظهر ذلك واضحًا من اتخاذهم أسماء بونية، غير أنه وبعد السيطرة الرومانية على المنطقة تأثروا بالحضارة الرومانية فترومنوا.

مقدمة

شهدت مدينة لبدة الكبرى خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي ازدهارًا اقتصاديًا كبيرًا، وقامت بها حياة حضرية مزدهرة، ولازال بوسعنا لحوظ ذلك في التوسع السريع للمدينة، والنشاط المعماري الذي شهدته من إقامة لصروح معمارية ضخمة، مثل: المسرح والسوق والحمامات والكلكيديكوم، والمعابد، وتزيين بعضها الآخر بالأعمدة الرخامية والأعمال النحتية، حتى أضحت من بين أهم مدن أفريقيا الرومانية وأكملها.

هذا وقد أشارت العديد من النقوش الكتابية المكتشفة في مدينة لبدة سواء النقوش البونية الجديدة منها أم اللاتينية أم ثنائية اللغة "بونية/لاتينية" إلى ان الإنفاق على بناء تلك الصروح أخذ أهمية كبيرة من قبل أبناء العائلات الثرية فيها، وان تشييدها جرى على نفقة وحساب بعضًا منهم، ولمجهوداتهم تلك مُنحوا ألقابًا تشريفية وفخرية من قبل زعماء لبدة وشعبها، مثل: مزين وطنه، ومحب الوئام، ومحب وطنه، ومحب مواطنيه.

وعليه ستتناول هذه الدراسة عائلة طبحفي، وهي واحدة من أهم تلك العائلات التي كان لها الدور الكبير والأبرز في الأنفاق والأشراف على أعمال الأعمار والتزيين بمدينة لبدة الكبرى، على الأقل من حيث الأكثر ظهورًا في النقوش الكتابية بالمدينة.

تعد عائلة طبحفي "תבחפי" –الاسم كما ورد في النقوش البونية–[1]، وتابابيوس "*Tapapius*" أوتابافيوس "*Tapafius*" –كما جاء في النقوش اللاتينية–[2]، من أبرز تلك العائلات وأشهرها، وأكثرها أهمية في مدينة لبدة إلى ما يقارب قرن من الزمن بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، فقد تصدر عدد من أفرادها المناصب الإدارية والدينية العليا بالمدينة، مثل: القضاء، والكهانة، وهو ما يتوافق مع ذكر سالوست "*Sallust*" من ان التشريع والقضاة والإدارة في لبدة كان بيد أقلية من الأثرياء[3]، وذكر أرسطو "*Aristole*" بأن عند انتخابهم هؤلاء القضاة يجب ان يؤخذ في الاعتبار الثروة والجدارة والنفوذ[4].

النقوش:

سنتناول فيما يلي مجموعة من النقوش المختلفة التي شهدت على نشاط هذه العائلة، وإسهاماتها المعمارية المهمة في مدينة لبدة:

1. نقش عثر عليه قرب الجدار الجنوبي الغربي للسوق، والمعروف بالسوق البونيقي (اللوحة2)، وهو ثنائي اللغة بوني/لاتيني[5] (اللوحة1)، ويرجع تاريخه إلى سنة 8 ق.م، يذكر أن حنبعل ابن حملكت طبحفي روفس "חנבעל בן חמלכת טבחפי רופס = *Annobal Imilchonis <Himilco> Tapapius Rufus*" أقام على نفقته الخاصة كل أو جزء من مركب السوق، وأنه كان قاضيًا وكاهنًا للعقيدة الإمبراطورية.

2. نقش ثنائي اللغة بوني/لاتيني، ويخص شخصية حنبعل السابقة، عثر عليه في المسرح، النص البوني منه يتألف من سطرين[6]، أما اللاتيني وجد في ثلاث نسخ[7] (اللوحات3، 4، 5)، ويعود تاريخه إلى 1 أو 2 ميلادي، ويشير إلى قيامه بإنجاز كافة الأعمال المتعلقة ببناء المسرح على نفقته الخاصة (اللوحة6)، ونتيجة لجهوده تلك منح ألقابًا فخرية وتشريفية، مثل: مزين وطنه "מישקל ארצ = *ornator patria*"، ومحب الوئام "מחב דאת חתמת = *amator concordiae*"، ويلاحظ في هذا النقش تكرار لذكر الوظائف التي يتقلدها حنبعل، والمتمثلة في القضاء والكهانة، هذا وبإجراء مقارنة بين النسختين اللاتينية والبونية للنقش، يلاحظ في الأولى حرص حنبعل على ذكر لقبه الروماني روفس "*Rufus*" بعد اسمه مباشرًا في إشارة واضحة لحصوله على المواطنة الرومانية، واندماجه بالثقافة الرومانية، أما في الثانية ذَكر اسمه وفق العادات والتقاليد الفينيقية من ذِكر لاسمهِ واسمِ أبيه ومن ثم لقبه في رسالة واضحة على تأكيد نسبه لعموم شعب لبدة من العنصر المحلي، وتجدر الإشارة إلى أن لقب روفس"*Rufus*"ورد وفي النقشين بونيين برسم مختلف في كل حالة، فجاء بصيغة "رافس= ראפס"[8]، وبصيغة "روفس= רופס"[9]،

هذا وفي ذات المسرح اكتشف نقش لاتيني آخر يشير إلى قيام سوفينيبعل "*Suphunibal*" أبنة حنبعل روسو "*Annobal Ruso*"[*] بتكريس معبد للمؤلهة كيريس[**] "*Ceres*" (اللوحة7) أعلى مدرجات المسرح[10] في سنة 35–36م زمن بروقنصل أفريقيا كايوس روبيليوس بلاندوس "*Caius Rubellius Blandus*"، والذي عثر بداخله على تمثال من الرخام الأبيض، تظهر فيه هذه المؤلهة واقفة مستندة على رجلها اليسرى بينما الرجل اليمنى تتراجع إلى الخلف قليلاً، وفوق رأسها تاج، ويلف جسدها رداء[11].

3. نقش بوني جديد يتألف من ثلاثة أسطر[12] (اللوحة8)، محفور على أعتاب باب معبد روما وأغسطس بالميدان القديم للمدينة، ويعود تاريخه إلى 14–19م، والنقش تلحقه أضرار، إذ أن السطر الأول والثاني منه مفقودين، وباقي النص مشوه، ويشير إلى قيام بدملقارت بن بدملقارت طبحفي "בדמלקרת בן בדמלקרת טבחפי" بتكريس معبد لعبادة روما وأغسطس، والصرف على أعمال بنائه التي شملت الباب البرونزي، وتغطية الأروقة الخارجية، إضافة إلى تماثيل أكبر من الحجم الطبيعي تخص روما وأغسطس Roma & Augustus، وتيبريوس *Tiberius*، وجوليا أغسطا *Julia Augusta*، وجرمانيكوس *Germanicus*، وزوجته أجريبين *Agrippin*، وأمه انطونيا *Antonia*، ودروسيوس، وزوجته ليفيا *Livia*، وأمه أجريبينا *Agrippina*، والتي اكتشف بعضها في ساحة المعبد[13]، والملفت ان هذا المعبد يتشابه مخططه ومخطط معبد فينوس في روما[14].

4. نقش لاتيني (اللوحة9) على إفريز معبد بالرواق الخلفي للمسرح[15] (اللوحة10)، ويعود تاريخه إلى سنة 42م، ويشير إلى قيام ايدبعل ماجنوس ابن تاابيوس (طبحفي) "*Iddibal Magonis Tapapius*" ببناء معبد للإله أغسطس "*Dii Augusti*" على نفقته الخاصة في العام الثاني من ولاية البروقنصل كونتيس ماركسيوس باريا "*Quintus Marcius Barea*".

5. نقش لاتيني اكتشف بمنطقة الميناء في لبدة[16] (اللوحة11)، ويرجع تاريخه إلى 61–62م، ويشير إلى قيام يتنبعل أرش أبن سابينيوس طبحفي " *Ithymbal Arinis filius Sabinus Tapapius*" الذي كان قاضيًا، وكاهنًا لأغسطس ببناء أعمدة، غير أننا لا نعرف الكثير عن طبيعة هذه الأعمدة؛ نتيجة لتحطم النقش إلى أجزاء، كما يوجد نقش بوني جديد آخر عثر عليه في شارع المعمد المؤدي للميناء يشير إلى قيام يتنبعل ببناء مبنى تذكاريًا تشريفًا لخالته المسماة أرشت بنت يتنبعل "ארשת בת יתנבעל"[17]، وضمن شارع النصر في لبدة اكتشفت كتلة حجرية كانت جزء من كرسي***، تحمل نقش بوني جديد، وهو عبارة عن جزء من اسم سابينيو طبحفي "... סעבינא תבח[פי..."[18]، أما باقي الاسم مفقود، ربما نفسه يتنبعل أرش أبن سابينيوس طبحفي، وربما كان يسجل قيامه ببعض الأعمال الأخرى.

6. نقش بوني جديد يمتد على شكل شريط طويل على ستة مقاعد حجرية[19] (اللوحة12) وجدت في حمامات هدريان، وإلى جانب هذه المقاعد عثر على مقعدين آخرين يحملان نقش لاتيني[20] (اللوحة13). أشار النقش البوني إلى ان هذه المقاعد الست صنعت عهد القاضيين عبدملقارت طبحفي עבדמלקרת טבחפי، وأرش الرب "ארש הפרב"، والمحازيم "המחזם" **** قانددا "קענדדא" = كانديديوس "*Candidus*"*****–باللاتيني–، ودنطا "דנטא" = دوناتس "*Donatus*" –باللاتيني–، وانها كلفت 133 دينايوس "Denarius"******، منها 80 دينايوس حصيلة الغرامات المحصلة، ويعد هذا النقش الوحيد من أجمالي النقوش الخاصة بأنشطة عائلة طبحفي وترد فيه تكاليف العمل. رأى جورجيوا ليفي ديلافيدا "*Levi della vida. G*" أن هذه المقاعد جرى نقلها من السوق حيث مكانها الأصلي إلى الحمامات خلال عملية الترميم التي تمت خلال العهد السيفيري[21]، كما رأى كل من رينولدز. ج. م *Reynolds .J.M* وورد بيركنز *Ward Perkins*احتمال إعادة استعمالها في الحمامات[22]، أما من حيث تاريخ النقش فان رومانيلي *Romanelli* والمبار يرجعا تاريخه لزمن الإمبراطور هدريان أو إلى فترة لاحقة[23].

استنتاجات/ يتضح من خلال استعراض النقوش السابقة ما يلي:

– تعد عائلة طبحفي واحدة من أهم العائلات الرئيسة في مدينة لبدة الكبرى، وإنها على ارتباط وثيق بالنشاط المعماري فيها، إذ بينت تلك النقوش مدى غنى وثراء هذه العائلة، ونفوذها السياسي، ومدى تعلق أبنائها بمدينتهم، والذي عبروا عنه بالإنفاق والصرف بسخاء على العديد من المشاريع الضخمة بها، حتى إنهم ولمجهوداتهم تلك مُنحوا ألقابًا تشريفية، مثل: مزين وطنه "מישקל ארצ[24] = *ornator patria*"[25]، ومحب الوئام "מחב דאת חתמת[26] = *amator concordiae*"[27]، ومحب وطنه "*amator patriae*"[28]، هذه الألقاب لابد أنها منحت لهم من قبل زعماء لبدة "אדרא לפקי" وشعبها "עם לפקי"[*******]، وقد حرصوا على ذكر ألقابهم هذه التي اكتسبوها في النقوش الخاصة بمشاريعهم إلى جانب صفاتهم الإدارية والدينية.

– إن أصول هذه العائلة على الأغلب محلية أي أنهم من العناصر المحلية، إذ ان اسم طبحفي ليس بونيًا ولا رومانيًا، ووفقًا للقانون الروماني يُعدون بيريغران "*peregrine*"[********]، وكانوا متأثرين بالحضارة البونية، ويظهر ذلك واضحًا من اتخاذهم أسماء بونية، مثل: حنبعل، وحملكت، وعبد ملقارت، بدملقارت، وايدبعل، وأريش، إلا انه وبعد السيطرة الرومانية على المنطقة ترومنوا، ويتضح ذلك من اتخذهم أسماءً وألقابًا رومانية[*********]، مثل: روفس "*Rusus*"، ماجنوس "*Magonis*"، وسابينيوس "*Sabinus*"، كما قاموا بنحت أسمائهم وألقابهم في النقوش اللاتينية على الطريقة لاتينية مثل: طبحفي "תבחפי" ← تابابيوس"*Tapapius*"/ تابافيوس"*Tapafius*" ، وحملكت "חמלכת" ← إميلكونيس "*Imilchonis*" ، وأرش "ארש" ← أرينيوس "*Arinis*"، إن اتخاذ هذا الأسماء والألقاب إشارة واضحة وصريحة لتحصلهم على المواطنة الرومانية[**********]، إذ ان من أهم المكاسب التي يُتحصل عليها بعد اكتساب المواطنة اتخاذ أسماء رومانية، وارتداء اللباس الروماني، فقد ظل حتى القرن الثاني الميلادي لا يمكن للمتحصل على المواطنة الرومانية الخروج إلى الحياة العامة في غير الزي الروماني خصوصًا التوجا "*Tuga*"[29]، ففي مبنى الكلكيديكوم "*Chalcidicum*" بمدينة لبدة الكبرى اكتشف تمثال من الرخام الأبيض يصور شخصية حنبعل روفس باني السوق والمسرح، وهو يرتدي الزي الروماني المتمثل بثوب طويل فوقه رداء طويلًا يعلو الكتف الأيسر وينزل ملتفًا إلى ما تحت الإبط الأيمن[30].

– يبدو أن عائلة طبحفي من الفاعلين في تعزيز عبادة الإمبراطور بمدينة لبدة، فقد كان عدد من افرداها كهنة لهذه العبادة، مثل: حنبعل بن حملكت طبحفي روفس[31]، ويتنبعل أريش ابن سابينيوس طبحفي[32]، وبدملقارت بن بدملقارت طبحفي، إضافة إلى قيام بعضهم بتكريس معابد لها، مثل: بدملقارت بن بدملقارت طبحفي الذي كرس زمن الإمبراطور تيبيريوس معبدًا

لروما وأغسطس، وصرف على أعمال بنائه، ووضع به تماثيل تخص الأسرة الإمبراطورية[33]، وقيام ايدبعل ماجنوس تابابيوس ببناء معبداً آخر لأغسطس خلف المسرح في سنة 42م[34]، رأى ديفيد ماتنقلي "Mattingly.D" ان من وراء تعزيز هذه العبادة في لبدة كان سعيًا لكسب العطف الإمبراطوري[35].

– أما فيما يتعلق بتكاليف هذه الأعمال التي أقامها أو أشرف عليها أبناء هذه العائلة، إلا أننا للأسف الشديد لا نعرف عنها الكثير؛ لعدم وجود شواهد وأدلة على ذلك، باستثناء حالة واحدة وردت بالنقش المتعلق بصنع الكراسي الحجرية التي وجدت في حمامات هدريان[36]، ورغم هذا يمكننا وضع مقاربات حول تلك التكاليف بشكل عام في ضوء بعض الشواهد الأخرى التي تعود لذات الفترة أو بعدها بقليل، ففي سنة 72م نجد أن تكلفة بناء معبد الأم العظمى "*Magna Mater*" في الميدان القديم من قبل ايدبعل بعلسيلس (بعل شليك) كلفت 200.000 سيستريوس********** "*Sesterius*"[37]، وفي سنة 93 – 94م بلغت تكلفة بناء معبد –مجهول بدون اسم– 80.000 سيستريوس، كرسه أحد قضاة لبدة[38]، في حين بلغت مصروفات تزيين المسرح بالأعمدة والرخام والتماثيل الرخامية نصف مليون سيستريوس، وذلك في حوالي سنة 145م[39]، وهناك مبنى آخر غير معروف طبيعته، ولا تاريخ تأسيسه كلف 40.000 سيستريوس[40]، وفي سنة 173–174م وصلت تكاليف بناء قوس الإمبراطور ماركوس أوريليوس بلبدة 120.000 سيستريوس[41].

يظهر من الشواهد السابقة أن أعمال البناء والتزيين تطلبت تكاليف باهظة، وعليه لابد أن مشروعات هذه العائلة كانت تكلفتها كبيرة جدًا أيضًا، وهو ما ينبئ عن مدى ضخامة ثروتها، وغيرها من الأسر الثرية الأخرى بالمدينة، وهنا نجد أنفسنا أمام مسائلة مهمة، وهي ما مصدر هذه الثروات؟. حقيقًا ليس في وسعنا وضع استنتاجات قاطعة بخصوص ذلك، ولكن كما هو معلوم أن الكثير من المصادر أشارت في العديد من المواضع إلى مدي ثراء مدينة لبدة الكبرى خلال العصرين القرطاجي والنوميدي، وصنفت من بين المدن الثرية حتى نهاية العصر الجمهوري[42]، وهذا ليس غريبًا عن مدينة نشطت منذ ظهورها على مسرح الأحداث التاريخية كمدينة تبنت العديد من الأنشطة الاقتصادية المختلفة التي يأتي في مقدمتها التجارة والزراعة والصناعة، وبرعت فيها، وداع صيتها، وعليه يمكننا الخلوص إلى ان بعض عائلات المدينة استفادت من ذلك، واستطاعت تكوين ثروات طائلة، مما عزز موقعها بالبنية الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي السياسية بالمدينة، ليس هذا فقط، بل مكنت بعضها من الحصول على عضوية مجلس الشيوخ الروماني خلال القرن الثاني الميلادي[43].

اللوحات

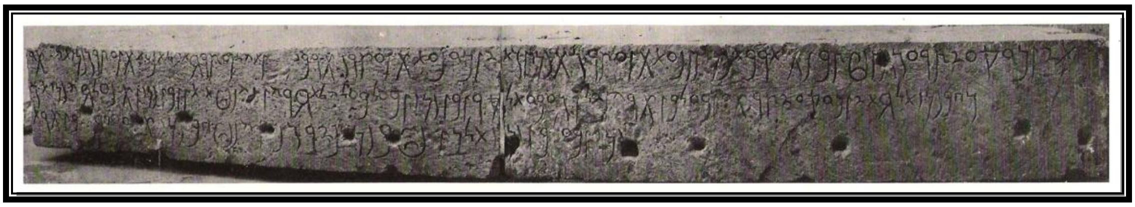

(اللوحة1.أ)

IPT.21, Tav.IX.

(اللوحة 1. ب)

IRT. 319

http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT319.html

(اللوحة 2)

السوق البونيقي في مدينة لبدة الكبرى

http://www.almasalla.travel/Images/News/Small/img6384(1)

(اللوحة 3)

IPT.24.a & IRT.321
http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT321.html

(اللوحة 4)

IPT.24.b & IRT.322
http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT322.html

(اللوحة 5)

IRT. 323
http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT323.html

(اللوحة 6)

مسرح مدينة لبدة الكبرى

http://www.livius.org/pictures/libya/lepcis-magna/lepcis-magna-theater/lepcis-theater-and-porticus/

(اللوحة 7)

IRT.269

http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT269.html

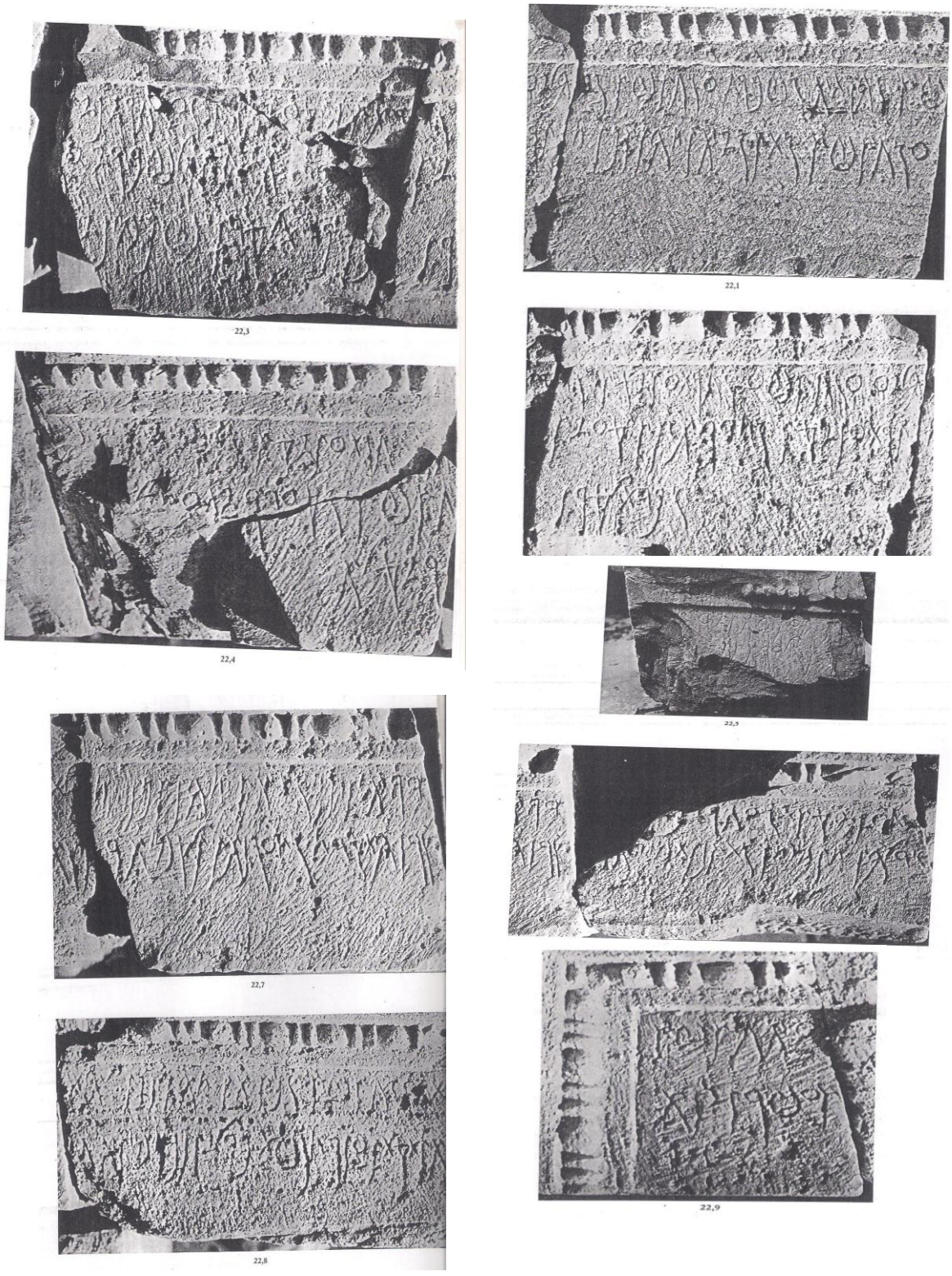

(اللوحة 8)

IPT.22, Tav.X, XI, XII, XIII, XIV.

(اللوحة 9)

IRT. 273

http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT273.html

(اللوحة 10)

معبد أغسطس بالمسرح

http://romeartlover.tripod.com/Leptis2.html

(اللوحة 11)

IRT. 341

http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT341.html

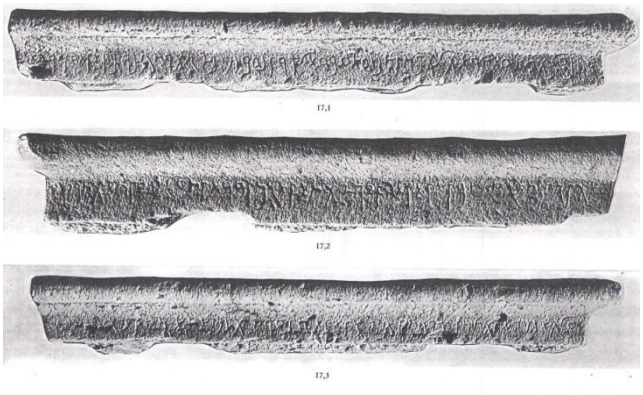

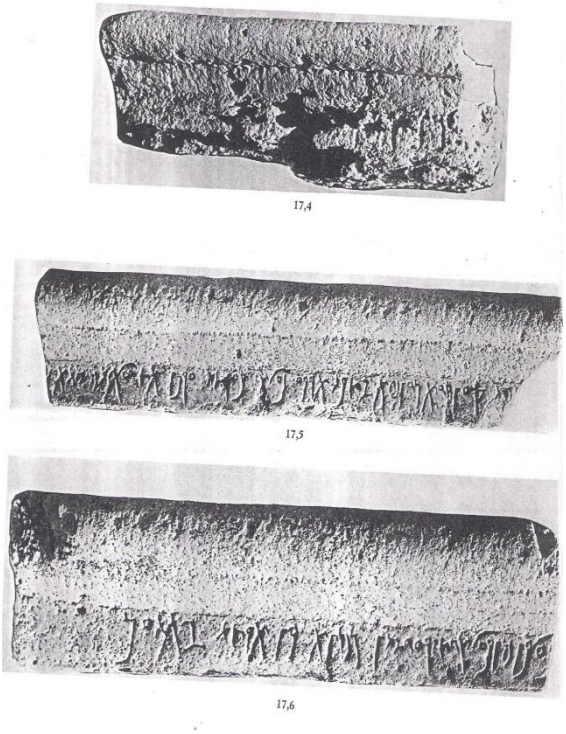

(اللوحة 12)
IPT17, Tav.VI, VII.

(اللوحة 13)
IRT.599
http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/IRT599.html

الحواشي

[1] IPT. 11.2; 21.3; 22.3; 23.1; 24A.2, 24B.2; 28.

[2] IRT. 273 - 319 - 321 – 322 – 323 – 341 - 745.

[3] Sallust, The Jugurthine War, LXXVIII.4.

[4] Aristole, Politices, II.8.

[5] IPT.21:

"מינכד קעיסר עוגסטס בן אלם רב מחנת פעמת אסר ועטת . ומינכד פעמאת עסר וארבע ותחת משלת עסר המשלם פעמאת עסר וחמש. אד[ר כהנם] / וזבחם להמינכד קעיסר אדנבעל בן ארש פילנ/ת ועבדמלקרת בן חנבעל בעל שלם הרשת . ؟) שפטם מתן בן חנא פעל השחם ו [ ] / חנבעל בן חמלכת טבחפי רופס שפט זבח אדר עזרם בן ארם [ ]" .

IRT.319: a) "[Imperator) Caesar Diui filius) Augustus] con)sul) XI imperator) XIII tribunicia) potestate) XV pontifex) m[axi]mus
b) Marco) Licinio Marci) filio) Crasso Frugi con)sule) augure procon)sule) patrono flaminibus) Augusti) Caesaris Iddib[a]le Arinis filio) [. . 3 o 4. .] one [et. . ?. .A]nnobalis [ilio) ... 3 o 4...] on [… 1 o 2.. su]fetibuus) M[uttun Annonis filio) ...
e) Annobal Imilchonis <correted to in: Himilcho> filius) Tapapius Rufus sufes flamen praefectus sacrorum de sua pequ[nia] faciun[dum coe]rauit idem[que] de[d]icauit"

[6] IPT.24. a. b; KAI.121.

"חנבעל מישקל ארצ מחב דעת התמת זבח שפט אדר / עזרם בן חמלכת טבחפי ראפס בן ארם בתם פעל ואיקדש".

[7] IRT. 321, 322, 323. "Imperatore) Caesare Diui filio) Augusto) pontifice) maximo) tribunicia) potestate) XXIV con)sule) XIII patre patriae) / Annobal Rufus ornator patriae amator concordiae / flamen sufes praefectus) sacrorum) Himilchonis Tapapi filius) de) sua) pecunia) faciendum) coerauit) / idemque) dedicauit".

[8] IPT.24.a2, b.2.

[9] IPT.21.3.

* ربما نفسه حنبعل ابن حملكت طبحفي روفس، وان لقبه الروماني طراء عليه تغيير من روفس إلى روسو Rufus ← RUSO، فكلاهما يعني الأحمر، وانه خص شخصية حنبعل دون غيره من أبناء هذه العائلة، إذ لم نراه في باقي نقوش أبناء عائلة طبحفي.

** كيريس أو سيريس هي الإلهة ديميتر عند الإغريقي، وهي إلهة الأرض، والمشرفة على الزراعة عند الرومان، كانت عقيدتها دخلت روما في فترات مبكرة. للمزيد أنظر: جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة 173، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مايو 1993م)، 97.

[10] IRT.269. "Cereri Augustae sacrum
C(aius) Rubellius Blandus co(n)s(ul) pont(ifex) proco(n)s(ul) dedic(auit) Suphunibal ornatrix pat[ria]e Annobalis Rusonis d(e) s(ua) p(ecunia) f(aciendum) c(urauit)"

[11] محمود عبد العزيز النمس ومحمود الصديق أبو حامد، دليل متحف السراي الحمراء بطرابلس، (طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1977م)، 70.

[12] IPT. 22; KAI. 122.

1. "[حوالي 23 حرف) נסכת שאלם עוגס]טס והרמא וטברי עוגסטס וי/הליע עוגסטע וגרמעניקס וד/ראסס קעיסר ועגריבינ/[ע אשת ש]גרמעניקס [ליויע אשת ש/דרא]סס וענטאניעא [מ גר]/ מעניקס ועגריבינע אם/דראסס ומאסף שהנסכת ש/אלם עוגסטס וכסאת שהנסכת לאלם/עוגסטס
2. [18 أو 19 حرف) שהנסכת לאלם] עוגסטס ומסויאת שהנסכת ש/גרמעניקס ושדראסס קעיס/ר]אינ/ת שלטברי עו/גסטס וקדריגע של[גרמעני]קס ולדראסס ק[עיסר]ודלהת שנחשת ומספנ/ת מחערפ[ת וח]/צרת המקדש ושערפאת נלקח/בתצאת מקם נעתר שפטם בעליתן בן חנא ג. /סעטרנינא
3. ובדמלקרת בן בדמלקרת טבחפי/[ ] ריקלא"

[13] D.E.L. Haynes, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, (Libya, 1965),. 90.

[14] Haynes, The antiquities of Tripolitania, 89.

[15] IRT. 273. "Quintus) Marcius Caii) filius) Barea con)sul) XVuir sacris) faciundis) fetialis procon)sul) II patronus dedicauit/ Iddibal Magonis filius) Tapapius Lepcitanus de sua pecunia fecit".

[16] IRT. 341. "Neroni Claudio diui Claudi filio) Germanici nepoti) Tiberi) Caesaris pronepoti) diui Augusti) abnepoti Caesarì Augusto) Germanico pontifici) maximo) tribunicia) potestate) Vili imperatori)? con)suli) HII patri) patriae) / Seruius) Cornelius Serui) filius) Lemonia tribu) Orfitus [. . e. 8 . .] questor diui Claudi praetor) urbanus) con)sul) pontifex) sodalis Augustalis procon)sul) patronus dedicauit Publio) Silio Celere legato … / Columnas et super columnia et super ostia in tribus [. .e. 15 . .] Ithymbal Arinis filius) Sabinus Tapapius flamen diui Augusti) sufetu [..?..] faciendas curauit idemque curator pecuniae publicae eas porticus ... ".

[17] IPT.23.

"יתנבעל בן ארש טבחפי / סעבינא טינא לאחת / אממ ארשת בת יתנבעל / הבנא סכר כבד על / פעלת מעשרת".

*** ذكر جوتشايلد ان الكرسي مماثل لتلك المكتشفة في حمامات هدريان.

A. F. EL Mayer, Tripolitania and Roman Empire, (Tripoli, Markaz Jihad AL Libyan Studies Centre, 1996), 298.

[18] IPT. 28.

"... סעבינא תבח[פי...".

[19] IPT. 17; KAI. 130.

"נפעלא שש הישבם אלא בשת שפטם עבדמלקרת טבחפי וארש ה{פ}רב תמנם דנעריא/ מאת ושלשם ושלש בתם תמנם דנעריא שמנם וכת/נדרם תשע למבענשם אש בצד/ על המחזם אש כנא בהשת הי ותמנם דנעריא חמשם ושנם ו[....] / [ ]א/עכ/בנ/תמקמ[ ]//[על המח]זם קענדדא ודנטא ישבם ארבע פעלא בענשם ערכת אש על המחזם אדנ/ בעל בן חנבעל צדשמר עדימן וחנא בן ארשם יגמעך".

[20] IRT. 599. "Iuttaph Domitius sufes) de) sua)/ pecunia) faciendum) curauit)/ Aediles sua) pecunia) dono) dederunt)".

**** وظيفة تنحصر مهمتها في الجوانب المالية وجباية الغرامات والضرائب، والاهتمام بالأسواق.

-El Mayer, Tripolitania and Roman Empire, 176.

***** ربما هذه الشخصية نفسها شخصية كوينتس سيرفيليوس كانديديوس Quintus Servilius Candidus التي وردت في أربعة نقوش لاتينية، الأول منها (IRT.275) يعود زمنه إلى ما بعد سنة 79م، واكتشف في الميدان القديم قرب معبد ليبرباتر، ووصف فيه بانه محب وطنه، ومواطنيه، ومزين وطنه، وانه كاهن، وأشرف على النذر الذي قدمه أحد تجار الرخام لمعبد ليبرباتر. أما النقوش الثلاثة الأخرى (359 – 358 – IRT.357) تشير إلى قيامه بجلب المياه العذبة إلى مدينة لبدة الكبرى وعلى فقته الخاصة، وفي نقش بوني جديد آخر (IPT.18) يشير إلى قيامه بإقامة نصب ورواق معمد على نفقته الخاص.

****** عملة فضية رومانية، استخدمت خلال العصرين الجمهوري والإمبراطوري، وقيمتها تغيرت من عصر لآخر، ولكنها خلال عصر أغسطس كان الديناريوس يساوى أربع سيستريوس، للمزيد حول ذلك أنظر:

.B. Matthew, Encyclopedia of the Roman Empire, Revised Edition, Facts On File, Inc (New Yourk, 2002), 133.

21 عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، (طرابلس، منشورات جامعة الفاتح، 2005م)، 106.

22 IRT. 599.

23 P. Romanelli, Leptis Magna, (Roma, 1925), 24;

-الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، 107.

24 IPT.24; KAI.121.

25 IRT. 318 – 321 – 322 - 323 – 347.

26 IPT.24; KAI.121.

27 IRT. 321- 323.

28 IRT.347.

******* لم يرد في النقوش المتعلقة بهذه العائلة من منحهم هذه الألقاب الفخرية والتشريفية، غير انه جاء في نقش بوني جديد آخر (IPT.27.7) ان زعماء لبدة وشعبها من منح هذه الألقاب.

******** البيريغران peregrini هم رعايا الإمبراطورية الرومانية من غير المواطنين الرومان أو اللاتين، وكان الأمر متروكًا للإدارة المحلية في المقاطعات لتحديد كيفية معاملتهم، انظر:

G. Cossette, La romanisation de l'Afrique romaine à travers la diffusion et l'évolution de la citoyenneté romaine de la république à caracalla, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures et postdoctorales en vue de l'obtention du grade de maîtres ès art, M.A. en histoire, Université de Montréal, 2012, 22;

– محمد محسن البرازي، محاضرات في الحقوق الرومانية، (المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017م)، 88 – 89.

********* أشار بريلي Birley إلى الطرق التي كانت تتبع في اتخاذ أسماء وألقاب رومانية، الطريقة الأولى كان يتم تبني أسماء بعض الشخصيات مثل الإمبراطور أو أحد من نواب القنصل السابقين التي يبدو أنها كانت مفضلة في لبدة، أو تبني أسماء شخصيات لها رنين تاريخي. أما الطريقة الثانية اختيار أسماء تتشابه في اللفظ مع الاسم

البوني. في حين الطريقة الثالثة كان يتم فيها تبني الاسم الروماني الذي هو ترجمة للاسم البوني. في حالة لقب روفس من الممكن ان يكون من النوع الأول وهو تبني الأسماء التي لها رنين تاريخي، للمزيد انظر:

A. R. Birley. "Names at Lepcis Magna", Libyan Studius, Vol.XIX, (1988), 1- 19.

**********عملت السلطات الرومانية على استقطاب العناصر المحلية، ودمجهم في الثقافة والحضارة الرومانية من خلال منحهم حق المواطنة الرومانية التي عُدت ترقية اجتماعية وسياسية، ويأتي ذلك بهدف رسوخ ودوام سيطرتهم على المناطق. عقون محمد العريبي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، (الجزائر، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م)، ص273.

[29] العريبي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، 273 – 274.

[30] النمس، دليل متحف بالسرايا الحمراء بطرابلس، 69.

31 IPT. 21; IRT.319.

32 IRT.341.

33 IPT.22.

34 IRT. 273.

[35] D.J. Mattingly, Tripolitania, (London: The Bath Press, 1995), 52.

[36] IPT.17.

********** فئة نقدية برونزية رومانية، وهذه الفئة تساوي3 آسات، أطلق هذا الاسم على المسكوكات الرومانية التي يبلغ قطرها 28 ملم أو أكثر. زياد السلامين، معجم المصطلحات الأثارية المصورة، (العين، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2012م)، 212.

37 IRT.300.

[38] IRT.348.

[39] IRT.534.

[40] IRT.788.

[41] R. Duncan-Jones, The Economy of the Roman Empire, Quantitative Studies, (Cambridge, 1974), 91.

[42] Duncan-Jones, The Economy of the Roman Empire. 65.

[43] Mattingly, Tripolitania, 199 – 200.

الدرهم العباسي

جمال أحمد عبد الموبر
جامعة المرقب – ليبيا
Email/drgamalalmober@gmail.com

الملخص

تعتبر النقود في العصر الإسلامي مصدراً رئيسا في غاية الأهمية من مصادر علم التاريخ ، فهي تعد وثائق رسمية وصحيحة لا يمكن الطعن فيما يرد عليها من كتابات وزخارف والنقود تشبه المرآة التي تعكس وتبين بجلاء كل نواحي الحياة في الدولة التي أمرت بضربها ، كالناحية السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والفنية وغيرها وهذا ما سوف نوضحه في دراسة الدرهم العباسي موضوع البحث .

حيث تناول هذا البحث ظهور أسماء الحلفاء وألقابهم على الدراهم وكذلك ظهور أسماء أولياء العهد على الدراهم ، وأيضا ظهور أسماء الوزراء والولاة والمدن والمأثورات الدينية على الدرهم العباسي ،إضافة الى دراسة الدراهم ذات الطابع الإعلامي .

مقدمة

لقد قمت بدراسة الدرهم العباسي معتمداً في هذه الدراسة على العصر العباسي الأول، ويشمل ابتداء من عهد الخليفة السفاح إلى عهد الخليفة المعتصم، واستشهد ببعض دراهم الخلفاء العباسيين في المرحلة العباسية الثانية، إذ دعت الضرورة لذلك.

والسبب في ذلك أن الدولة العباسية في مرحلتها الأولى تُعتبر أزهى وإثرى فترة لدراسة المسكوكات بصفة عامة والدراهم بصفة خاصة.

وقد كان سبب اختياري لهذا الموضوع باعتبار أن الدرهم مادة غنية وثرية بالمعلومات، وأن الدرهم العباسي يعتبر وثيقة مهمة لدراسة تاريخ الدولة العباسية، وكذلك لفتح المجال لدراسة هذا الموضوع بشكل أكثر شمولية.

لم يختلف الدرهم العباسي عن الدرهم الأموي في بداية الأمر من حيث الوزن والقياس[1].

وبعد ذلك أضاف العباسيون لدراهمهم مداراً تضمن الآية الكريمة: ﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[2]، وفي سنة (132هـ) سك العباسيون دراهمهم المغايرة في النصوص لدراهم الأمويين حيث أبدلت سورة الإخلاص بالعبارة (محمد رسول الله). [3]

فلقد سك أول درهم عباسي في الكوفة في عهد الخليفة السفاح سنة 132هـ وكان على النحو التالي[4]:

الوجه:

مركز الوجه: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

المدار: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة ثنتين وثلثين ومئة.

الظهر:

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين

كله ولو كره المشركون.

وقد ضرب أول درهم عباسي بمدينة السلام سنة (146هـ) في عهد الخليفة المنصور ويبدو أن الخليفة المنصور قد نقل معه الصناع والفنيين الذين كانوا يعملون بدار الضرب بالهاشمية إلى مدينة السلام حيث ظهرت التأثيرات الفنية والتقنية واضحة على الدرهم الأول المضروب بمدينة السلام.[5] انظر شكل (1)

وقد تغيرت الدراهم العباسية المضروبة بمدينة السلام سنة (147هـ)، فقد حملت ثمانية عشر دائرة صغيرة متكونة من ستة مجموعات كل مجموعة متكونة من ثلاث دوائر بشكل هرمي، كما ظهر شكل نجمي أسفل مأثورة مركز الظهر[6]، انظر شكل (2، 3).

وفي سنة (148هـ) حملت الدراهم المضروبة بالعاصمة (بخ) وتعني جيد، وفي سنة (154هـ) تكررت (بخٍ بخٍ) أسفل مأثورة مركز الظهر، واستمرت بالظهور حتى السنة الأخيرة من خلافة المنصور، هذا بالنسبة للدراهم المضروبة بالعاصمة[7]، انظر شكل (4، 5).

ومأثوراتها كانت على النحو الآتي[8]:

الوجه:

مركز الوجه: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

المدار: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة أربع وخمسون ومئة.

الحلقات: ○○○ ○○○ ○○○

الظهر:

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

بخٍ بخٍ

المدار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

الوزن 2.909 غم، القطر 25 جم[9].

أما بقية الدراهم المضروبة في باقي المدن فقد حملت في أسفل مأثورة مركز الظهر أسماء الولاة مثل اسم (الحسن) والي أرمينية.[10]، وفي سنة (159هـ) حملت عبارة (لله الحمد).[11]

وقد قمت بدراسة دراهم الخلفاء العباسيين والتطورات التي طرأت عليها وهي على النحو التالي:

ظهور أسماء الخلفاء وألقابهم على الدراهم

في خلافة المهدي (158هـ- 169هـ) فقد ظهرت على الدراهم لسنة (158هـ) اسم ولقب (الخليفة المهدي)[12] انظر شكل (6) (7).

وفي عهد الخليفة الهادي (169-170هـ) فقد حملت الدراهم لقبه واسمه (الخليفة الهادي)[13].

أما في عهد هارون الرشيد (170-193هـ)، حملت الدراهم اسم هارون ولقبه أمير المؤمنين، كما حملت الدراهم العباسية المضروبة في الأقاليم الرئيسة والمدن اسم ولقب الخليفة الرشيد، كما ظهر لقب (المرضي) وهو اللقب الخليفة الذي اتخذه لنفسه[14]. انظر شكل (8، 9، 10، 11، 12).

أما في عهد الخليفة الأمين (193-218هـ) فقد ظهر اسمه المأمون في العديد من الدراهم وتلقب (الإمام المأمون أمير المؤمنين/ الفضل).[15]

أما في عهد الخليفة المعتصم بالله (218- 227هـ)، فقد حملت دراهمه اسمه المعتصم بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[16]

أما دراهم الخليفة الواثق بالله (227- 232هـ)، فقد حملت اسمه الواثق بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[17]

أما دراهم الخليفة المتوكل على الله (232- 247هـ)، فقد حملت اسمه المتوكل على الله في أسفل مأثورة مركز الظهر. [18]

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله (247- 348هـ)، فقد ظهر اسمه المستنصر بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[19]

وفي عهد الخليفة المستعين بالله (348- 353هـ)، فقد ظهر اسمه المستعين بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[20]

أما دراهم الخليفة المعتز بالله (251- 255هـ)، فقد حملت اسمه ولقبه (المعتز بالله أمير المؤمنين) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[21]

أما دراهم الخليفة المهتدي بالله (255- 256هـ)، فقد حملت اسمه المهتدي بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[22]

أما دراهم الخليفة المعتمد على الله (256- 279هـ)، فقد حملت الدراهم المضروبة بمدينة (سرمن رأي) سنة (258هـ) اسمه (المعتمد على الله)، أما دراهمه المضروبة في مدينة السلام سنة (262هـ)، فقد حملت اسمه أيضاً (المعتمد على الله) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[23]

أما دراهم الخليفة المعتضد بالله (279- 289هـ)، فقد حملت دراهمه اسمه المعتضد بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.[24]

أما دراهم الخليفة المكتفي بالله (289- 295هـ)، فقد حملت دراهمه لقب (المكتفي بالله) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[25]

أما دراهم الخليفة المقتدر بالله (295- 320هـ)، فقد حملت دراهمه لقبه (المقتدر بالله) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[26] انظر شكل (15- 16)

وقد ظهرت على دراهم الخليفة القاهر بالله (320- 322هـ) اسمه القاهر بالله في أسفل مأثورة مركز الظهر.

أما دراهم الخليفة الراضي بالله (322- 329هـ- 289هـ)، فقد حملت لقبه (الراضي بالله) أسفل ماثورة مركز الظهر.[27]

أما دراهم الخليفة المتقي بالله (329- 333هـ)، فقد حملت لقبه (المتقي بالله) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[28]

أما دراهم الخليفة المستكفي بالله (333- 334هـ) فقد حملت لقب الخليفة (المستكفي بالله) في أسفل مأثورة مركز الظهر.[29]

أما دراهم الخليفة الناصر لدين الله (575- 622هـ) فقد حملت اسمه الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين، كما حملت لقبه الخليفة الناصر (الإمام أحمد) ومضروب هذا الدرهم في نصبين وبدون تاريخ.[30]

أما دراهم الخليفة الظاهر بأمر الله (622- 623هـ) فقد حملت اسمه (الظاهر بأمر الله).[31]، وقد حملت دراهم الخليفة المستنصر بالله المضروبة بمدينة السلام (6374هـ) اسمه (الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين).[32]

ظهور أسماء أولياء العهد على الدراهم

شهدت الدراهم العباسية تطوراً جديداً تمثل في تسجيل اسم ولي العهد عليها وذلك لأول مرة على النقود الإسلامية، وكان ذلك في سنة (145هـ)، حين سجل اسم المهدي محمد ابن الخليفة المنصور بكتابات مركز ظهر الدراهم المضروبة في مدينة الري. [33]

وذكر في عهد الخليفة الهادي اسم (جعفر) ابن الخليفة موسى الهادي على الدراهم المضروبة بمدينة السلام سنة (170هـ) بأسفل كتابات مركز الظهر، ويبدو أن الخليفة الهادي قد قام بحملة دعاية واسعة من أجل لبيعة بولاية العهد لابنه جعفر، وعلى الرغم من هذه الدعاية الواسعة إلا أن الدراهم استمرت تضرب باسم (هرون الرشيد)، بوصفه ولي العهد الشرعي [34].

ومن أمثلتها درهم ضرب العباسية سنة (170هـ). [35]

كما ظهر على الدراهم التي تحمل اسم (هرون) بدلاً من لقب ولي العهد المسلمين عبارة (بن أمير المؤمنين)، وذلك على الدراهم الهرونية سنة (169–170هـ). [36]

وفي عهد الخليفة المأمون قد ظهر على الدراهم العباسية اسم علي الرضاء ولياً للعهد في السنوات (202–204هـ) في كل من المحمدية ونيشابور ومرو. [37]

ولم تحمل الدراهم المضروبة بمدينة اسلام اسم ولقب علي الرضاء، وربما يعود ذلك لأن أهل العراق كانوا قد ثاروا على الخليفة المأمون سنة (202هـ) بسبب إقامته في مدينة مرو بعيداً عن العاصمة.[38]

ظهور أسماء الوزراء على الدراهم

لقد ظهر على دراهم الخليفة الهادي اسم وزيره (إبراهيم) وهو إبراهيم ابن زكوان الحراني وزير الهادي، وقد كتب اسمه بمقطعين في أعلى وأسفل مأثورة مركز الظهر، وبذلك يكون الخليفة الهادي أول من وضع اسم وزيره على الدراهم.[39]

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد فقد حملت دراهمه اسم وزيره (جعفر)، وهو جعفر البرمكي منذ سنة (176–186هـ).[40]

وفي عهد الخليفة المأمون حملت الدراهم المضروبة بمدينة السلام لقب (ذو الرياستين) وهو لقب وزيره الفضل بن سهل، وظهر في أسفل مأثورة مركز الظهر.[41]

كما حملت دراهم الخليفة المقتدر بالله عدداً من الأسماء والألقاب منها (المقتدر بالله) و(عميد الدولة) وهو لقب وزير المقتدر بالله الحسين بن القاسم.[42]

ظهور أسماء الولاة على الدراهم

إن ظهور اسماء الولاة على الدراهم ظهر في عهد الخليفة المنصور في دراهمه المضربة بالبصرة سنة (146هـ) فقد حملت اسم والي البصرة (سلم)، وهم سلم بن قتيبة الباهلي والي البصرة للسنوات (145-146هـ).[43]

كما حملت دراهم الخليفة المنصور في بعض الأحيان أسماء ولاة الأقاليم قبل اسم (عمر)، ولي تونس أسفل مأثورة مركز الظهر درهم ضرب العباسية (151هـ) وهو جعفر عمر بن حفص المهلبي.[44]

وقد ظهر على الدراهم المضروبة (أران) في منطقة أرمينية اسم (الحسن) أسفل مأثورة مركز الظهر، وهو (الحسن بن قحطبة) والي أرمينية.[45]

كما ظهرت بعض الحروف على دراهم ضرب البصرة سنة (144-145هـ) وهو يرمز إلى اسم سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والي البصرة.[46]

أما الخليفة المهدي فقد حملت دراهمه أسماء ولاة المدن التي سك فيها دراهمه. (47)

وفقد حملت الدراهم في عهد الخليفة هارون الرشيد أسماء الولاة ومن تلك الأسماء (أسد، وهو أسد بن يزيد بن مزيد)، و(يزيد وهو يزيد بن مزيد الشيباني) و(محمد بن يزيد) و(خزيمة بن خازم) أمير أرمينية (وبشر بن خزيمة) و(سليمن بن الأصم) وهو سليمان بن يزيد العامري و(الأمير عبيد الله والي أفريقية) و(الفضل، وهو حاتم) و(نصر، وهو نصر بن حبيب) والي أفريقية للسنوات (174، 177هـ)، ومحمد المكي وهو محمد بن مقاتل بن حكيم المكي والي أفريقية في السنوات (180-183هـ) و(عطاء وهو العطاء الكندي والي اليمن) و(صلح، وهو صالح بن شيخ بن عمارة الأسدي والي طبرستان).[48]

و(العطاء بن الغطريف والي اليمن، وهو خال الخليفة هارون الرشيد، و(حماد وهو حماد البربري والي اليمن) في السنوات (184-196هـ) ويزيد وهو يزيد بن جرير (القسري البجلي والي اليمن)، و(داود وهو داود بن يزيد بن حاتم) و(معاوية وهو معاوية بن زمزم بن عاصم الهلالي والي خراسان سنة (180هـ)، و(العلاء وهو العلاء بن سعيد المهلبي.[49]

وقد ظهر على دراهم الخليفة محمد الأمين اسم (العباس) وهو العباس بن الفضل ابن ربيع والذي نصب مشرفاً لدور السك.[50]

وفي عهد الخليفة المأمون فقد حملت دراهمه الكثير أسماء الولاة منهم (عمر بن يحيى والي دمشق) وطلحة بن طاهر بن الحسين، وهرثمة وهو هرثمة بن أعين.[51]

وفي عهد الخليفة المقتدر بالله فقد حملت دراهمه اسم (كثير بن أحمد) وكان يشرف على أعمال سجستان، و(سبكري) وهو مولى عمرو بن الليث وأصبح والياً على فارس.[52]

كما ظهر اسم موسى بن عيسى العباسي على الدراهم وهو والي مصر، حيث كان لهذا النظام الجديد صداه في السكة المصرية فأصبح ضرب هذا النوع من السكة حقاً للولاة والعمال في مصر وأول من تمتع بهذا الحق على بن سليمان ابن علي العباسي الذي تولى إمارة مصر سنة (169-171هـ).[53]

وكذلك يذكر المسعودي: أن المأمون قد نقش اسم (علي الرضا) على الدنانير والدراهم.[54]

أما في عهد الخليفة المعتز بالله فقد حملت اسم ولقب ابنه وولي عهده (عبد الله بن أمير المؤمنين).[55]

وقد حملت الدراهم في عهد الخليفة المعتمد على الله اسم ولي عهده (جعفر) وهو اسم الخليفة العباسي المعتمد على الله (المفوض إلى الله) وهو لقب جعفر ولي العهد.[56]

كما ظهر في عهد الخليفة المقتدر بالله كنية ولي عهده أحمد ابن الخليفة المقتدر بالله (أبو العباس بن أمير المؤمنين).[57]

وقد حملت الدراهم في عهد الخليفة الراضي بالله (أبو العباس أحمد) كنية ابنه وولي عهده (أبو الفضل بن أمير المؤمنين). [58]

ظهور أسماء المدن على الدراهم

أول مدينة ظهر أسمها على الدراهم العباسية هي مدينة (الكوفة)، وذلك في سنة (132هـ) في عهد الخليفة السفاح، وذلك في مدار مركز الوجه. [59]

ثم ظهر بعد ذلك اسم مدينة (السلام) سنة (146هـ) في عهد الخليفة المنصور، كما ظهرت مدينة (الري) سنة (145هـ)، و(العباسية) سنة (151هـ)، و(البصرة) سنة (144-145هـ)، وكذلك مدينة (أرمينية) وذلك في مدار مركز الوجه، ومن أهم دور السك التي ظهرت على الدراهم في عهد الخليفة المنصور (أران، أرد شيرخرة، أرمينية، أصطخر، البصرة، الري، العباسية، كرمان، الكوفة، المحمدية، مدينة السلام، مرو، نيسابور، الهاشمية).[60]

وقد ظهرت مدينة (قصر السلام) في عهد الخليفة المهدي دار للسك سنة (166هـ)[61]، كما ظهرت في عهد الخليفة المهدي دور سك على الدراهم مثل: (أدريبجان، أرمينية، أفريقية، البصرة، جي، العباسية، قصر السلام، كرمان، المحمدية، هرون أباد، مدينة السلام، اليمامة).[62]

وأهم دار سك ظهرت على الدراهم العباسية في عهد الخليفة الهادي هي: (أران، أفريقية، جي، صنعاء، العباسية، كرمان، مدينة السلام، الهرونية، هرون أباد). [63]

وقد ظهرت في عهد الخليفة هارون الرشيد على الدراهم المدن الآتية: (مدينة السلام، أرادن، أفريقية، أرمينية، البصرة، الرفقة، الري، سجستان، طبرستان، العباسية، كرمان، المباركة، أبر شهر، نيسابور، بخارا، بلخ، زريخ، جرجان، مرو، معدن، باجنيس، معدن أشاش، معسكر الشاش، هراة والرميان)، وكلها نقشت على مدار مركز الوجه. (64)

وفي عهد الخليفة محمد الأمين ظهرت أسماء العديد من المدن على الدارهم منها: (مدينة السلام، صنعاء، المحمدية، سمرقند، مرو، هرات، نيسابور، بخارا، بلخ، معدن، باجنيس). (65)

وظهرت في عهد الخليفة المأمون على الدراهم العديد من المدن منها: (مدينة السلام، البصرة، دمشق، الرفة، سمرقند، المشرف، الشاش،" فارس، فسطاط، مصر، الكوفة، المحمدية، أصفهان، مدينة بلخ، مدينة زريخ، مرو). (66)

وقد ظهرت كل من: (مدينة السلام، وأصفهان، والشاش) على الدراهم العباسية في عهد الخليفة المعتصم بالله، وذلك في المدار الأول من مركز الوجه. (67)

أما الخليفة الواثق بالله فقد ظهرت على دراهمه العديد من المدن منها: (دمشق، سرمن رأي، مدينة الشاش)، وذلك في المدار الأول من مركز الوجه، ويعتبر الخليفة الواثق بالله أول من ضرب الدراهم بسامراء عاصمتهم الجديدة.(68)

أما الدراهم التي ضربت في عهد الخليفة المتوكل على الله، فقد حملت أسماء العديد من المدن منها: (سرمن رأي، مدينة السلام، البصرة، دمشق، مرو، قم، فارس، الشاش، أصفهان، المحمدية، مدينة الكوفة)، وظهرت هذه المدن في المدار الأول من مركز الوجه.(69)

أما الخليفة المستنصر بالله فإن دراهمه المعروفة إلى حد الآن درهم مضروب بـ(سرمن رأي) سنة (248هـ)، وتميز بصغر حجمه إذ أن قطره (8ملم)، وذكروا اسم المدينة في المدار الأول من مركز الوجه. (70)

أما الدراهم في عهد الخليفة المستعين بالله، فقد ظهرت عليها العديد من أسماء المدن منها: (سرمن رأي، مدينة السلام، البصرة، دمشق، مرو، قم، أصفهان، فارس)، وذكر اسم المدينة في المدار الأول من مركز الوجه. (71)

والخليفة المعتز بالله فنجد أن دراهمه حملت أسماء المدن الآتية: (مدينة السلام، سرمن رأي، البصرة، دمشق، الرافقة، المعتزية، وساط، مصر، الكوفة، فارس، مدينة نصبين). (72)

أما الخليفة المهتدي بالله، فقد حملت دراهمه أسماء المدن الآتية: (سرمن رأي، مدينة السلام، والرافقة، وسمرقند). (73)

أما الخليفة المعتمد على الله، فقد حملت دراهمه أسماء: (مدينة السلام، وسرمن رأي، واسط، والموصل، بلد الكوفة، الرافقة، مصر، نصيبين، فارس). [74]

وقد ظهرت على دراهم الخليفة المعتضد بالله أسماء المدن الآتية: (مدينة السلام، سرمن رأي، البصرة، الرافقة، أمد، الكوفة، واسط، الأهواز، تسترمن الأهواز، ونصبين).[75]

وفي عهد الخليفة المكتفي بالله، فإن الدراهم حملت العديد من اسماء مدن الضرب منها: (مدينة السلام، الكرخ، القصر الفاخر، سرمن رأي، الموصل، واسط، دمشق، الرافقة، أمد، أصفهان، الأهواز، فارس، نصبين).[76]

أما دراهم الخليفة المقتدر بالله، فقد حملت أسماء المدن الآتية: (مدينة السلام، سرمن رأي، البصرة، الكوفة، الموصل، واسط، سبخار، حران، حلبن، حمص، الرافقة، الرحبة، عمان، نصبين، رأس العين، الأهواز، فارس، سجتسان، والمحمدية).[77]

أما دراهم الخليفة القاهر بالله، فقد حملت أسماء المدن الآتية: (الكوفة، سرمن رأي، الرافقة، الرحبة، رأس العين، نصبين). [78]

أما دراهم الخليفة الراضي بالله، فقد حملت أسماء المدن الآتية: (مدينة السلام، البصرة، سرمن رأي، الموصل، واسط، حلوان، الرحبة، رأس العين، والرافقة). [79]

أما دراهم الخليفة المتقي بالله، فقد حملت الدراهم العديد من أسماء المدن ومنها: (مدينة السلام، البصرة، سرمن رأي، الكوفة، واسط). [80]

ونلاحظ أن ظهور هذه المدن على الدراهم كان في المدار الأول من مركز الوجه، كما نلاحظ هذه المدن الظاهرة على الدراهم العباسية منها ما هو متواجد أشكالها، ومنها ما يصعب الحصول عليه، نحاول إبراز هذه الصور في الملاحق حسب الصورة المتاحة بين أيدينا.

ومع هذا زاد عدد المدن التي ضربت فيها الدراهم العباسية بسبب اتساع رقعة الدولة، وأحداث دور سك في مدن جديدة أو متطورة مثلاً (مصر) لم ترد على الدراهم الأموية، ولكنها وردت على الدراهم العباسية منذ سنة (108هـ)، ومثل ذلك (صنعاء، والكوفة، وأنطاكيا، والرافقة).

ظهور المأثورات الدينية على الدراهم

منذ أن سك العباسيون نقودهم ظهرت على الدراهم الآية القرآنية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[81]، وذلك في مدار مركز الظهر. [82]

وفي سنة (199هـ) على يد الخليفة المأمون تغيرت العبارات الدينية المسجلة على السكة العربية الإسلامية، فظهرت الآية القرآنية التي أصبحت تميز السكة العباسية ونصها: ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾[83]، حيث كتبت في المدار الخارجي على مركز الوجه. [84].

الدراهم ذات الطابع الإعلامي

لقد عثر على دراهم عباسية في مدينة (الكاظمية) سنة (1945م) تعود إلى عهد الخليفة المقتدر بالله (295–320هـ)، حيث تزن هذه الدراهم (3.3غم) وقطرها (20مم)، ونقش على وجهها صورة فارس ممتطياً جواده، والنقش ناتئ والجواد في هيئة سير، وإلى يمين رأس الفارس نقشت وبخط كوفي كلمة (لله) وإلى يساره (جعفر)، وجعفر هو الخليفة الملقب بالمقتدر بالله، والفارس كامل اللباس ويمسك بيده اليمنى لجام جواده، ووضع يده اليسرى على قبضة سيفه المتدلي، ووضع جسم ووجه الفارس في هيئة ثلاثية الأرباع والجواد في هيئة جانبية [85].

أما ظهره فمزين بتصوير ثور بارك وبنقش ناتئ كذلك، وكتب فوق ظهر الحيوان وبخط كوفي متقن المقتدر بالله، ولم يشك أحد من المتخصصين في أن هذه الصورة تمل غير الخليفة المقتدر بالله [86] انظر شكل (17) .

ومع ذلك فقد ضربت دراهم ذات طابع إعلامي سيئ هدفها الإساءة لشخص الخليفة بتصويره يشرب الخمر، وكشخص جالس وبيده كأس شراب، أو ألة طرب وحوله جاريتات، أو صور حيوان كتب حول هذه الصور الآدمية أو الحيوانية اسم أحد الخلفاء العباسيين (المقتدر بالله، والطائع بالله، والقائم بأمر الله)، وقد نسب بعض الباحثين والدارسين هذه النقود إلى الخليفة نفسه، إلاَّ أن الحقيقة التاريخية أكدت أنها ضربت من قبل الأعداء أو المنافسين الحاقدين المقربين للخلفاء أنفسهم، بعد أن استهانوا بخلافة العباسية المتمثلة في شخصية الخليفة نفسه. [87] انظر شكل (18–19)

الخاتمــة

إن الدراهم من النقود الرئيسة المستخدمة في الأسواق مع الدنانير، وإن الدرهم العباسي لعب دوراً كبيراً في تصحيح بعض المعلومات التاريخية عن الدولة العباسية.

وتمكن أهمية الدرهم العباسي في كونه ميداناً واسعاً لدراسة الكنى والألقاب، حيث ظهر على الدرهم العباسي أسماء الخلفاء وألقابهم، وكذلك أسماء أولياء العهد، وكذلك أسماء الوزراء والولاة والعمال المشرفين على دور السك، وأيضاً حملت تاريخ ومكان السك.

فهذا يساعد الدارس على فهم بعض النظم والاتجاهات التي لم تذكر في الكتب التاريخية، كما أن الدرهم العباسي يلقي الضوء على الأحداث السياسية والاجتماعية والعسكرية، وبذلك يعتبر الدرهم العباسي من الوثائق المهمة لدراسة تاريخ الدولة العباسية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث أن الدراهم العباسية شهدت تطوراً مهماً في عصر الخليفة (هارون الرشيد)، ولأول مرة في العصر الإسلامي تمثل في قيام السيدة (زبيدة) (أم جعفر) زوجة الخليفة الرشيد بإصدار دراهم باسمها، وهذا يدل على مكانتها الخاصة والرفيعة عند الخليفة.

ونلاحظ أن الخليفة (هارون الرشيد) هو أول من ترفع عن مباشرة العيار نفسه، حيث عهد بهذا الأمر إلى العمال والولاة، وبذلك تزايد ظهور أسماء الولاة والوزراء والمشرفين على ضرب النقود على الدراهم العباسية.

وعند عهد الخليفة المنصور ورد اسم ولي العهد على الدراهم العباسية.

ويبدو لنا أن ظهور اسم (داود) على دراهم مدينة الري بالرغم من أنه حير بعض الباحثين؛ لأن (داود) والياً على مصر، وظهر اسمه على دنانير مصر، إلاَّ إنه يبدو لنا أن هناك تشابه في الأسماء، وخير من تلكم في ها الموضوع الدكتور (محمد فهمي).

وخير دليل على أن الدراهم العباسية تعتبر وثائق مهمة لدراسة تاريخ الدولة العباسية، فقد كانت الدراهم تحمل اسم (مدينة السلام) كمدينة للسك قد وضعت جد للجدال الذي كان قائماً بيم المؤرخين في تحديد سنة انتقال الخليفة المنصور من عاصمته السابقة (الهاشمية) إلى عاصمته الجديدة (مدينة السلام)، فبعضهم يذكر سنة (145هـ)، والبعض الآخر سنة (147هـ)، حتى أن بعضهم ذكر سنة (149هـ)، ولكن نجد أن الدرهم العباسي الأول المضروب بمدينة السلام يرجع إلى سنة (146هـ)، وهكذا حدد هذا الدرهم تاريخ انتقال الخليفة المنصور إلى عاصمته الجديدة (مدينة السلام).

وحملت الدراهم العباسية في عهد الخليفة المنصور كلمة (بخٍ) وتعني (جيد)، وذلك سنة (148هـ)، وتكررت في سنة (154هـ) (بخٍ بخٍ)، وذلك في أسفل مأثورة مركز الظهر، واستمرت بالظهور حتى السنة الأخيرة من خلالة المنصور.

أما الخليفة المهدي نلاحظ أنه أضاف عبارة (صلى الله عليه وسلم) بعد (محمد رسول الله)، كما نلاحظ أنه استخدم دراهمه المضروبة سنة (169هـ) في عهد خلافة هارون الرشيد لم ينقش أي اسم على الدراهم العباسية ما عدا اسم الخليفة، وذلك لأن الخليفة هارون الرشيد نصب السندي بن شاهيك مشرفاً على دور الضرب، بعد أن أعدم جعفر الرمكي في تلك السنة، وربما يعود السبب في ذلك هو خوف السندي من أن يفعل به ما فعل بجعفر البرمكي.

وإن ظهور اسم (علي الرضا) ولياً للعهد في السنوات (202–204هـ) على الدراهم المضروبة في كل من المحمدية وبيستابور ومرو فقط، لهو دليل على ما ذكرته المصادر التاريخية حول تمرد أهل العراق على الخليفة المأمون سنة (202هـ)، ربما بسبب إقامته في مدينة مرو بعياً عن العاصمة، حيث نلاحظ عدم حمل الدراهم المضروبة بالعراق، وخاصة دراهم مدينة السلام العاصمة اسم أو لقب على الرضاء.

وكما سبق وأن ذكرنا أن الدراهم العباسية تلقي الضوء على جميع الأحداث، فخير دليل على ذلك بروز اسم حميد على الدراهم العباسية المضروبة بالعاصمة مدينة السلام، وهو حميد بن عبد المجيد قائد جيوش المأمون للسنوات (203–204هـ).

وكذلك نجد أن الخليفة الواثق بالله هو أول من ضرب الدراهم بسامراء عاصمتهم الجديدة.

ومن الملفت للنظر أن الخليفة المستنصر بالله سك درهم اميز بصغر حجمه إذ أن قطره (18ملم)، وقد ضرب هذا الدرهم بـ(سرمن رأي) سنة (248هـ).

ونلاحظ أن المدن التي ضربت فيها الدراهم العباسية قد زادت، وذلك بسبب اتساع رقعة الدولة العباسية، وأحداث دور سك في مدن جديدة أو متطورة مثلاً (مصر)، لم ترد على الدراهم الأموية، ولكنها وردت على الدراهم العباسية منذ سنة (180هـ)، ومثل ذلك: (صنعاء ومكة وأنطاكيا والرافقة).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك دراهم ذات طابع إعلامي سيئ هدفها الإساءة لشخص الخليفة بتصويره يتعاطى الخمر وحوله الجواري وآلات الطرب، أو صور حيوان كتب إلى جانبها اسم الخليفة مثل: (المقتدر بالله والطائع بالله والقائم بأمر الله)، ويبدو لنا واضحاً أنها سكت من قبل الأعداء أو المنافسين الحاقدين المقربين للخلفاء أنفسهم، بعد أن استهانوا بالخلافة العباسية المتمثلة في شخصية الخليفة نفسه.

الأشكال :

شكل (1) أول درهم عباسي مضروب بمدينة السلام 146هـ في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 1982، 212)

شكل (2) أول درهم عباسي مضروب بمدينة السلام 147هـ في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 1982، 212)

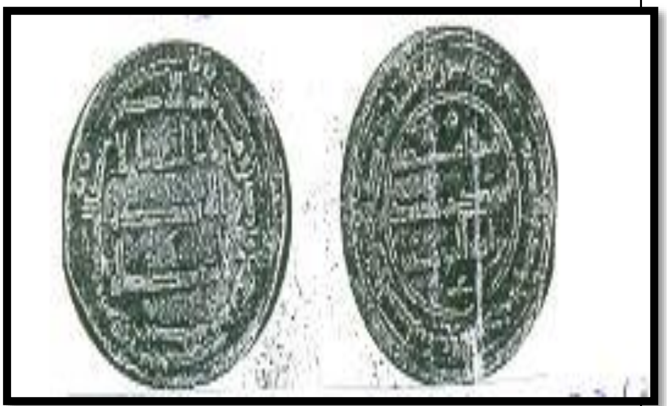

شكل(3) درهم عباسي ضرب بالمحمدية 149هـ، في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 2000، 264)

شكل (4) درهم عباسي ضرب 148هـ ويحمل كلمة بخٍ في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 1982، 212)

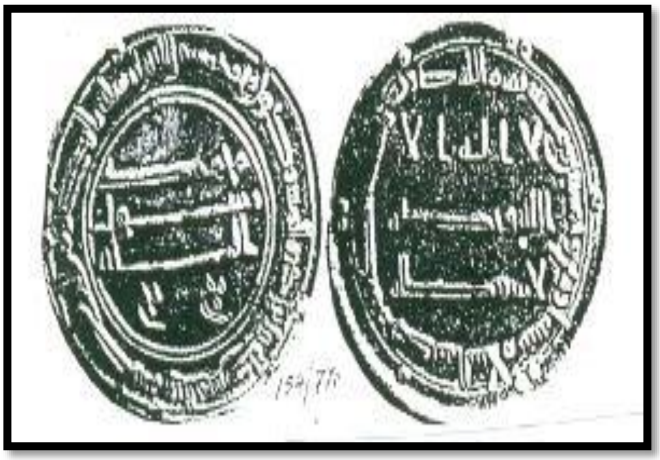

شكل (5) درهم عباسي ضرب 154هـ ويحمل كلمة بخٍ بخٍ في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 1982، 212)

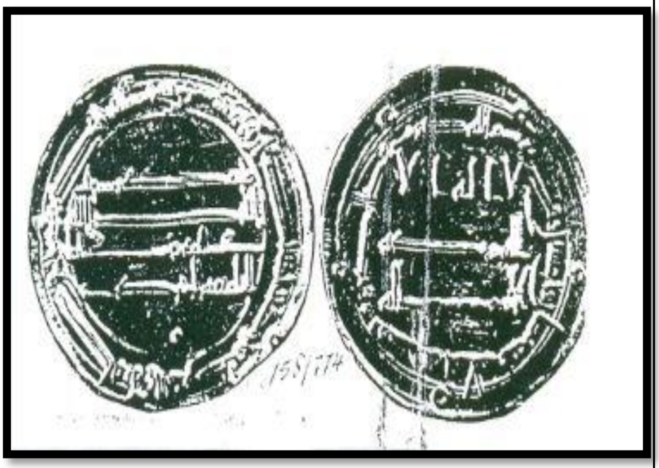

شكل (6) درهم عباسي مضروب بمدينة السلام 158هـ ويحمل اسم الخليفة المهدي(عن القيسي، 1982، 216)

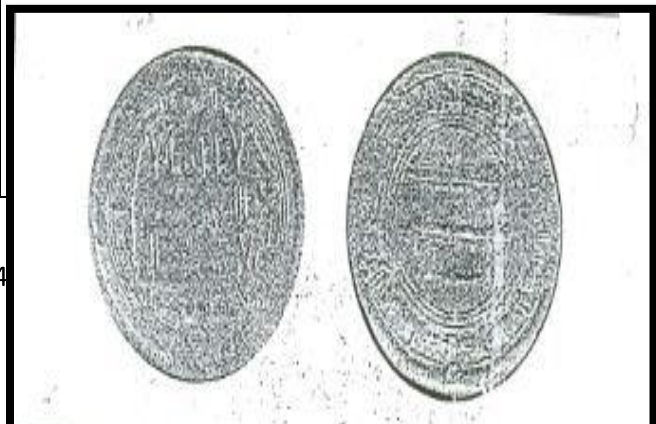

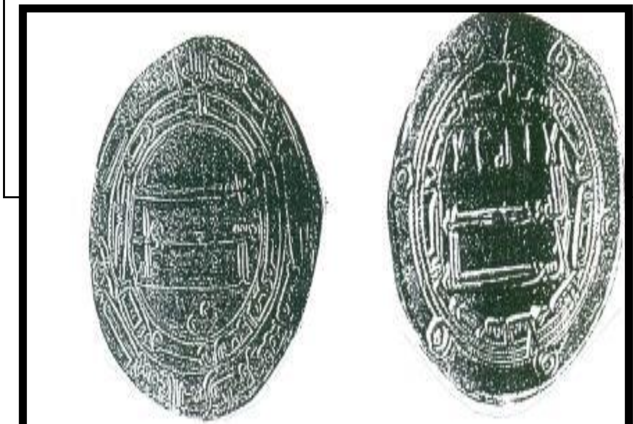

شكل (7) درهم عباسي مضروب بمدينة الكوفة 162هـ ويحمل اسم الخليفة المهدي(عن القيسي، 1982، 264)	**شكل (8) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 170هـ منذ عهد الخليفة هارون الرشيد (عن القسوس وطروانة، 1991، 69)**
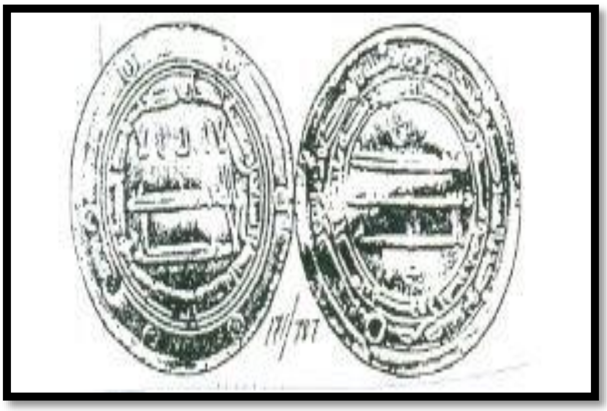 **شكل (9)) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 171هـ (عن القيسي، 1982، 223)**	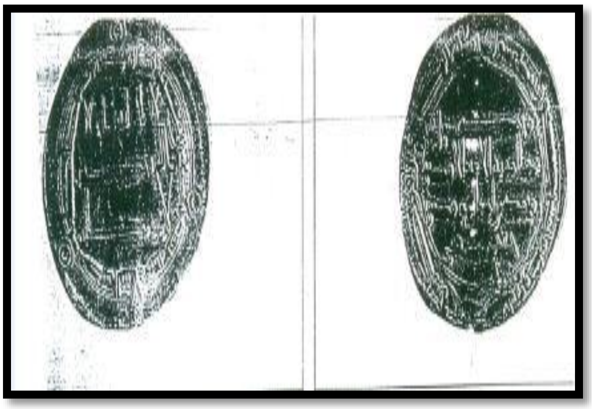 **شكل (10) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 179هـ في عهد الخليفة هارون الرشيد (عن القسوس وطروانة، 1991، 70)**

 شكل (11) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 179هـ في عهد الخليفة هارون الرشيد (عن القيسي، 2000، 295)	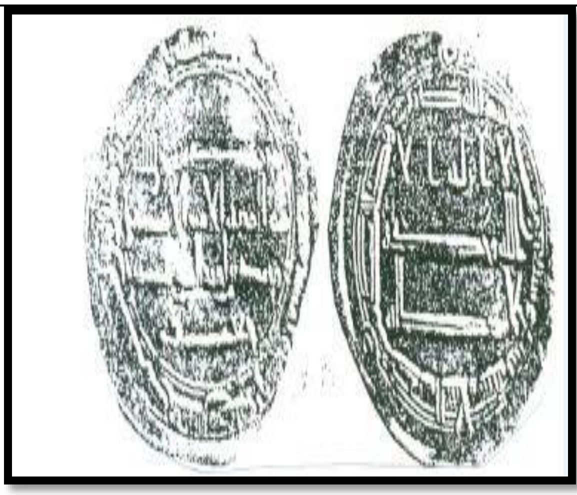 **شكل (12) درهم عباسي مضروب 174هـ (عن القسوس وطروانة، 1991، 70)**
 شكل (13) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 146هـ في عهد الخليفة المنصور(عن القيسي، 1982، 212)	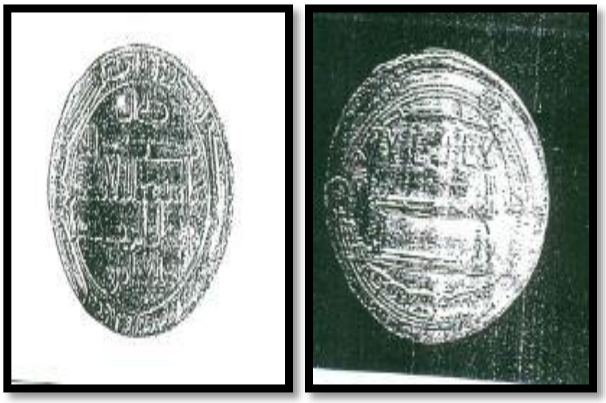 **شكل (14ب) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 194هـ للخليفة الأمين (عن القسوس وطروانة، 1991، 70)**
 شكل (15) درهم عباسي ضرب بمدينة السلام 245هـ في عهد المقتدر بالله (عن القيسي، 2000، 265)	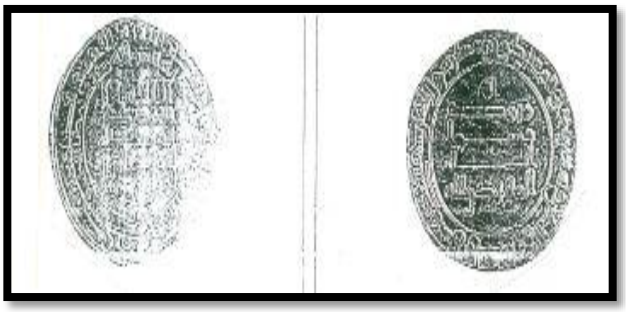 **شكل (16) درهم عباسي للخليفة المقتدر بالله ضرب بالكوفة 179هـ في عهد الخليفة هارون الرشيد (عن القيسي، 2000، 295)**

شكل (17) درهم عباسي فضي نقش فوق صورة الحيوان المقتدر بالله وفوق صورة الفارس لله جعفر عن (الحسيني ،247:1985)

شكل (18) درهم عباسي نقش عليه المقتر بالله عن (الحسيني ،248:1985)

شكل (19) درهم عباسي مضروبة بمدينة السلام 365 هـ نقش عليه اسم الخليفة الطائع بالله عن (الحسيني ،247:1985)

الحواشـــي:

1 أبو الفرج العشن ، المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، المؤتمر التاسع للأثار الإسلامية في البلاد العربية ، صنعاء، 1980م، ص205.
2 القران الكريم، سورة الشورى، الآية 23.
3 ناهض القيسي، المسكوكات، جامعة بغداد، 1982م، ص93.
4 ناهض القيسي ، موسوعة النقود العربية الإسلامية، دار أسامة، عمان،2000م ، ص45-46.
5 ناهض القيسي، مرجع سابق، 1982م، ص93
6 المرجع نفسه، ص 93
7 المرجع نفسه، ص49
8 البكري، كنز العطفية الفضي، مجلة المسكوكات، العدد 4، د. ت، ص37
9 البكري، مرجع سابق، ص37
10 ناهض القيسي، مرجع سابق، 2000م، ص49.
المرجع نفسه، ص55.
12 المرجع نفسه، ص55.
13 المرجع نفسه، ص 57
14 عاطف رمضان، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 1982م، ص197.
15 ناهض القيسي، مرجع سابق، 2000م، ص63.
16 محمد فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار الكتب، القاهرة، 1965م، ص102.
17 أنيس الأبيض، الحضارة العربية الإسلامية، دار جروس، لبنان، 1994م، ص128.
18 المرجع نفسه، ص 129.
19 عبد القديم زلوم، الأموال في دولة الخلافة، دار العلم، لبنان، 1983م، ص207.
20 المرجع نفسه، ص 207
21 ناهض القيسي، 2000م، ص84.
22 المرجع نفسه ص 84
23 المرجع نفسه، ص 85
24 أنيس الأبيض، مرجع سابق، 1994م، ص129.
25 ناهض القيسي، 2000م، ص94.
26 عيسى سليمان، صور من حياة الخليفة العباسي المقتدر بالله ، مجلة المسكوكات، (ب.ت)، ص
27 ناهض القيسي ، 2000م، ص99.
28 المرجع نفسه، ص101.
29 المرجع نفسه، ص103.
30 ناهض القيسي ، 2000م ، ص104.
31 المرجع نفسه، ص114.
32 المرجع نفسه ، ص116.

33 عاطف رمضان، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، مصر،1982م، ص180.
34 المرجع نفسه، ص187.
35 نفسه.
36 أنيس الأبيض، مرجع سابق، ص129.
37 الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المجلد الثامن، بيروت، 1966م، ص589.
38 ناهض القيسي، 2000م، ص116.
39 ناهض القيسي، 2000م، ص93.
40 المرجع نفسه، ص61.
41 المرجع نفسه، ص66.
42 المرجع نفسه، ص96.
43 الرجع نفسه، ص50.
44 عاطف رمضان، مرجع سابق، ص181.
45 ناهض القيسي ، 2000م ، ص49.
46 عاطف رمضان، 1982م، ص181.
47 ناهض القيسي ، 2000م ، ص55.
48 المرجع نفسه، ص60.
49 المرجع نفسه، ص61.
50 المرجع نفسه، ص63.
51 ناهض القيسي ، 2000م ، ص64.
52 المرجع نفسه، ص96.
53 المرجع نفسه، ص96.
54 المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، ج 2، القاهرة، 1967م، ص347.
55 ناهض القيسي ، 2000م ، ص84.
56 المرجع نفسه، ص86.
57 المرجع نفسه، ص96.
58 المرجع نفسه، ص101.
59 عاطف رمضان، مرجع سابق، ص176.
60 المرجع نفسه، ص181.
61 ناهض القيسي، 2000م ، ص54.
62 رمضان، 1982م، ص185.
63 المرجع نفسه، ص188.
64 القيسي، 2000م، ص60.
65 القيسي،2000م، ، ص63.
66 المرجع نفسه، ص66.

67 المرجع نفسه، ص74.

68 المرجع نفسه، ص76.

69 نفسه.

70 المرجع نفسه، ص80.

71 القيسي، 2000م ص82-83.

72 الأبيض، 1994م، ص136.

73 المرجع نفسه، ص139.

74 القيسي، 2000م، ص89.

75 المرجع نفسه، ص90.

76 المرجع نفسه، ص93.

77 القيسي، 2000م، ص96.

78 القيسي، 2000م ، ص99.

79 المرجع نفسه، ص101.

80 المرجع نفسه، ص103.

81 سورة الصف، الآية: (9)

82 فهمي محمد، 1965فجر السكة، دار الكتب ،القاهرة ، ص89

83 سورة الروم، الآية (4-5)

84 فهمي محمد، 1965م، ص89

85عيسى سليمان، صور من حياة الخليفة العباسي المقتدر باللهمن درهم صلة باسمه، مجلة المسكوكات، (ب.ت)

86عيسى سليمان ، مرجع سابق، ص20

87 الحسيني، محمد باقر، النقود العربية الإسلامية ودورها الحضاري والإعلامي، بغداد، 1985م.، ص71

الخصائص النوعية للفنون الصخرية في ليبيا

محمد علي أبو شحمة
جامعة مصراته
Email/moh.abushahma @art.misurata.aduly

الملخص

يمكن حصر هذه الخصائص في النقاط الآتية:

أولاً الخامة: كانت الجدران الصخرية هى المادة المستخدمة في تنفيذ الأعمال الفنية والتي يتم اختيارها بعناية فائقة حتى تتناسب مع الشكل المراد تنفيذه عليها. واستخدمت الألوان المستخرجة من المكونات الطبيعية بالمنطقة إلى جانب بقايا الفحم النباتي والعظام المحروقة.

ثانياً الأسلوب: تميزت منطقة شمال إفريقيا بوجود أسلوبين في تنفيذ الأعمال الفنية الصخرية هما: أسلوب النقش وهو الأقدم ويتم باستخدام أداة حجرية مدببة أو الفؤوس اليدوية، وأما أسلوب الرسم والتلوين فقد استخدم الفنان ألوان متعددة مثل الأحمر والأصفر والأسود في رسم الحيوانات والأشكال البشرية.

ثالثاً الشكل: حيث تنوعت الأشكال التي ظهرت في الفنون الصخرية إلى أشكال حيوانية، وأشكال أدمية، وأشكال أقنعة الوجه، وأشكال تجمع بين الصفات الإنسانية والحيوانية، وأشكال عبارة عن صفوف من النقاط، وأشكال تعبر عم طبعات الأيدي، وأشكال تصور الأسلحة، وأشكال تصور بعض الأدوات المستخدمة، وأشكال تعبر عن الأنشطة الاجتماعية والثقافية المختلفة التى مارسها سكان عصور ما قبل التاريخ.

رابعاً الغرض والمعني: اختلفت الآراء حول أغراض ومعاني الفنون الصخرية.
خامساً المضمون: فقد كان لكل عمل فني شكل ومضمون.
سادساً السياق الثقافي: يتضمن الأدوار والمراحل التي مر بها الفن الصخري من دور الحيوانات المتوحشة، ودور الرؤوس المستديرة، ودور الرعاة، ودور الحصان، ودور الجمل.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة الخصائص النوعية للفنون الصخرية التي تعود إلي عصور ما قبل التاريخ في ليبيا، وذلك من حيث الخامة المستخدمة في تنفيذ تلك الأعمال، وأسلوبها الفني والشكل والغرض الذي من أجله تكبد الفنان معاناة تصويرها، ومضمونها، وسياقها الثقافي.

ومن هنا فإن الهدف الذي تسعى لتحقيقه هذه الدراسة هو الكشف عن المعايير الفنية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة الفنون الصخرية.

ومن أهم أسباب اختيار الموضوع هو الأهمية الكبيرة التي تمثلها الفنون الصخرية باعتبارها رافداً مهماً لدراسة الفنون الإنسانية في الفترات التاريخية اللاحقة، إلى جانب أن تلك الفنون تعد من أهم مظاهر الحضارة الليبية في عصور ما قبل التاريخ، وتعكس المستوى الحضاري لسكان ليبيا القدماء، إضافة إلى التعرف علي الأسباب التى دفعت الإنسان القديم لإنتاج تلك الفنون.

تقوم الدراسة على تساؤلات عدة منها: ما نوع المادة المستخدمة في تنفيذ تلك الفنون؟ وما هو الأسلوب المتبع في تنفيذها؟ وكيفية التعرف على الأنشطة الاجتماعية والثقافية التى كانت سائدة خلال عصور ما قبل التاريخ؟

ويمكن طرح اشكالية الدراسة علي النحو الآتي: إلى أي درجة يمكن التعرف على الخصائص التي تتسم بها النقوش والرسوم الصخرية في الصحراء الليبية.

يتفرّد الإنسان عن سائر المخلوقات بما يملكه من قدرات عقلية متطورة وقدرات خاصة في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، بل تعدى ذلك حتى شمل التعبير عن مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، فالإنسان يمتلك قدرة خاصة في نقل الصورة غير المرئية من الذات الإنسانية وغير الإنسانية إلى صورة يمكن إدراكها بالمشاهدة البصرية، وغير البصرية، واستخدم في ذلك وسائل تعبيرية متعددة، وكان للأحداث والظروف التي عاشها من جهة، ولتطوره الحضاري من جهة أخرى، أثر في تكوين صورة لذاته، وللنفس البشرية المحبة للجمال وتذوقه، ومن ثم فإن مزاولة الإنسان للفن بأي مستوى كان من الأمور الطبيعية التي وجدت مع الإنسان في جميع فترات حياته، غير أن أسلوب التعبير تغير واختلف باختلاف البيئة، وتغير الظروف والزمان، ونتج عن ذلك تنوع في الأساليب والطرز، فالفن يتصل بكل العوامل التي تؤلف حياة المجتمع دينية، واجتماعية، وفكرية.

ويمكن حصر المعايير التي يُعتمد عليها في دراسة الفن الصخري في مرحلة ما قبل التاريخ في الخامة والأسلوب ، الشكل ، الغرض ، المضمون ، السياق الثقافي.

أولاً: الخامة:

كانت الأسطح الصخرية سواء في المناطق المفتوحة أم داخل الكهوف والمأوى الصخرية، هي المادة التي مارس عليها فنانو عصور ما قبل التاريخ فنونهم بشمال إفريقيا والصحراء الكبرى، لكونها الخامة الأكثر توفراً، والأوسع انتشاراً في ذلك الوقت، وتوفرت لها الحماية من الظواهر الطبيعية خاصة الأمطار، ومن الملاحظ أنه لم يتم استخدام الكهوف العميقة والمتسعة إلا نادراً، ولم توجد إلا في حالتين فقط بالأكاكوس، وذلك في كهف وأن أميل، وكهف وادي كيسان[1]. (لوحة رقم 1)

وكانت الجدران تصبغ بالألوان الأرضية المخلوطة بالغبار والأصباغ النباتية، لذلك ظل المدى اللوني مقصوراً على درجات البني، والأسود، والرمادي، والأبيض، إضافة إلى المغرة الحمراء والصفراء[2]، ويتم اختيار الصخور التي تنفذ عليها هذه الأشكال الفنية بعناية فائقة، بحيث تكون كتلة واحدة مستطيلة الشكل في الغالب، وتتناسب مع الشكل المراد تنفيذه عليها، وفي بعض الأحيان يتم اختيار صخرة ذات سطح خشن، ولها حواف حادة تتماشى مع جسم الحيوان المراد نقشه عليها.

أما التلوين فقد كان يتم إما بلون واحد، أو بأكثر من لون، وقد تم العثور في أحد المواقع بالجزائر على بقايا أحجار الرحى المصنوعة من الصوان المستخدمة في طحن الصخر الذى يستخرج منه الألوان، إضافة إلى العثور على بقايا من هذه الألوان، وكان يتم استخراج الألوان خاصة اللونين الأحمر والبني من الرواسب الطبيعية لأكسيد الحديد الأحمر، وكربونات الحديد المتدرجة من الأصفر إلي البرتقالي، وقد بينت الكشوف الأثرية في العديد من مواقع عصور ما قبل التاريخ وجود عروق صخرية تحتوي علي اللون الأحمر بنسبة عالية، كما تم الكشف عن بعض الحصى التي ظهرت عليه أثار استعمالات قديمة استخدمت فيها طريقة الحك، وتبين من خلال إعادة العملية الحصول على غبار ناعم أحمر اللون يحمل نفس مواصفات اللون الأحمر الداكن المستخدم في تلوين الرسوم الصخرية[3].

إن الاستخدام الواسع لهذا اللون في جميع الأدوار التي مرت بها الرسوم الصخرية يشير إلى توفره في الطبيعة، وإمكانية الحصول عليه بكل يسر وسهولة، أما اللون الأبيض فيتم استخراجه من مادة الكاولين، أو من أكسيد الزنك، كما يستخرج من عصارة بعض النباتات، واستخدم الفحم

النباتي والدخان والعظام والدهون المحروقة في الحصول علي اللون الأسود، إلى جانب ذلك استخدمت ألوان أخرى مثل: الأصفر، والأخضر، والبنفسجي المتوفرة في الطبيعة، ويتم تجهيز هذه الألوان بطحن حبيبات الصخر أو خام اللون في أهران صغيرة وتخلط، ثم يضاف إليها سائل نباتي، أو الحليب، أو زلال البيض، أو العسل، أو نخاع العظام المطبوخة، أو أي مادة أخرى ذات لزوجة عالية، ولعل هذا ما يفسر لمعان الصور بعد آلاف السنين، وتعالج الألوان بأصابع اليد، أو بالقش، أو الخشب، أو فرش صغيرة من شعر
الحيوان[4]. (لوحة رقم 2)

كما يشير بعض الباحثين إلى طريقة أخرى كانت مستعملة تتمثل في وضع حفنة من اللون في عظمة فارغة يُنفخ من خلالها مسحوق اللون على الأشكال الفنية التي قام الفنان برسمها[5].

ثانياً: الأسلوب:

من الملاحظ أن أكثر المشاهد انتشاراً في فنون ما قبل التاريخ بالصحراء الكبرى هي مناظر الحيوانات، وربما يكون سبب ذلك عائداً إلى اعتماد السكان على صيد الحيوانات البرية أولاً، ثم استئناسها في فترات لاحقة، وعلى هذا يتضمن الأسلوب الفني من الناحية الثقافية تنظيم الواقع وتنسيقه، والأساليب التصويرية، والمستويات المختلفة للقيم، وذلك لأن الأسلوب الفني مهما برزت فيه شخصية الفنان الفردية، فهو يمثل الأسلوب المميز للجماعة، أو الثقافة التي ينتمي إليها الفنان[6].

وتتميز منطقة الشمال الإفريقي عامة بوجود أسلوبين يهيمنان على النقوش والرسوم الصخرية، يتسم الأول بمحاكاة الطبيعة، ويتجه الثاني نحو التجريد والرمزية، فهناك مشاهد واقعية تنبض بالحياة، تصور الحيوانات، ومناظر الصيد والقنص، والمعارك الحربية، في الوقت الذي وجدت فيه مشاهد اختزلت تصويراً إلى حد يجعل من بعضها لا صلة له بالأشياء المشار إليها.

وتتفق الأشكال الفنية في عدم وجود إطار معين يحددها، ومن ثم فهي تفتقر إلى التنسيق والتنظيم[7]، ويقوم أسلوب تنفيذها على أسلوبين متميزين هما النقش والرسم، وذلك على النحو التالي:

1 _ أسلوب النقش:

هو أقدم من أسلوب الرسم والتلوين على الرغم من وجودهما معاً في مواقع عدة، وفي بعض الأحيان وُجد على المساحات الصخرية نفسها، وتمت معالجة النقوش بأسلوب فني فضفاض

وخشن، وبنقوش غائرة، وتعبر نقوش أقدم الأدوار عن نزعة طبيعية خاصة في تصوير الحيوانات[8].

تقنية النقش:

يتم النقش فوق الصخر الجيري اللين، أو حجر الجرانيت، أو حجر الكوارتزيت بواسطة أداة حجرية مدببة، تدق بواسطة أداة حجرية أخرى، حيث تم العثور على نماذج من هذه العينات في بعض المواقع، كما استخدمت الفؤوس الحجرية أو قطع الأخشاب المدببة، وربما استخدم الرمل المبلل كسنفرة للسطح، ويتم الحفر إما على شكل حرف V أو حرف U ويتراوح عمقه ما بين 22 – 30 ملليمتراً، مع وجود نقوش لا يتجاوز عمقها 7–8 ملليمتراً[9]، ويتراوح عرضه من 15 – 16 ملليمتراً[10]، وفي بعض النماذج يصل عمقه في الصخر إلى نحو سنتيمتر واحد تقريباً، وبعد أن يتم الحفر يبدأ في تشذيب الخطوط وتنعيمها من الداخل، لكى تبين الظلال وإظهار جلود الحيوانات، كما وجدت بعض النماذج التي حُفرت بأكملها حتى ظهرت في شكل نحت غائر[11]، مع أن الغالب هو ترك الصخرة على طبيعتها دون صقل.

ومن جانب آخر فقد اختلف أسلوب النقش من عصرٍ لآخر، ومن فترة زمنية لأخرى، فكان الأسلوب الأقدم هو الأسلوب الطبيعي الذى تميزت به مرحلة الصيد، فقد جاءت الصور بأسلوب محاكٍ للطبيعة، وتمثل حيوانات كبيرة الحجم، ثم تطور هذا الأسلوب ليصبح رمزياً فأصبحت أحجام الحيوانات أصغر حجماً، كما أن الفنان لا يعطى أهمية كبيرة لموضوع الرسم كأن يرسم القرون ليعبر عن الرأس، وفي هذا الجانب يشير بعض الباحثين إلى وجود فراغ دائم بين إدراك الشيء وإنجازه[12]، وإذا تمكن الفنان بقدرته الفنية أن يتخطى هذا الفراغ، فإنه يتمكن من رسم صورة واقعية تحاكي الطبيعة، وينجح في إنجاز فكرته، وبالتالي يكون النقش مطابقاً للموضوع، ولعل من أحسن الأمثلة التي تمثل ذلك النقوش المكتشفة في وادي تشوينت بأكاكوس ونقوش منطقة تاسيلي، وفى عدة مواقع بالمنطقة الشمالية الغربية من ليبيا مثل أبيار مجى وسيدى الغريب بترهونة، وودي الخيل وطبقة على حافة الحمادة الحمراء[13].

2 . أسلوب الرسم والتلوين:

عادة ما توجد الرسومات الملونة في المأوى الصخرية والمغارات، حيث أدرك الفنان أهمية تنفيذ هذه الأعمال بأسلوب الرسم والتلوين في أماكن توفر لها الحماية من العوامل الطبيعية، إلي جانب شغلها في نفس أماكن الإقامة الدائمة للسكان؛ فقد عُثر على الآلاف من الرسومات الملونة في مرتفعات الأكاكوس، وتاسيلي، ومرتفعات الحجار، وجبل العوينات، واستخدم الفنان ألوان متعددة مثل الأحمر، والأصفر، والأسود، والأبيض في رسم العناصر البشرية، والحيوانات

المستأنسة، والقليل جداً من الأشكال التي تصور حيوانات الصيد، وقد أُنجزت اللوحات بواسطة مواد ملونة، تعتمد في طريقة رسمها علي خطوط بسيطة محددة للرسم، ومن الملاحظ أن بعض الألوان تُعبر عن بعض المفاهيم والرموز، فاللون الأبيض يبدو أن له رمزية دينية حيث صُورت بعض الشخصيات الأدمية بحجم كبير، ويغطى اللون الأبيض أو الأبيض المائل للصفرة الشكل بالكامل، كما تبين من دراسة العديد من اللوحات التى فُسرت موضوعاتها على أنها ذات دلالة دينية أن اللون الغالب فيها هو اللون الأبيض، وقد وجدت نماذج منها في كهفي وان موهجاج، وأنشال بالأكاكوس[14].

ثالثاً: الشكل:

يعد تحليل الشكل من أهم الركائز التي يُعتمد عليها في تصنيف المواد الفنية، ومن أهم العناصر التي تميز الفنون الخاصة بثقافة معينة، حيث تبدأ عملية الوصف بتناول الشكل العام، ثم دراسة التفاصيل الدقيقة التي تتضمنها المواد الفنية[15].

الأشكال الفنية التي تضمنتها النقوش والرسوم الصخرية:

1 – الأشكال الحيوانية:

يعتبر العنصر الحيواني من أهم العناصر التي تناولتها نقوش ورسوم فن ما قبل التاريخ، بل إنها سيطرت على جميع المراحل التي مر بها هذا النوع من الفن، وقد تعددت هذه الأشكال واختلفت لتشمل الحيوانات البرية، والبرمائية، والصحراوية، وهى علي النحو التالي:

- الثيران والأبقار الوحشية.
- الفيلة، الزراف، الكركدن، الغزال، الوعل، الظباء، الأسود، الخنازير، القرود، التماسيح، الأفاعي، أفراس النهر، الطيور والنعام، كلاب الصيد، الأبقار المستأنسة، الكباش والنعاج، الحمير، الخيول، الجمال. (لوحة رقم 3)

2– الأشكال الأدمية:

احتوت النقوش والرسوم الصخرية أشكالاً بشرية بفئاتها الثلاث، وتصنف على النحو التالي: الرجال، والنساء، والأطفال، وظهرت بعض الأشكال بحجم كبير وعملاق، أو بأحجام مبالغ فيها، وربما كان لذلك غرض ديني أو سحري.(لوحة رقم 4)

3 – أشكال لأقنعة الوجه:

تضم هذه النقوش والرسوم صوراً لأقنعة الوجه تأخذ شكل رؤوس الحيوانات مثل: الأبقار الوحشية، والثعالب، وابن أوى.

4 – أشكال تضم وتجمع بين الصفات الإنسانية والحيوانية:

ظهرت بعض النماذج تجمع بين الخصائص البشرية والحيوانية منها شكلٌ يصور كائناً خرافياً عملاقاً له رأس حيوان وجسم إنسان وجد بكهف وان أشراف بوادي آريان[16]، وربما ارتبط هذا الشكل بعبادة الأرواح أو آلهة الصيد عند سكان الوادي المعتمدين في حياتهم على الصيد.

5– أشكال عبارة عن صفوف من النقاط:

اختلف الباحثون حول دلالات هذه الأشكال فمنهم من يرى أنها تعبر عن أعداد الحيوانات التي يتم اصطيادها، أو أنها تعبر عن ملكية عدد معين من قطعان الأبقار والماشية المستأنسة، وقد وجدت نماذج منها في عدة مواقع بشمال غرب ليبيا أهمها موقعي الكليبا بغريان، وكهف قصر وادي ميمون[17]، وربما كانت أولى المحاولات المعبرة عن الكتابة، ولعلها حملت خصائص سحرية، وفي جميع الأحوال لا يمكن أن تكون مجرد عناصر فنية جمالية نفذت لهذا الغرض فقط.

6– أشكال تعبر عن طبعات كفوف الأيدي:

وهو نوع مميز من الأشكال التي يتضمنها الفن الصخري حيث قام الفنانون برسم ظل طبعات كفوف الأيدي باستخدام اللونين الأبيض والأحمر، وذلك إما برشها بالفم، أو بقطعة من العظام المجوفة على سطح الصخور، أو عن طريق تحديد خطوط بالمغرة حول كف اليد[18]، ربما كان الهدف منها الوقاية من الشر، فقد أصبحت أصابع اليد المفتوحة في الفترات التاريخية التالية من أهم الرموز السحرية التي تستخدم للوقاية من الحسد، وإبعاد الشر. (لوحة رقم 5)

7– أشكال تصور الأسلحة:

تعد النقوش والرسوم الصخرية سجلاً حافلاً لمختلف أنواع الأسلحة التي استخدمها إنسان عصور ما قبل التاريخ، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

القوس والسهم، البومرانج أو السهم العائد، أسلحة القذف، والهراوات، والرماح، والسيوف والخناجر، والسكاكين، والدروع، والعربات التي تجرها الخيول، أو الثيران. (لوحة رقم 6)

8 – أشكال تمثل الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية:

تشمل أنواعاً متعددة وأشكالاً مختلفة يمكن حصرها في الآتي:

الأوعية والأواني المستخدمة في أغراض مختلفة مثل: نقل المياه، وبذر البذور، وإطعام الماشية، وأواني تخزين الحبوب وحفظها، والأوعية المستخدمة في حلب الأبقار، والسلال ذات الأشكال المخروطية، وكذلك الأدوات الزراعية كعصا تقليب الأرض، ومناجل الحصاد، وأحجار الطحن المستخدمة في طحن الحبوب (لوحة رقم 7)، وكذلك اللجام المستخدم في السيطرة على الماشية والأبقار المستأنسة، إضافة إلى الأطواق المستخدمة في تميز الكباش المستأنسة، وايضاً اللجام الخاص بالخيول، والمستخدم كذلك في ركوب الجمال، وحزام السرج أو البردعة، والحبال، وشباك الصيد، والقوارب، والمناضد، والمصاطب، أدوات الزينة مثل: الأقراط، والعقود، والخلاخيل. (لوحة رقم 8)

9 – الأنشطة ومظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية:

أ– نشاط الصيد:

تم تصنيف المشاهد التي تُصور هذا النشاط إلى مجموعتين هما:

المجموعة الأولى: يظهر فيها الصيادون فقط، إما فرادى أو في مجموعات تحمل الأسلحة، وتتخذ أوضاعاً تتسم بالحركة والقوة استعداداً لصيد الفرائس، أو مطاردتها. (لوحة رقم 9)

المجموعة الثانية: تعبر عن مناظر الصيد، ويظهر فيها العنصران البشري والحيواني معاً، وتتميز بكثافة الرسومات وقوة الحركة والحيوية والنشاط. (لوحة رقم 10)

ب – النشاط الحربي ومواقع القتال:

صورت النقوش والرسوم الصخرية جانباً مهماً من الصراع المرير، والقتال الدامي الذى نشأ بين الجماعات السكانية المختلفة التي سكنت المنطقة، وتعاقبت عليها، ويبدو أن هذا الصراع ارتبط بالاحتياجات الأساسية اللازمة لاستمرار الحياة مثل: الطعام، والحصول على القدر الكافي من حيوانات الصيد، يضاف إلى ذلك الصراع حول مناطق الإقامة والإيواء، وحيازة الأرض، وغير ذلك من مختلف أسباب الصراع، ومن خلال هذه المشاهد يمكن تتبع مراحل تطور الأسلحة فضلاً عن تطور أساليب القتال بداية من اعتماد المحاربين على القوة الجسدية، ثم الاعتماد على قوة الحيوان، واستخدام العربات الحربية، ثم مشاهد التنظيم العسكري للمحاربين، ومن المشاهد التي تصور النشاط الحربي مشهد اكتشف بكهف وان اشراف بوادي آريان[19]. (لوحة رقم 11)

ح – نشاط استئناس الحيوان ورعاية الماشية والأبقار:

يمكن التعرف من خلال المشاهد المصورة على التحول المناخي الكبير الذى أصاب المنطقة، فبعد أن ساد المناخ الرطب بالمنطقة، وتميزت بغزارة أمطارها، وانتشرت فيها الحيوانات البرية الضخمة، تغيرت الظروف المناخية وبدأ المناخ يتجه نحو الجفاف، فتمكن الإنسان من استئناس الحيوانات التي كانت الأبقار أهمها فتحصل على اللحم واللبن منها، إلى جانب استغلالها في بعض الأعمال الزراعية البسيطة، ويمكن تصنيف هذا النشاط على النحو التالي:

- أشكال خاصة برعاية الأبقار تضم قطعان الأبقار، والرعاة حيث يظهر بعض الرعاة أمام القطيع أو خلفه، وفي بعض النماذج ظهرت قطعان الماشية بدون العنصر البشري، وفي بعض المشاهد يظهرأحد الرعاة وهو يقوم بإطعام إحدى الأبقار.(اللوحتين رقمي12– 13)
- مشاهد تصور عمليات الاستفادة من الماشية مثل عمليات حلبها، حيث ظهرت سيدة في مشهد وهي تحلب بقرة.

ج – النشاط الزراعي:

تُصور بعض المشاهد وتؤكد على ممارسة السكان للزراعة فأحد المشاهد يصور سيدة تحمل وعاء ربما قامت ببذر البذور، أو ريها بالمياه، ويبدو أن هذه السيدة حاملٌ لطفل، ومن المعروف أن بعض المجتمعات البدائية الزراعية تسند للمرأة الحامل القيام ببعض الأعمال الزراعية نظراً للاعتقاد بانتقال الخصوبة منها إلى الأرض الزراعية.

خ – أشكال تصور الممارسات السحرية والاعتقاد في القوى الخارقة:

تُصور بعض المشاهد نماذج من هذه المعتقدات منها على سبيل المثال ما يلي:

- التنكر في شكل الحيوان للحصول على صيد وافر نظراً للاعتقاد قديماً بأن الحيوان يتمتع بقوة خارقة أراد الإنسان أن يمثلها في نفسه أثناء صراع الإنسان مع الحيوان، وكان هذا التنكر يتم كلياً بمعنى أن يتخفى الصياد في شكل شبه كامل واضعاً قرنين وبعض الريش على رأسه وذيلاً بمؤخرته، وإما جزئياً بوضع قناع على الوجه فقط.
- ظهور بعض الحيوانات وخاصة الثيران والكباش وهى تحمل فوق رؤوسها أشكال دائرية، ربما ارتبطت مثل هذه الأشكال بعبادة الشمس، أو عبادة الإله آمون الذي انتشرت عبادته في مناطق شاسعة من شمال إفريقيا في الفترات التاريخية التالية.

رابعاً : الغرض والمعنى:

أكدت المكتشفات التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ على وجود نقوش ورسوم فنية رائعة، تدل على مقدرة الإنسان منذ بداياته على إبراز مكنوناته الفنية، وتشهد على تطور مداركه الفنية التي عبر عنها برسوماته ونقوشه في مدرسة فنية مفتوحة، وبينت أعماله الفنية عن

خصائص فنية فريدة، تعكس مظاهر حياة الإنسان الحضارية والعقائدية، وقد أجريت العديد من الدراسات والأبحاث العلمية حول أغراض ومعاني هذه الفنون الصخرية بعموم أشكالها وأنواعها، فيعتقد البعض أنها تعبر عن فكرة السحر أو ما يعرف بالسحر الاستعطافي، فعندما يقوم الفنان بنحت صورة الحيوان الذى يرغب في صيده فإن ذلك يعطيه قوة روحيه تساعده على إتمام عملية الصيد بنجاح، ومن جانب آخر تمثل جانباً روحياً عند الصياد الذي فشل في عملية الصيد، فقد ظهرت حيوانات منفصلة ونادراً ما نراها مع تشكيلات بشرية، وكأنها جاءت لترسم شعور الخوف، ومن جانب آخر فإن عمليات الصيد لحيوانات ضخمة مثل الفيلة والكركدن وهى عمليات صعبة وخطيرة لصياد يستخدم وسائل وأدوات صيد بدائية، كما أن تنفيذ هذه النقوش تم في أماكن محددة تحديداً دقيقاً توحي بأن الفنان قد اختارها لتحافظ علي القيم السحرية، ويزداد فيها تجليها[20]،أوأنها تمثل وسائط رمزية بين البشر وعالم الأرواح، فالإنسان مازال في تلك المرحلة يبحث عن الأمان والاطمئنان، ويطلب الانتصار على القوى الشريرة الضارة بحياته ومستقبله، فقد ارتبطت نقوش المرحلة الأولى بعدد من الدلائل السحرية مثل سحر الصيد، وسحر الخصوبة بهدف قنص الحيوانات أو تكاثر أعدادها [21] .

وربما ارتبطت صور الحيوانات الكبيرة بالعبادة الطوطمية، خاصة وأن هناك إشارات ترجح انتشار هذه العبادة في ميثولوجيا وأديان شمال إفريقيا خلال العصور التاريخية، منها علي سبيل المثال الديانة المصرية القديمة، فمن الملاحظ أن نقوش الحيوانات الكبيرة تظهر دائما بشكل منفرد عن التشكيلات البشرية [22] .

وعند تحليل الرسوم التي تنتمي إلى مرحلة الرعي أو الرؤوس المستديرة ربما تدل على التحول التدريجي نحو مهنة الرعي، وقد يكون تعبيراً عن البيئة التي يعيش فيها الفنان، فقد ظهرت أشكال متنوعة يمثل بعضها حفلات العبادة في تجمعات قبلية، ومناظر الرقص نفدت على مساحات واسعة ظهر فيها الراقصون وهم يرتدون الأقنعة الحيوانية، والشعر المستعار، وفي لوحات أخرى تظهر رسومات للصيد تنم عن مزاولة الإنسان لأحد الأنشطة الاقتصادية، وهناك رسوم لها مغزى ديني واضح مثل رسوم الثور الذى يحمل بين قرنيه شكلاً بيضاوياً أو دائرياً لابد أن له صلة بالمعتقد الديني الذى كان سائداً في الفترات التاريخية اللاحقة وخاصة فيما يتعلق بعبادة الإله جورزيل (Gurzil) الليبي، حيث من المحتمل أن تكون مستوطنة قرزة مقراً لعبادته، وقد اكتشفت نقوش له في منطقة ميه الذيب بوادي مرسيط جنوب بلدة مزدة بحوالي 30كم، وعلى بعد حوالي140كم شمال مستوطنة قرزة [23]، كما وجد مشهد أخر بمنطقة الهروج السوداء لثور تشابك قرناه لتظهر بشكل دائري فوق الرأس [24] .(لوحة رقم 14)

ومن جانب آخر وجدت العديد من الرسوم البشرية رافعة أيديها أو راكعة، مما يعتقد أنها تمارس شعائر دينية معينة، وإحدى اللوحات أطلق الباحث عليها اسم الكهنة والقرابين فقد ظهر فيها أحد الكهنة بملابس مزخرفة، يقود ثوران زُخرفت قرونهما وأعناقهما، (لوحة رقم 15)، كما ظهرت أشكال لكائنات مجسدة ذات رؤوس أو أطراف شاذة تتميز عن بقية شخصيات المشهد بزيادة في حجمها (لوحة رقم16)، كما أنها تعبر عن الحياة اليومية التي عاشها المجتمع وعن الواقع الحقيقي، فقد ظهرت مواضيع الرعي، والتنقل والترحال على ظهور الثيران، وحلب الأبقار [25] ، ومشاهد متعددة من الحياة اليومية بمختلف أنواعها ونشاطاتها التي أضفت على رسوماته روحاً فنية رائعة جعلها تنبض بالحركة والحياة، وكلها تعكس التطور الفكري والثقافي. (لوحات أرقام 12 ، 13 ، 19 ، 20).

ويرجح بأنها كانت ترتبط بفكرة التعبير عن مباهج الحياة، أي بمعنى أن هذه الرسوم قد أنجزت بهدف تحقيق المتعة الخالصة، وأن تصويرها تم بوازع شخصي فهي تحقق درجة عالية من المتعة لمن ينقشها أو يرسمها، من ثم لمن يشاهدها، ولا تتضمن أيٌ أهداف عملية واضحة سوى تحقيق الهدف الخاص بالزينة والزخرفة، وإضفاء الجمال على الحياة، وقد استندوا في ذلك على عدد من المظاهر والخصائص التي تميز الفنون الصخرية، على سبيل المثال أن هذه الرسوم تدل على أن إنسان عصور ما قبل التاريخ كان فناناً حيث قام بتقدير الأشياء الجميلة، وأعجب بها، فقام بإنجازها نظراً لتقديره للقيم الجمالية، ويهدف من ذلك الاستمتاع بالنقوش والرسوم فهي تُدخل البهجة على نفسه عند رؤيتها [26] ، غير أن هناك العديد من الانتقادات التي وجهت لهذا الرأي منها أن بعض هذه النقوش والرسوم نفذت في أماكن يصعب الوصول إليها مثل الأماكن المرتفعة أو داخل الكهوف المظلمة، وبالتالي فمن الصعب قبول تفسير نظرية الفن للفن.

ومن جانب أخر فإن الإنسان الذي عاش في تلك الفترة كان في صراع دائم مع الطبيعة والحيوانات المتوحشة فمن غير المحتمل أن يصرف جزءاً من وقته وجهده من أجل الحصول على رغبة روحية لا تتصل بالحصول على قوته وطعامه اليومي.

ومن الملاحظ أيضاً أن الفنان قام بتنفيذ العديد من المشاهد فوق بعضها مما يجعلها تتنافي مع فكرة أغراض الزخرفة والزينة، إلى جانب أن العديد منها تتصف بالطابع العدواني وهو أمر لا يتسق مع الهدف من الزينة أو حتى يعطى شعوراً بالارتياح الذى يمثل عنصراً مهماً من عناصر الجمال.

وأخيراً وليس آخرا ربما كان تصوير الحيوانات بشكل كبير راجع إلي رغبة الإنسان في معرفة خصالها وموطن الضعف فيها حتي يسهل صيدها، وكذلك تحديد الأدوات التي يمكن

استخدامها للإيقاع بها، كما يمكن الدافع من وراء رسمه للحيوانات هو تعريف الأجيال من الأبناء والأحفاد بطبيعتها، حتي يحذروا منها مثلما حذر هو منها، أو يستفيدوا منها مثلما أفاد [27] .

خامساً: المضمون:

هناك ارتباط كبير بين الشكل والمضمون فلا يمكن أن يوجد مضمون بلا شكل، ونادراً ما يوجد شكل بلا مضمون، كما يمكن الاستعانة بالمصادر المكتوبة والشفهية في تفسير اللوحات الفنية، وفي حالة عدم توفر تلك المصادر يمكن للباحثين تحديد مضمون الرسومات كلٌ حسب تفسيره الشخصي [28] ، وقرأته الشخصية للمشاهد، وهى بذلك ترتبط بقدرة الباحث العلمية على التحليل والتفسير، وخبرته العملية في هذا المجال، إضافة إلى خلفيته الثقافية، وميوله الفنية.

ويرى بعض الباحثين وجود علاقة خفية تربط بين السحر والإنسان وبين مهنة الصيد التي مارسها على الحيوانات [29] ، في حين يرى آخرون أن بعض الرسوم لها غرضٌ طوطميُ مثل بصمات أو طبعات كفوف الأيدي [30] . (لوحة رقم 5)

ويذهب آخرون إلى أن هذه الفنون تعبر عن أفكار ورموز فلسفية، فاليد جعلت للفكرة شكلاً يتبدى خلال تصاوير الفنان الصانع، وتركت ذكرى مطبوعة خالدة تمثل السعي وراء اللاشعور وراء خلق الأشكال التي تكمن وراءها وظيفة رمزية أكثر منها عملية [31] ، فالإنسان عندما قام بتنفيذ هذه الأعمال كان يهدف إلى وجود عالم من الرموز وظيفته تحقيق نوع من الشعور بالأمان والثقة من أجل تحقيق صيد وافر، والعيش بأمنٍ وأمان.

ومن الباحثين من يفسر مضمون هذه النقوش والرسوم الصخرية على أنها فن تذكاري يُصور أدق تفاصيل الحياة اليومية للجماعات البشرية التي سكنت المنطقة في فترة عصور ما قبل التاريخ [32] ، ومنهم من يرى أن بعضها رموزٌ تمثل تعداداً يجريه الصياد لفرائسه، وبالتالي فهي تنطوي على محاولة أولية للكتابة [33] .

وبذلك يبدو أن غرض كل نقش أو رسم يتوقف على شكل العمل الفني ومضمونه، حيث لا يوجد عمل فني بدون شكل أو مضمون فهما العنصران اللذان يتأثران ببعدي الزمان والمكان، فضلاً عن تأثيرهما بالخامة والأسلوب المتبع في إخراج العمل.

سادساً : السياق الثقافي:

اختلف الباحثون والدارسون لفنون عصور ما قبل التاريخ حول السياق الثقافي لهذا الفن والمراحل التي مر بها، غير أن أهم تقسيم وٌضع من جانب الإيطالي فابريتشيو موري يشمل خمس مراحل، هي على النحو الآتى [34] :

الدور الأول: (دور الحيوانات المتوحشة)

يمثل معظمه صور منحوتة لحيوانات كاملة ضخمة تحتاج إلى مصادر دائمة من المياه، والأعشاب مثل: الفيلة، والجاموس الإفريقي، والزراف، والأسود، وتمتاز بأنها صور منقوشة على الجدران، وأن الرسوم فيها نادرة جداً، ويقدر الباحثين أن تاريخها يعود إلى مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى. (لوحة رقم 17)

الدور الثاني: (دور الرؤوس المستديرة)

يقدر العلماء بأن تاريخها يعود إلى مرحلة العصر الحجري الأوسط، تمثل معظمه رسوماً ملونة وهى تصور رجالاً ذوى رؤوس مستديرة، وبصغر حجم الحيوانات، والموضوع الغالب فيها هو مشاهد صيد الحيوانات، كما ظهرت بعض المناظر التي تمثل الطقوس الدينية، ومشاهد الرقص، ومشاهد أخرى غامضة، وينقسم إلى مرحلتين: **المرحلة الأولى:** استخدم الفنان في تلوين رسوماته لوناً واحداً لتحديد ملامحها الخارجية، ثم قام بطلاء باقي المنظر بلون آخر غالباً ما يكون الأصفر، أو الأخضر، أو الأحمر. (لوحة رقم 18)

المرحلة الثانية: استخدم الفنان ألواناً مركبة، تميزت الأشكال البشرية المصورة بأنها تحمل ملامح زنجية، وتظهر الرسومات بأسلوب متدهور، قياساً إلى الرسوم في الفترات السابقة. (لوحة رقم 19)

الدور الثالث: (دور الرعاة)

وهى تمثل خليطاً من الرسومات الملونة، وقام الفنان برسم أشكال الحيوانات وخاصة الماشية بأحجام صغيرة، كما تميز هذا الدور برسم مشاهد من الحياة اليومية مثل: عمليات الصيد، وجمع الحيوانات، والأنشطة الاجتماعية المختلفة داخل المخيمات السكنية، ويبدو واضحاً أن هذه المرحلة تتزامن مع بدء تدجين الحيوانات، وظهور ملامح العصر الحجري الحديث، كما تميزت بظهور رعاة من جنس البحر المتوسط إلى جانب الجنس الزنجي، وبنهاية هذه المرحلة تنتهي نقوش ورسومات مرحلة عصور ما قبل التاريخ. (لوحة رقم 20)

الدور الرابع: (دور الحصان)

وهو الدور الذى ظهر فيه الحصان حيث صُورت فيه مناظر للخيول، ومناظر لعربات تجرها الخيول، وظهرت عدة أساليب في الرسم منها أسلوب الجري الطائر، وأسلوب الخيول المسروجة، وفي الفترات الأقدم منها ظهر أسلوب يحمل تأثيرات مصرية خاصة في أغطية الرأس، ويغلب على الرسوم الوضوح والطابع البشري، ومناظر صيد الودان والزراف. (لوحة رقم 21)

الدور الخامس: (دور الجمل)

وهى المرحلة الأخيرة وتعود إلى فترات زمنية متأخرة تظهر فيها رسومات الجمال بصور ملونة بأشكال طبيعية، أما المناظر البشرية فقد نفذها الفنان بأسلوب هندسي، ومن الملاحظ أنّ الجمال تظهر في هذه الرّسوم على شكل قوافل لوّنت باللّون الأحمر [35] ، ومع هنا بدأت مرحلة الاضمحلال ونهاية الفن الصخري. (لوحة رقم 22)

ويتضح مما سبق أن تاريخ النقوش والرسوم الصخرية يمثل الحياة البشرية والحيوانية، وانتشارها في ليبيا خلال عصور ما قبل التاريخ، وتحمل بين طياتها الكثير من الرموز والمعاني، التي لم يتم الوصول إلي تحليلها وتفسيرها بشكل حاسم.

النتائج:

ـ أن منطقة شمال إفريقيا والصحراء الكبرى تضم مجموعة من أهم ما أنجزه فنانو مرحلة ما قبل التاريخ من النقوش والرسوم الصخرية.

ـ تشترك معظم النقوش والرسوم الصخرية في العديد من الخصائص الفنية والنوعية، بالإضافة إلى اشتراكها في الأسلوب المستخدم سواء عند استخدام أسلوب الحفر أم النقش أم عند استخدام أسلوب الرسم والتلوين.

ـ تتضمن الفنون الصخرية الكثير من البيانات عن الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، إضافة إلي بعض الممارسات الدينية، والجنائزية التي سادت عند الجماعات البشرية في تلك المراحل الموغلة في القدم.

ملحق الصـــور

(اللوحة رقم 1) أحد المأوى الصخرية بالأكاكوس، نقلاً عن:

https://www.google.com. 22-3- 2017-; 2:45 AM.

(اللوحة رقم 2) أهران خاصة لتجهيز الألوان، نقلاً عن: جوزيف كى . زريو، المرجع السابق، ص 28.

(اللوحة رقم 3) كركدن ـ وحيوان من فصيلة السبعيات (موقع سيدي الغريب – ترهونة) نقلاً عن: عز الدين أحمد الفقى الشريف، المرجع السابق، ص 159 .

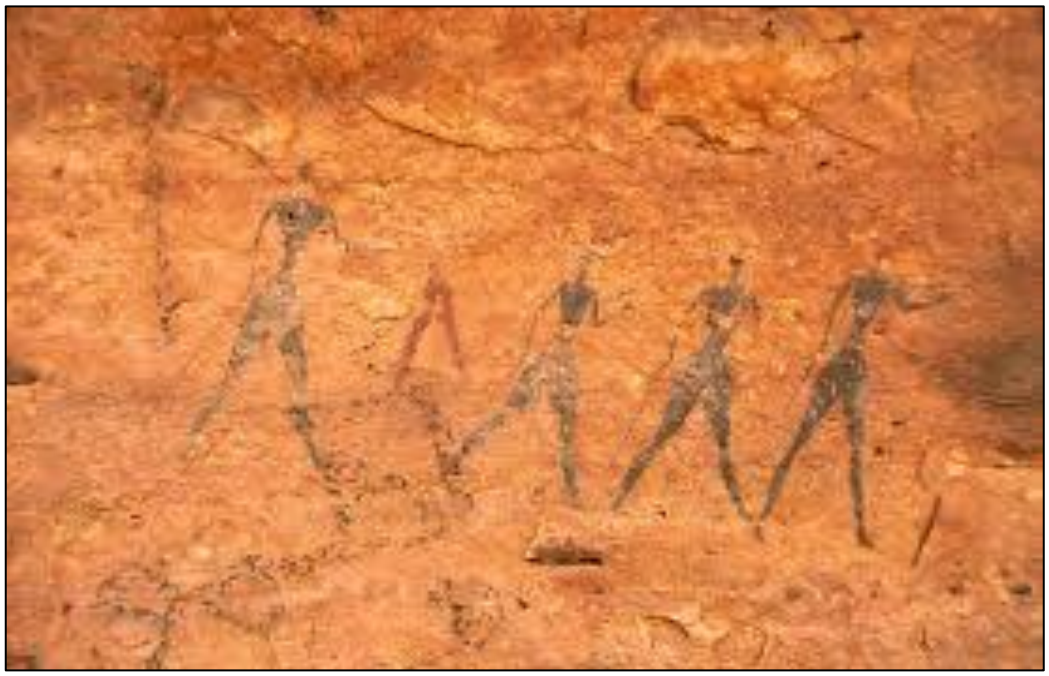

(اللوحة رقم 4) أشكال أدمية، من كهف وان اشراف بوادي آريان، نقلاً عن:

Lupacciolu, M., op. cit., pp. 317-323.

(اللوحة رقم 5) طبعات كفوف الأيدي، نقلاً عن:

http://www.arabicmagazine.com, 22-3-2017, 2:30 AM.

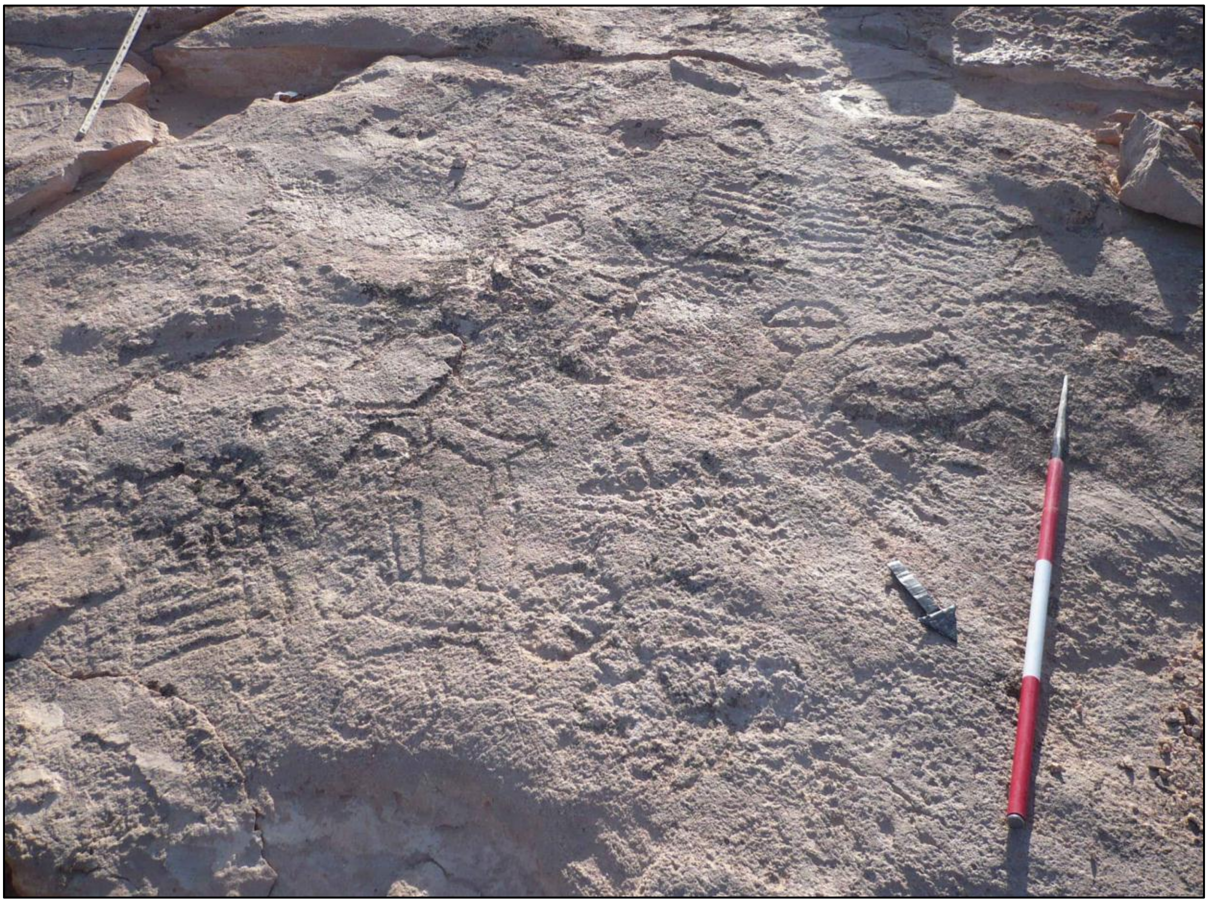

(اللوحة رقم 6) لوحة العربات من موقع قرية تفلفلت بمنطقة درج، نقلاً عن: عزالدين أحمد الفقي الشريف، المرجع السابق، ص 178 .

(اللوحة رقم 7) أداة لطحن الحبوب، نقلاً عن:
http://www.arabicmagazine.com, 12-10-2017, 2:30 AM.

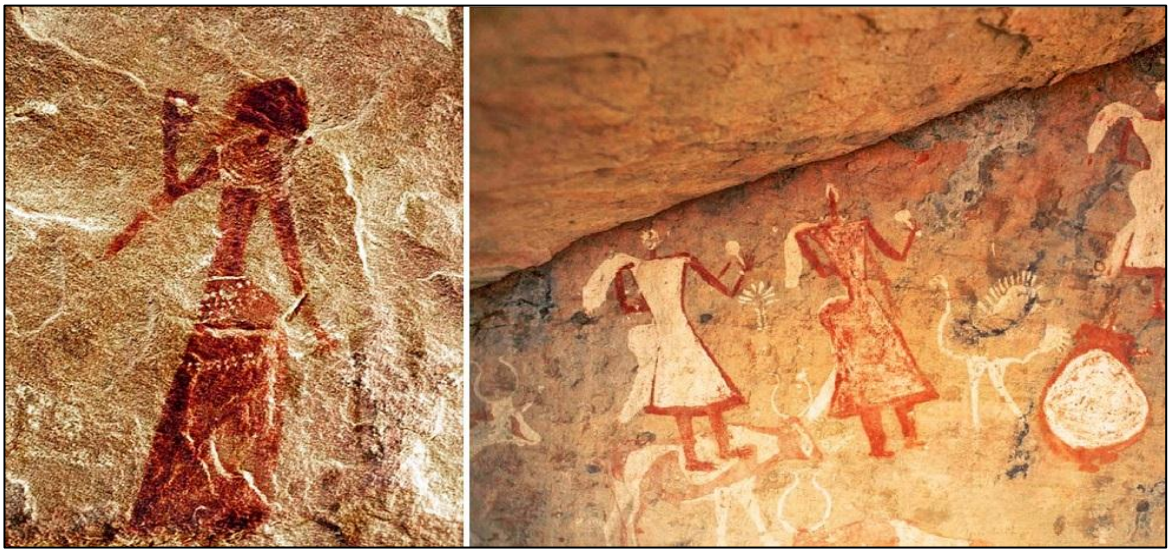

(اللوحة رقم 8) الملابس وأدوات الزينة، مشهد من كهف عين عيدي، نقلاً عن: فابريتشيو موري، المرجع السابق، لوحة 112 ، ص 200 .

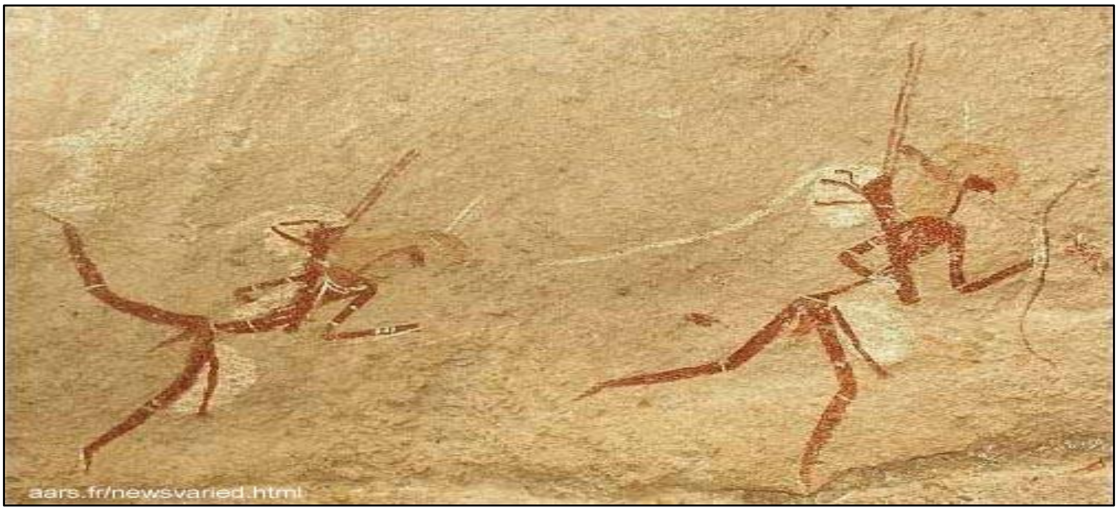

(اللوحة رقم 9) تمثل المجموعة الأولى من نشاط الصيد، نقلاً عن:
http://www.arabicmagazine.com, 22-3-2017, 11:00 AM.

(اللوحة 10) مشهد من الأكاكوس، يمثل المجموعة الثانية من نشاط الصيد، نقلاً عن:
https://www.google.com …22-3-2017; 1:40 AM

(اللوحة 11) تمثل النشاط الحربي، من كهف وان اشراف بوادي آريان، نقلاً عن:

Lupacciolu, M., op. cit., pp. 317-323.

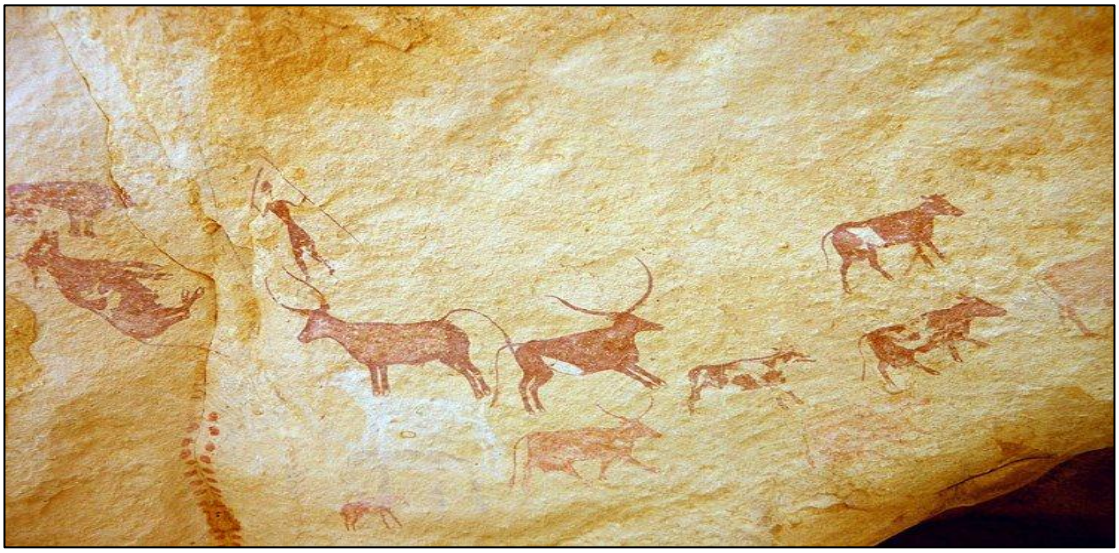

(اللوحة 12) تمثل نشاط الرعي، نقلاً عن

https://www.google.com 22-3-2017; 1:30 AM

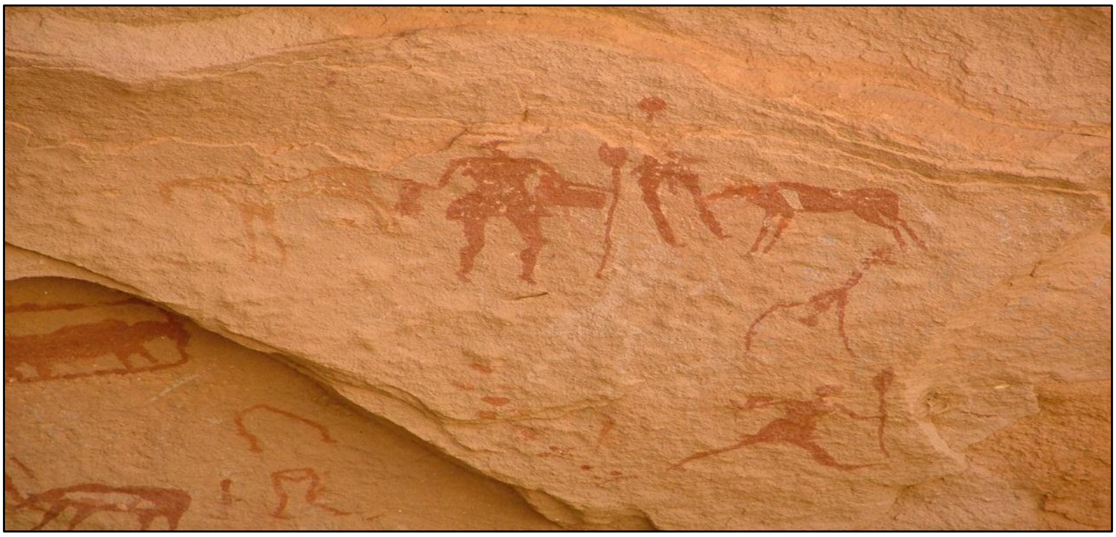

(اللوحة رقم 13) إطعام الماشية، نقلاً عن:

https://www.google.com 22-3-2017;1:00 AM

(اللوحة رقم 14) ثور يحمل فوق رأسه شكل دائري، نقلاً عن:

https://www.google.com 22-3-2017;1:15 AM

(اللوحة رقم 15) تقديم القرابين، نقلاً عن:

https://www.google.com 22-3-2017;1:20 AM

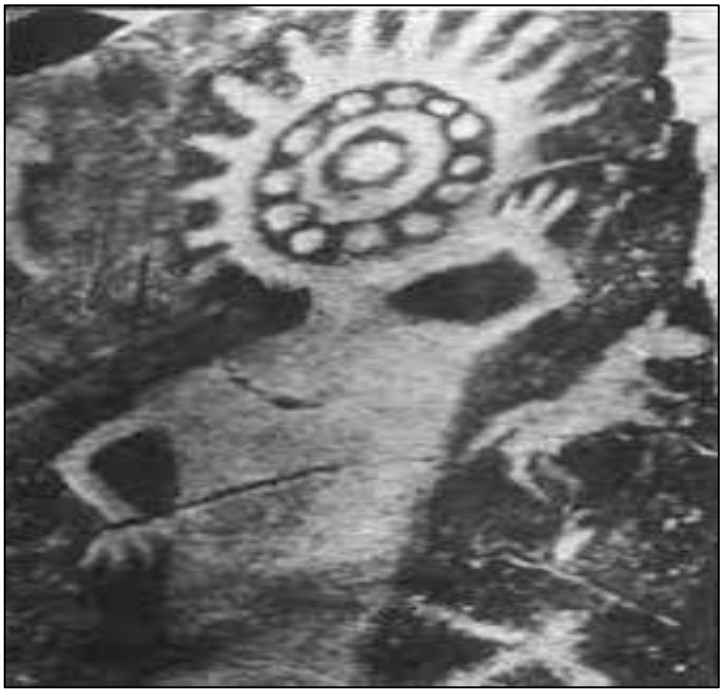

(اللوحة رقم 16) كائنات ذات أطراف غريبة، نقلاً عن:

https://www.google.com 22-3-2017;1:15 AM

(اللوحة رقم 17) نقش لفيل من وادي عين غليوين، يعود لدور الحيوانات المتوحشة، نقلاً عن: باول جراتسيوسي، المرجع السابق، لوحة 40 ، ص89 .

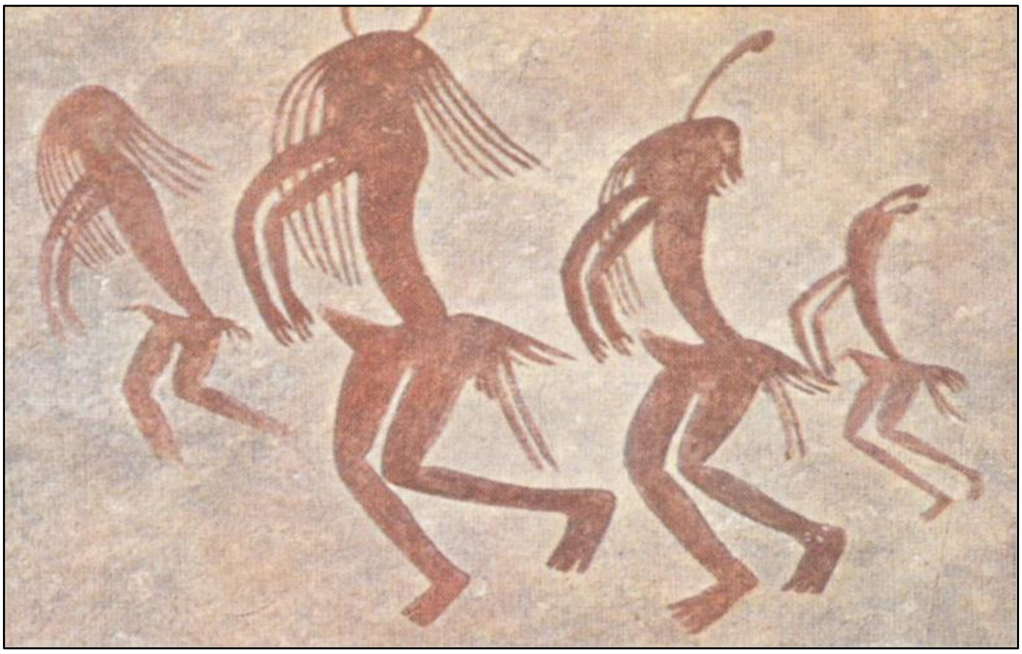

(اللوحة رقم 18) المرحلة الأولى من دور الرؤوس المستديرة، نقلا عن: باول جراتسيوسي، المرجع السابق، لوحة 59 ، ص108 .

(اللوحة رقم 19) المرحلة الثانية من دور الرؤوس المستديرة، نقلاً عن:

https://www.google.com. 22-3-2017 A M1:00

(اللوحة 20) مشهد من الحياة اليومية يعود لفترة دور الرعاة، من كهف وان اميل، نقلاً عن: فابريتشيو موري، المرجع السابق، لوحة 86 ، ص 183 .

(اللوحة رقم 21) دور الخيول نقلاً عن: https://africanrockart.org/rock-art

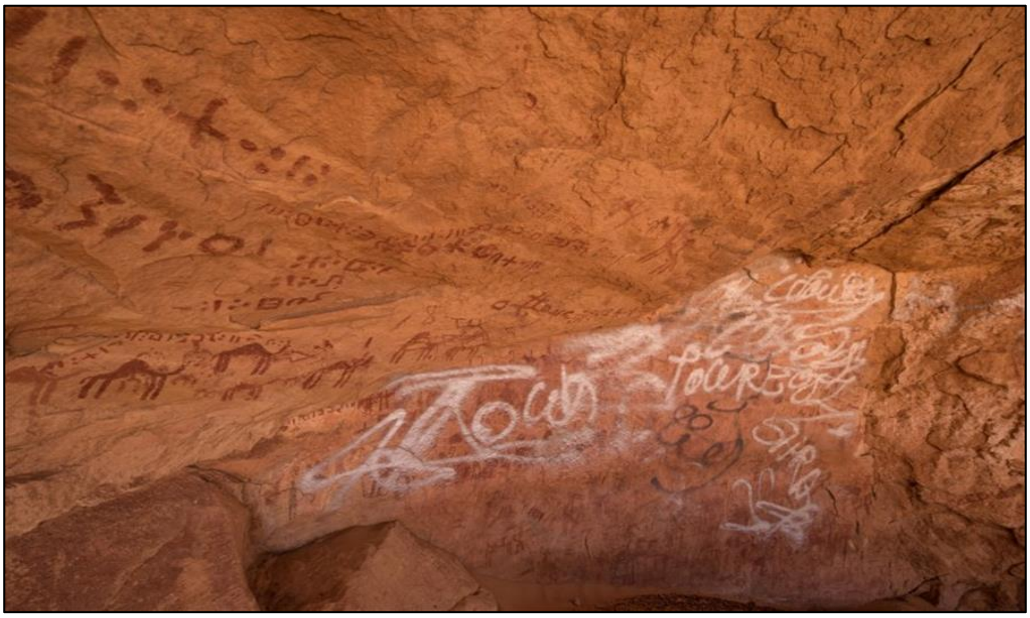

(اللوحة رقم 22) مشهد لقوافل الجمال من الأكاكوس يمثل دور الجمل نقلاً عن:

2017-3-22 ؛ 1:00 AMhttps://africanrockart.org/rock-art

الحواشي

1. فابريتشيو موري، تادرارت أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس 1988 ، ص 40 .

2. مرجريت ترويل، الفن الزخرفي في إفريقيا أصول التصميم في الفن الإفريقي، ترجمة مجدى فريد، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة (د – ت)، ص 16.

3. فابريتشيو موري، المرجع السابق، ص 47 .

4 .جوزيف كى . زريو، فنانو العصر الحجري الحديث، "النقوش الصخرية التي تحمل صور معجزة لعصور ما قبل التاريخ في إفريقيا"، رسالة اليونسكو، العددان 219– 220 ، هيئة اليونسكو، القاهرة 1979، ص 28.

5. "نقوش الكهوف"، موسوعة المعرفة، شركة تراد كسيم، جنيف 1971 ، ص 67 .

6. Levine, M. H., "Pre Heistoric Art and Ideology" in Readings in Anthropogy", Cuilural Anthropology, vol. 2, 1959, p. 462 .

7. مرجيت ترويل، المرجع السابق، ص ص 10– 11 .

8. باول جراتسيوسي، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة إبراهيم أحمد المهدوي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2008 ، ص 33 .

9. أم الخير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد،(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الإسكندرية، 1988 ، ص 109.

10. فابريتشيو موري، المرجع السابق، 51.

11. جوزيف كي – زريو، المرجع السابق، ص 28.

12. نفسه.

13. تعرضت هذه المواقع إلى العديد من حوادث الاعتداء والتدمير، مما أدى إلى ضياع أغلب المشاهد واللوحات، حول هذه المواقع ينظر : عز الدين أحمد الفقي الشريف، "الفن الصخري في عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا"، (رسالة ماجستير غير منشورة) الأكاديمية الليبية، طرابلس 2010 م، ص ص 70–147 .

14 . فابريتشيو موري، المرجع السابق، ص 44 – 45 .

15 . Haselberger, H., "Method of Studying Ethnological Art", in (Current Anthropology) , vol. 2, No. 4, The Wenner Gren Foundation Anthropological Research, Chicago, 1961, p. 346.

16. وادي آريان أحد الأودية المتفرعة من وادي تشوينت باكاكوس، وهو صغير الحجم يغطى جداره الخلفي . الذي يبلغ طوله اثنا عشر متراً رسوم مختلفة الأساليب والأشكال، للمزيد حول هذه الرسوم ينظر :

Lupacciolu, M ., "Le due nuove Stazioni di arte rupestre Preistorica di I stanan Ie Uan Ashraf delle ricerche Sul Campo e nel Settore delle Scienze Applicate" (Libya Antiqua), vol. xv.xvi, 1978-1979, pp. 317-323.

17. للمزيد حول هذه المواقع ينظر : عز الدين أحمد الفقى الشريف، المرجع السابق، ص ص 90 – 95 ؛ 141 – 147 .

18. Levine, M. H., op. cit., p. 462 .
19 .Lupacciolu, M., op. cit., pp. 317-323.

20. فابريتشيو موري، المرجع السابق، ص 53 .

21. Peake, H., and Fleure, H. J., Hunters and Artists, Oxford University Press, London, 1927, p. 92.; Kennedy, G. E., Paleo-Anthropology, McGraw-Hill, Inc.N.Y., 1980, p. 364.

للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: سعد الخادم، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، سلسلة الألف كتاب رقم 488 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د – ت)، ص 8 ؛ جيمس فريز، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، ترجمة بإشراف أحمد أبوزيد، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971، ص ص104 – 108.

22 . فابريتشيو موري، المرجع السابق، ص 53 .

23 . Barker,G.W.W.,"Prehistoric Rock Carvings in the Tripolitania pre-desrt", (Libya Studies), vol. 17, 1986, pp 69- 84.

24. Paradisi, U., "Arte rupestre nel Harug el Aswed (Fezzan nord-Orientale)", (Libya Antiqua), vol. I, 1964,PP. 111-113 .

25. Lupacciolu, M., op. cit., pp. 317-323.

26. Peake, H., and Fleure, H. J., Hunters and Artists, op.cit.,p.92; Rico,T., The Study of Art,Butler and Tannerltd,London,1974,pp.3-5. Haselberger, Herta, "Method of Studying Ethnological Art",op.cit.,p.354.

27 . أحمد أمين سليم، الدلالة التعبيرية للرسوم والنقوش للرسوم والنقوش خلال عصور ما قبل التاريخ في الشرق القديم، مكتبة الإسكندرية، (د –ت)، ص 2.

28. Haselberger, H., op. cit., p. 345 .

29. موريس بلانشو، "مولد الفن"، ترجمة محمد خليل فهمى، (مجلة سجل الثقافة الرفيعة)، العدد 13، القاهرة 1958 ؛ فرنسوا بون، عصور ما قبل التاريخ بوتقة الإنسان، ترجمة سونيا محمود نجا، ط 1 ، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2013 ، ص 302.

30. سبقت الاشارة إلى هذا الرأي ص 8 ، وللمزيد حول الموضوع ينظر : ر. ر. ماريت، السير جون هامرتن، تاريخ العالم، "الحرف البدائية في السلم والحرب"، ترجمة إدارة البحوث بوزارة المعارف المصرية، مكتبة النهضة المصرية، (د – ت)، ص 268 .

31. أندريه ليروا جوران، "فن حوائط الكهوف وكيف مارسه الإنسان"، رسالة اليونسكو، العدد 136، هيئة اليونسكو، القاهرة 1972، ص 32.

32. شارل أندريه جوليان، تأريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، منذ البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1969 ، ص 61 .

33. ر.ر. ماريت، المرجع السابق، ص 268 ؛ فرنسوا بون، المرجع السابق، ص 305 .

34. فابريتشيو موري، المرجع السابق، ص ص 37 – 41 .

35. محمد على عيسى، "الرّسوم الصّخريّة اللّيبيّة في عصر ما قبل التّاريخ"، مجلة تراث الشعب، العدد الأول سنة 1991م، ص 12 .

الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة العباسية والفاطمية

(دلالاتها السياسية والمذهبية)

" دراسة فنية نموذجية "

فتحية سليمان مسعود الصديق

جامعة المرقب – ليبيا

Email/ Algoffran.19752@gmail.com

الملخص

سجلت المسكوكات الإسلامية أهم الأحداث السياسية والدينية لكونها من أهم مصادر الحضارة والتاريخ الإسلامي، وذلك من خلال الكتابات التي سجلت عليها سواء أكانت آيات قرآنية، كتابات عربية، شعارات مذهبية.

فالمسكوكات الإسلامية من الناحية السياسية تُمثل إحدى إشارات الخليفة، الحاكم، السلطان والتي يحرص على اتخاذها بتوليه عرش الحكم، ويتم ذلك عن طريق الدعاء له على منابر الخطبة، وتضرب المسكوكات بإسمه تعبيراً عن كيانه السياسي، ومن الناحية الدينية، والمذهبية فقد حملت المسكوكات الإسلامية آيات قرآنية لتوحيد.

وستبين لنا هذه الدراسة بأن ضرب المسكوكات لم يقتصر على كونها للتبادل التجاري بل يهدف من ضربها سياسياً ومذهبياً بالإضافة إلى الجوانب الأخرى، وتنقسم إلى:

- الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة العباسية(132 – 656 هـ / 750– 1258 م).
- الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية (297 – 567 هـ / 910 – 1171 م).

مقدمة:

لعبت مسكوكات الخلافة العباسية والفاطمية دوراً سياسياً ومذهبياً من خلال الآيات القرآنية المنفذة عليها، حيث سارت المسكوكات العباسية في البداية على نفس الطراز الذي كان سائداً في العصر الأموي، من حيث الشكل والوزن والقطر، باختلاف الآيات القرآنية التي سجلت على هذه المسكوكات حيث تم حذف واستبدال في الاقتباس القرآني من بينها سورة الإخلاص بعبارة " محمد رسول الله " على ظهر المسكوكة العباسية (الدنانير) وتسجيل الرسالة المحمدية.

وامتازت المرحلة الأولى من المسكوكات الفاطمية بانتقال من الطراز العباسي السني إلى الطراز الشيعي، باعتناق الدولة الفاطمية للمذهب الشيعي الإسماعيلي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

أولاً: الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة العباسية (132- 656هـ/750-1258م).

- **الآيات القرآنية ودلالاتها السياسية على المسكوكات العباسية:**

سجلت على المسكوكات في عهد الخليفة أبو العباس عبد السفاح (132- 136 هـ /749-754 م)[1]، آيات قرآنية ذات توجهات سياسية، الآية قرآنية (21) من سورة الشورى ﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ يحمل شعار الثورة العباسية الذي سكها أبو مسلم الخرساني، الذي ظهر على المسكوكات الرسمية بإسم الخليفة أبو العباس عبد الله السفاح[2]، وقبل هذا التاريخ قاموا بضرب الدراهم في المناطق التي سيطروا عليها منذ عام (127هـ / 745 م) كمدينة جيّ [3] في بلاد فارس وغيرها من مدن الضرب التي أصدرت لهم دراهم الثورة، وكان طراز نقودهم مشابهاً للطراز الأموي التقليدي، إلا أنهم أضافوا إلى حاشيته الداخلية هذه الآية وذلك ليذكروا المسلمين عليهم الامتثال لأمر الله ونصرة أهل الرسول الكريم، والهدف من ذلك هو استقطاب الأنصار وتذكر المسلمين بأن عليهم مساعدتهم بصفتهم أقرباء الرسول ﷺ لدحر الأمويين [4]، وكما استخدم العلويون هذه الآية لتدعيم حقهم في المطالبة بالخلافة، حيث صارت هذه الآية القاسم المشترك على نقود الخارجين على الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين؛ فقد وجدوا فيها تعبيرًا عن الظلم الذي وقع عليهم من الخلفاء مما أدى إلى ثورتهم وتمردهم[5] **لوحة(1).**

الظهر الوجه

لوحة (1) درهم الخلافة العباسية

عن : محمد عمر حسين نتو، **النقود الإسلامية شاهد على التاريخ،** (مكة مكرمة، فهرسة مكتبة ففهد الوطنية، ط1، 1432هـ)، 31.

الوجه:	**الظهر:**
المركز: الله أحد الله	المركز: لا إله إلا
الصمد لم يلد و	الله وحده لا
لم يولد ولم يكن	شريك له
له كفوا أحد	
.....	**الهامش الداخلي: قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**
الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين	الهامش الخارجي: بسم° الله ° غير واضح
الحق ليظهره على الدين كله	

والجزء من لآية القرآنية (164) من سورة البقرة ﴿ القوة لله جميعاً ﴾، التي سجلت على الدنانير ودراهم الخليفة أبو العباس أحمد المعتمد على الله (256– 279 هـ/870 – 892 م)[6] حول كتابات مركز كل من الوجه والظهر بمناسبة انتصاره على الزنج والقضاء على ثورتهم سنة 270 هـ[7]. وإعلانه أن القوة لله جميعا سبحانه وتعالى هو القادر على نصره من يشاء من عباده، ومن أمثلة ذلك الدنانير التي ضربت بالكوفة سنة 276 هـ، والأهواز ،والدرهم الذي ضرب في مدينة السلام سنة 277 هـ[8] **لوحة (2).**

الظهر الوجه

لوحة (2) درهم عباسي ضرب مدينة السلام 277هـ(المعتمد).

عن : محمد عمر حسين نتو، **النقود الإسلامية شاهد على التاريخ**، 44.

الوجه:	**الظهر:**
مركز: لله لا اله إلا الله وحده لاشريك له الناصر لدين الله الموفق بالله الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينر بالكوة سنة ست وسبعين ومائتين. الهامش خارجي: لله لأمر ....إلخ	مركز: محمد رسول الله المعتمد على الله أحمد بن الموفق بالله الهامش: محمد رسول الله .....ولو كره المشركون.

والآية القرآنية (130) من سورة التوبة ﴿ حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾، سجلت لأول مرة على نصف درهم الذي قام بضربه الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد (170- 193 هـ / 786- 809 م)[9] بمناسبة تعيين ابنه محمد الأمين وليا للعهد[10]، أمثلة لذلك الدرهم الذي ضرب في مدينة السلام سنة 175 هـ، سُجل على مركز الوجه : لا إله إلا الله – الله وحده – لاشريك له والهامش الوجه : حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، ومركز الظهر: لولي العهد – محمد – بن أمير المؤمنين، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله لو كره المشركون[11].

الوجه:	الظهر:
مركز: لا إله إلا الله وحده لاشريك له **الهامش: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.**	مركز: لولى العهد محمد بن أمير المؤمنين الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والآية القرآنية (3– 4) من سورة الروم سجلت المسكوكات في عصر الخليفة أبو جعفر عبد الله المأمون (198– 218 هـ / 813 – 832 م)[12] ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾، لأول مرة على دراهم المضروبة بمرو سنة 199 هـ، والسبب يرجع إلى انتصار جيوش الخليفة المأمون على جيوش أخيه الأمين، الذي عزله من ولاية العهد، وقتل الأمين على يد أخيه المأمون[13] وأصفهان وسمرقند والمحمدية ومرو وينسابور سنة 202 هـ إلى سنة 205 هـ والبصرة والمدائن، ودرهم ضرب مدينة السلام سنة 323 هـ / وسنة 325 هـ وظهورها على الدنانير منذ سنة 206هـ. دينار ضرب فلسطين سنة 298هـ، ودينار ضرب مصر سنة 299هـ، واستمرت حتى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ / 1258 م، ودنانير الخليفة العباسي المعتصم بالله (218–227هـ / 832–842 م)[14] بمدينة السلام، ودنانير الخليفة العباسي الواثق بالله (227–232هـ/ 842–847 م)[15] بمدينة السلام سنة 227هـ، ودراهمه المضروبة بمدينة السلام، وسرٌ من رأي، ودمشق والشاش[16]، ودنانير الخليفة العباسي المتوكل على الله (232–247هـ/ 261–847 م)[17]، بمدينة السلام وسامراء وصنعاء والبصرة وأرمينية، سمرقند والمحمدية ومصر والمدينة المتوكلية [18]، ودنانير مدينة السلام ومصر و سرٌ من رأي، مسكوكات الخليفة العباسي المعتز بالله(251–255هـ/ 865– 869 م)[19]، ودراهمه المضروبة في سرٌ من رأي ومدينة السلام والبصرة وواسط والرقة ونصيبي[20]، وعلى دنانير الخليفة أبو العباس أحمد المعتمد على الله(256– 279هـ /870–892 م)[21] ضرب مدينة الرافقة [22] ومصر[23]، وعلى دنانير الخليفة أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (623– 640 هـ / 1226– 1242 م)[24] ودنانير الخليفة أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله (640 – 656 هـ / 1242– 1258 م)[25] مع اختلاف تسجلها على المسكوكة ، حيث نفذت من أعلى وأسفل كتابات مركز الوجه[26]، مثال لذلك دينار عباسي : يظهر على مركز الوجه : لا إله إلا– الله وحده – لاشريك له، الهامش الأول للوجه : بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع ومئتين، والهامش الثاني : لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ومركز الظهر: لله – محمد – رسول – الله، الهامش الظهر: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله **لوحة**

(3)، ودراهم وفلوس الخليفة المنتصر بالله 247-248هـ/ 861-862م، مدينة السلام وسر من رأي وعلى الفلوس منها فلس ضرب سنة 218هـ.

الوجه الظهر

لوحة (3) درهم الخليفة العباسي المأمون

www.qudamaa.com

بتاريخ 2017/2/16 م 12:00

الوجه:	الظهر:
المركز: لا إله إلا الله وحده لاشريك له الهامش الداخلي: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع ومئتين **الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ومن بعد** **يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله**	المركز: لله محمد رسول الله الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

- **الآيات القرآنية ودلالاتها المذهبية على المسكوكات الخلافة العباسية:**

استبدال الاقتباس القرآني من سورة الإخلاص بعبارة (محمد رسول الله) على الدنانير العباسية وتسجيل الرسالة المحمدية شعاراً على المسكوكات العباسيين، يشير إلى كونهم من آل بيت رسول الله ﷺ وأنهم أحق بالخلافة من الأمويين، وأيضاً تذكيراً لرعاية الدولة بهذه الصلة الكريمة برسول الله ﷺ،

فيلتزموا بطاعة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والامتثال لحكمهم، كما أنه إعلان للعلويين الذين ناصروا دعوة الرضا من آل محمد، بأن الحكم قد آل إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ممثلاً في العباسيين، فعليهم أيضاً الالتزام بطاعتهم والخضوع لحكمهم، سجلت على الدنانير والدراهم تارة في هامش الوجه وتارة أخرى في هامش الظهر، مثال لذلك دينار يظهر على مركز الوجه:لا إله إلا الله وحده لاشريك له (التوحيد) والهامش الوجه : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ومركز الظهر: محمد رسول الله (رسالة المحمدية)، وهامش الظهر بسم الله ضرب هذا الدينر سنة 132هـ[27] **(لوحة 4).**

الظهر الوجه

لوحة (4) دينار الخلافة العباسية

www.qudamaa.com

بتاريخ 2017/2/16 م 12:00

الوجه:	**الظهر:**
مركز: لا إله إلا	مركز: محمد
الله وحده	رسول
لاشريك له	الله
الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.	الهامش : بسم الله ضرب هذا الدينر سنةا ثتن وثلثين وميه

ثانياً: الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية(297-567هـ/910-1171م).

- **الآيات القرآنية ودلالاتها السياسية على المسكوكات الفاطمية:**

الآية القرآنية (116) من سورة الأنعام ﴿ وتمت كلمت ربك صدقًا وعدلًا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾، سجلت على مسكوكات الخليفة الفاطمي أبى القاسم محمد القائم بأمر الله (322 – 334هـ / 933- 945 م)[28]، وتم ذلك بعد وفاة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي بعام، حتى تمكن

من القضاء على ثورة طالوت القرشي التي اندلعت ضده في طرابلس[29]، وظهورها على مسكوكات الخليفة الفاطمي أبو طاهر إسماعيل المنصور بالله (334-341 هـ/ 945- 952م)[30]، والخليفة الفاطمي أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله (386-411 هـ /996- 1020 م)[31]، منها دينار ضُرب بالمهدية سنة 323هـ ودينار آخر ضُرب بالقيروان سنة 325هـ [32]، يفسرها الشيعة أنه إذا خلق الإمام كتب على ساعده الأيمن﴿ تمت كلمت ربك صدقًا وعدلًا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾**لوحة (5)**، وأن الله إذا أحب أن يخلق الأمام أخذ شربة من تحت العرش من ماء المزن عطاها ملكا فسقاها إياه فمن ذلك يخلق الإمام، فإذا بلد بعث الله ذلك الملك إلى الإمام أن يكتب بين عينيه " وتمت كلمت ربك......إلى آخر الآية[33].

الظهر الوجه

لوحة (5) دينار فاطمي سنة 332هـ.

عن : محمد عمر حسين نتو، **النقود الإسلامية شاهد على التاريخ**، 70.

الوجه:	**الظهر:**
المركز: محمد أبو القسم لا إله إ الله وحده لا شريك له	المركز: الإمام القائم بأمر الله محمد رسول الله أمير المؤمنين
الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.	الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدينر .... سنة................. **الهامش الخارجي: وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً مبدل لكلماته وهو السميع العليم.**

الآية القرآنية (53) من سورة النساء الجزء الأول منها ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مكانًا عظيمًا ﴾، سجلت على مسكوكات الفاطمية في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله[34] عندما

تولى الخلافة سنة(386- 411 هـ / 996- 1020 م)، على دنانير المضروبة بإسمه على الهامش الخارجي للوجه، في حين سجلت الجزء الأول من الآية على الهامش الخارجي للظهر﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾[35] ، والآية القرآنية ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مكانًا عظيمًا ﴾ يفسرها الشيعة بأن المقصود بها بالناس الرسول ﷺ وآله وأن تكون الإمامه في آل البيت الرسول ﷺ فهم الراسخون في العلم والمحسودون على ذلك، وبالكتاب النبوة، وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك العظيم طاعة الناس لآل بيت الرسول ﷺ[36].

الوجه:	**الظهر:**
المركز: لا إله إ الله	المركز: المنصور
وحده لا شريك له	أبو على الإمام
محمد رسول الله	الحاكم أمر الله
على ولى الله	أمير المؤمنين
الهامش الداخلي: محمد رسول الله أرسله بالهدى	الهامش الداخلي : بسم الله ضرب هذا
ودين الحق ليظهره على الين كله.	الدينر ..... سنة.....
الهامش الخارجي: فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما	**الهامش الخارجي: أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله.**

- **الآيات القرآنية ودلالاتها المذهبية على المسكوكات الخلافة الفاطمية.**

سجلت الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾، على دنانير التي ضربت في عهد الخليفة أبو عبد الله الشيعي(288- 298 هـ /900 - 910 م)[37] ، تحمل الثناء لله، وحمد لله وتوحيده، وذلك بعد نجاحه ي دعوته المذهبية وقضائه على الدولة الأغلبية، مثال لذلك : دنانير ضربت في القيروان سنة 296هـ، بعد الاستيلاء عليها[38].

الوجه:	**الظهر:**
المركز: لا إله إلا	المركز: **الحمد لله**
الله وحده	محمد
لاشريك له	رسول
	الله
	رب العالمين
الهامش: محمد رسول الله أرسله الهدى ودين	الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى
الحق ليظهره على الدين كله	ودين الحق ليظهره على الدين كله

كما سجلت جزء من الآية القرآنية (29) من سورة الفتح ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء﴾، على دنانير الخليفة أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله (555–567 هـ / 1160–1171م)[39]، في مصر ضربت على الطراز السني على هامش الخارجي للوجه، ولم تسجل عليها العبارات الشيعية بل كتابات سنية – (لا إله إلا الله محمد رسول الله)– مما أدى إلى إحياء المذهب السني من جديد، وبذلك فهي إشارة إلى صحابة الرسول ﷺ، وهذه الخطوة الأولى لإسقاط الخلافة الفاطمية، مثال لذلك: دينار ضرب سنة 564هـ حيث صدر بواسطة صلاح الدين الأيوبي واستمرار ظهورها على مسكوكات السلطان الإيلخاني أو لجايتو محمد خدابنده (702– 716هـ/ 1304– 1316 م)، الذي اعتنق الإسلام على مذهب السنة وكان محبًا للصحابة[40].

الوجه:	**الظهر:**
المركز: عال غاية الهامش الداخلي: لا اله إلا الله محمد رسول الله الهامش الخارجي: بسم الله الرحمن الرحيم **محمد رسول الله والذين معه أشداء.**	المركز: الله الإمام عبد الهامش الداخلي : أبو محمد العاضد لدين أمير المؤمنين الهامش الخارجي: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر ..... سنة ....

الحواشي

1. من الخلفاء الدولة العباسية في فترة سلطة الخلفاء(132–218هـ/749–833م).

2. عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، (القاهرة، دار القاهرة، ط1، 2004)، ج1،177 ؛ فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2003)، 23–24؛ محمد باقر الحسيني ، تطور النقود العربية الإسلامية، (بغداد، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ط1،1969)، 64.

3. جي معناه الطاهر، وقيل أن " وجي" نسبة إلى ملوك الجيان وهي جي أفرام بن آزاد وكانوا يعتقدونه رسولاً، ثم تغير بمرور الزمان فصار الفرس يطلقون عليها اسبهان واسباهان وبعد أن فتح المسلمون العرب واستولوا عليها وغلب التعريب على ألسنة الناس فعربوها وقالو " اصبهان " أو " أصفهان " ..... للمزيد انظر كي يستريخ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس – كوركيس عواده، (مؤسسة الرسالة، ط2، 1985)، 338.

4 . نايف القسوس، خلف الطراونة، مسكوكات العالمين القديم والإسلامي، (عمان، البنك العربي، 1991)، 65؛ ناهض القيسي، تاريخ النقود وتطورها، (الأردن ،دار زهران للنشر والتوزيع ، ط 1، 2013)، 50–66؛فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 67 ؛ ناهض دفتر القيسي، موسوعة تطور المسكوكات والنقود عبر التاريخ، (عمان، دار زهران للنشر والتوزيع ،ط1، 2013)ج2، 15.

5. فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 23–66.

6. من الخلفاء الدولة العباسية المرحلة الثانية (الموالي و الأتراك)(218-334ه/83-946م).

7. الأحداث السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية على النطاق الخارجي في خلافة المعتمد على الله الذي قام بمواجهة ثورة الزنج في جنوب العراق وإثناء عجزه عن التصدي استنجد بأخيه الموفق طلحة حيث تمكن من القضاء على ثورة الزنج والحركات الانفصالية التي حاولت للاستقلال بأقاليم الخلافة المختلفة..... للمزيد انظر فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 113 ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد السادس ، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1987)، 321–325 ؛ ابن كثير،البداية والنهاية،(جيزة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1998)ج24،576–578؛عاطف منصور محمد رمضان،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 260؛ محمد عمر حسين نتو، النقود الإسلامية شاهد على التاريخ،(مكة مكرمة، فهرسة مكتبة ففهد الوطنية، ط1، 1432هـ)، 55 ؛ أبى جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،(مصر، دار المعارف، ط2، 1967) الجزء التاسع، 636–661، لأبى الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، المنتظم ي تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992)الجزء الثاني عشر، 223.

8 .فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية،111– 113؛ عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي،254–260.

9 من خلفاء الدولة العباسية فترة سلطة الخلفاء (132–218هـ/749–833م) .

10. كانت ولاية العهد من المشكلات التي واجهت الخلافة الإسلامية منذ أن حول الخليفة الأموي معاوية بن أب سفيان الخلافة من الشورى إلى حكم وراثي .....للمزيد أنظر ، فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية،87.

11. فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية،86، عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 200.

12. من خلفاء الدولة العباسية فترة سلطة الخلفاء (132-218هـ/749-833م).

13. عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 230؛ ناهض القيسي، تاريخ النقود وتطورها، 70؛ فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية،91؛ إبراهيم القاسم رحاحله، النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين(القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999 ط1)، 55؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 51-92.أبى جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،(مصر، دار المعارف، ط2،1966م) الجزء الثامن، 364-373.

14. من خلفاء الدولة العباسية فترة الموالي والعسكريون الأتراك.

15. من خلفاء الدولة العباسية فترة الموالي والعسكريون الأتراك.

16. شاش : بالشين المعجمة : بالري قرية يقال لها شاش ، النسبة إليها قليلة، ولكن الشاش التي خرج منها العلماء ونسب إليها خلق من الرواة والفصحاء فهي بما وراء النهر ثم ماوراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك .... للمزيد أنظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ب- ت)، م3،308-309؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (دار المعارف، مصر، 1964)، 33 ؛ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشامى المقدسي المعروف بالشارى، أحسن التقاسيم، (بمطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ط2، 1906)، 25.

17. من خلفاء الدولة العباسية فترة الموالي والعسكريون الأتراك.

18. أسس المتوكل على الله عاصمة جديدة سماها " المتوكلية " وأنشاء بها داراً لضرب الدنانير والدراهم وبدأت في إصدارها أمثلة لنقود المتوكلية سنة 247هـ، عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 248.

19. من خلفاء الدولة العباسية فترة الموالي والعسكريون الأتراك.

20. وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .... للمزيد أنظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، م 8، 292-294.

21. من خلفاء الدولة العباسية فترة الموالي والعسكريون الأتراك.

22. الرّافِقَةُ:الفاء قبل القاف، قال أحمد بن الطيب:الرافقة بلد متصل البناء بالرقّة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع، قال :وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهي على هيئة مدينة السلام .... للمزيد انظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، م 3، 15.

23.فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية،195-230.

24. من خلفاء الدولة العباسية (بني بويه والسلاجقة).

25. من خلفاء الدولة العباسية (بني بويه والسلاجقة).

26.عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 295-297.

27. عاطف منصور محمد رمضان، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 175.

28.من خلفاء الدولة الفاطمية في القيروان.

29. فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 28-121.

30. من خلفاء الدولة الفاطمية في القيروان.

31. من خلفاء الدولة الفاطمية في القاهرة.

32.فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 120– 121.

33. عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 321.

34.من خلفاء الدولة الفاطمية في القاهرة.

35. فمن الطبيعي أن تُسجل الآية بدءا من هامش الوجه ثم تستكمل بهامش الظهر، احتمال أن يكون الخطأ من النقاش في دار السك أم مقصود بأن يكون مسجل في الوجه اسم الخليفة وألقابه....للمزيد انظر عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي،364؛ فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 294.

36.عاطف منصور محمد رمضان،موسوعة النقود في العالم الإسلامي،364–366؛ فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 29.

37.من خلفاء الدولة الفاطمية في القيروان.

38.عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي، 304–306.

39. من خلفاء الدولة الفاطمية في القاهرة.

40.عاطف منصور محمد رمضان ،موسوعة النقود في العالم الإسلامي،448؛ فرج الله أحمد يوسف، الآيات القرآنية على المسكوكات الإسلامية، 342.

توظيف الإنارة في العمارة وفق المنهج الإسلامي
دراسة أثرية معمارية فنية

فوزية الزرقاني إبراهيم فضل الله
جامعة المرقب– ليبيا
Email /fadwaalwerfally79@gmail.com

الملخص

تطورت الإنارة ابتداءً من مسجد المدينة بحيث كان المسلمون يستضيئون بإيقاد سعف النخل فيه[1]، واستخدم الزجاج الملون في القمريات لأول مرة في العصر الأموي لتخفيف شدة ضوء الشمس، إضافة إلى استعمال الكوات الصغيرة في أعالي البيوت، وذلك للحرص على حرمة الناس داخل بيوتهم، وعند الرغبة للحصول على كمية أوفر من النور كان مصممو الأبنية يعمدون إلى الإكثار من الكوات العالية والنوافذ المزدوجة والفتحات العمودية الضيقة والمتجاورة في الواجهات، وذلك كمعالجة معمارية تسمح بدخول الهواء وترطب المسكن، فهي تعطي لواجهات العمائر شكلاً رائعاً يكسر الملل الناتج عن رؤية مساحات رأسية وعرضية كبيرة مصمته.

وتبين الدراسة كيف الفنان المسلم أوجد حلولاً لمشكلة الإنارة في البيوت السكنية سواء عبر صحن البيت أم تخريمات المشربيات الخشبية المحيطة بنوافذه، وأوجد حلاً لمشكلة إنارة المساجد من الناحية الوظيفية بحيث لا تضر بجمالية البناء.

وتكشف الدراسة لنا إن الفنان المسلم استطاع إنتاج وحدات تتفق مع معتقدات دينه وأخلاقيات مجتمعه وتلبي غرضه من حيث الإنارة والتدفئة والتهوية والمحافظة على حرمة البيت أيضاً، بدون أن تخدش عقائد الدين سواء من ناحية الزخرف الفني الموجود عليها أو المحافظة على التصميم المعماري.

ولأنه من عادة منشئ العمائر الإسلامية من المساجد، المدارس، الخانقاوات، غيرها، أن يزود هذه الأبنية إلى جانب الشمسيات و القناديل بالثريات الكبيرة والصغيرة لإنارتها خاصة في الليالي المتميزة كليالي الأعياد وغيرها من المناسبات الدينية، وأمر الخلفاء بأن تزود المباني التي بنيت في عهدهم خاصة منها المساجد بهذه التحف لذلك تفنن الحرفيون في صناعتها واستخدموا لذلك أنفس المعادن وحاولوا إظهارها في أجمل وأروع صورة سواء من حيث الشكل أو الزخرفة.

مقدمة

وقد استعمل المسلمون العديد من المواد لصناعة هذه الوسائل والوحدات بتقنيات مختلفة لها أسسها وقواعدها التي تسير عليها مثل المعادن لصناعة الثريات، والزجاج لصناعة المشكاوات، والخشب لصناعة المشربيات والشبابيك، والجص والحجر والرخام والتي كانت تحفر أو تنقش بأشكال نباتية وهندسية وكتابية ويعشق البعض منها بقطع من الزجاج الصغيرة الملونة لصناعة الشمسيات والقمريات.

الإنارة في العمارة الإسلامية

لقد قامت هذه العمارة الأولى بجهود العرب أساساً ثم صارت دولة واسعة الأرجاء، يجمع الإسلام بين شعوبها، وبرز إلى الوجود الفن الإسلامي متخذا ما يناسبه من القديم والمعاصر من الأساليب المحلية التي كانت مزدهرة في الأقاليم التي امتدت إليها الدولة الإسلامية؛ ونشأت فيها طرز فنية تختلف باختلاف الأقاليم ولكنها تشترك في الخطوط العامة، وتطورت هذه الطرز الفنية برعاية المسلمين وطبعوها بطابع دينهم و انشئوا فناً إسلامياً متميزاً عن غيره من الفنون.

كانت المساكن الأولى في بداية الفتح الإسلامي شديدة البساطة، ولعلها غالباً ما كانت تبنى من المواد النباتية كالبوص والقصب والغاب الذي تدعمه الأحجار في أساسه والطين الذي يحيط به ثم تدرج الأمر إلى استخدام اللبن حيث توفره محلياً لصناعة الطوب اللبن، أما حين تتوافر الأحجار فلعل بعض المساكن كانت تبنى منها أو تتخذ بعض أجزائها على الأقل حوائط من الأحجار، وللمسكن في الإسلام حرمة وقدسية وخصوصية ولهذا كان له في المدينة الإسلامية آداب وشروط2 .

ولم يضف العصر الإسلامي شيئاً على مواد الإنارة الثلاث: الزيت والشمع والنفط ولكنه تفنن في إخراج الوسائل التي تحتضنها والأدوات التي تبرز بها النار وتحمل من مكان لأخر3.

وقد أشير في كثير من الأبحاث إلى ما في العمارة الإسلامية من تحكم دقيق في مصادر الضوء والدور الذي يؤديه فيها، وأن العناصر المعمارية والمواد المستخدمة في المباني الإسلامية تختار بحيث تؤثر وتتأثر بالضوء والظلال انعكاساً وانكساراً وتعديلاً، وكذلك ما كان لنوافذ النور الطبيعي من دور في تحديد قوة الإنارة داخل المباني الإسلامية[4] .صورة(1/أ– ب)

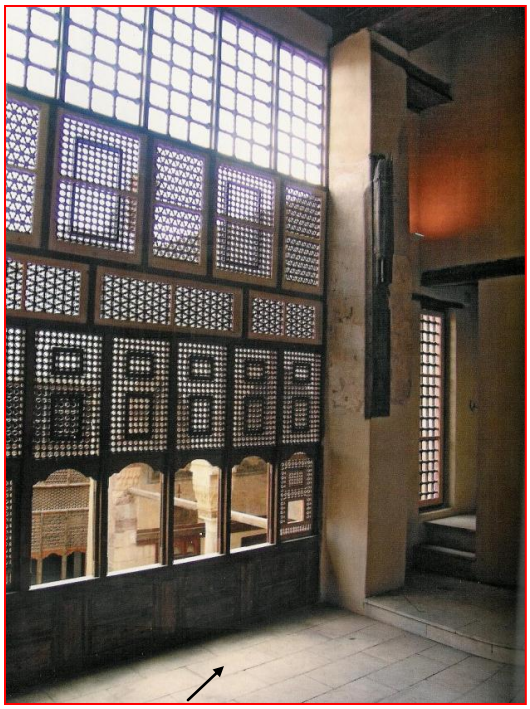

أ- مشربية بمنزل الست وسيلة

عن (منزل الست وسيلة، 2005م، ص:117)

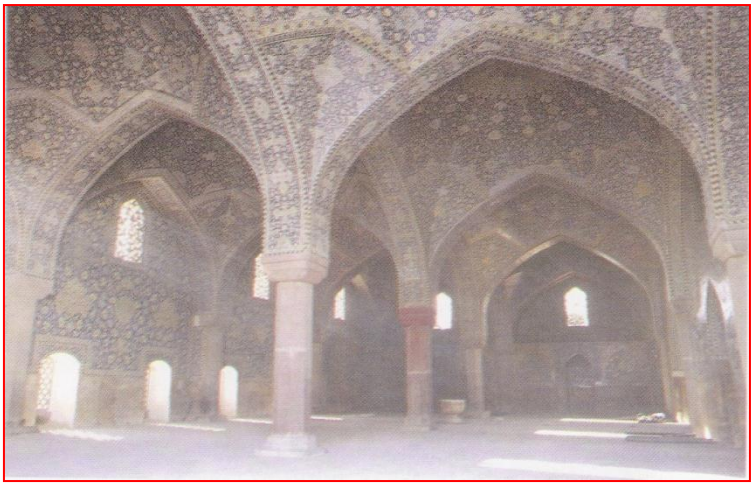

ب- الشمسيات بجامع الشاه عباس:الشبستان

عن (محمد حمزة الحداد،، 2006م)

صورة (1/ أ- ب) توضح دور المواد المستخدمة في المباني الإسلامية والتي تؤثر وتتأثر بالضوء والظلال انعكاساً وانكساراً وتعديلاً

ويرتبط المضمون الخاص بتصميم المسكن الإسلامي بالتعاليم الإسلامية والعادات السائدة التي تختص بحياة الأسرة وأسلوب معيشتها، بصفتها النواة الأولى للمجتمع الإسلامي قال الله تعالي في سورة النحل ﴿واللهُ جَعلَ لَكُم مِنْ بُيوتِكُم سَكَناً....﴾ فالمسكن يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه[5].

الإنارة وتأثير المنهج الإسلامي:

النور[6] في الإسلام :(أَللهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ) سورة النور (الآية 35)، والرسول صلى الله عليه وسلم نور في قوله تعالى(يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً وَداعِياً إلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً) الأحزاب(الآية 46).

- والقرآن نور، في قوله تعالى:(وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْري ما الْكِتابُ وَلا الإِيمانُ وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نوراً نَهْدي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا) الشورى (الآية 52).

- والمؤمن في طريق الحق على نور وذلك قوله تعالى(أَللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النّورِ) البقرة(الآية257).

و العمل الصالح نور في الحياة الآخرة: يقول الله تعالى (يَوْمَ تَرى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نورُهُمْ بَيْنَ أَيْديهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ *بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدين فيها* ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ) الحديد (الآية 12).

لذلك اهتم المسلمون بعنصر النور في حياتهم، وتمثل هذا بصورة واضحة في المساجد حيث يلتقي نور القرآن الكريم بنور الإيمان بنور الشمس نهاراً، ومصابيح المسجد ليلاً، و للنور في الفن الإسلامي مكانة أخرى[7] يقول الله تعالي (وَجَعَلْنا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمحونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَموا عَدَدَ السَّنينَ وَالْحِسابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصيلاً) سورة الإسراء (الآية12).

فالصلاة على المسلم كتابٌ موقوت، ولقد اهتم المسلمون بالتوقيت، وحساب الزمن، وإقامة المزاول في المساجد، وصناعة الإسطرلاب والساعات وانطلق من النور: الإيمان والفن والعلم والنظام والتطور التقني[8].

الإنارة من الناحية الوظيفية:

إن الضوء عامل أساسي لإظهار العمارة والمكونات الرئيسية للمباني وأشكالها[9]، كما وأنه أهمية حاسمة في تعايشنا مع العمارة[10]، فقد عبر بعض علماء العمارة أمثال كوريزيه وحدد مفهوم العمارة (بأنه تنسيق علمي رائع للكتل والأحجام المجمعة تحت الضوء) وخلق الله عين الإنسان لتدرك وتحس بهذه العناصر والمركبات وتفاعلاتها مع الضوء مكونة الظل والظليل مظهرة الألوان وتناسقها والأسطح وسطوعها كل ذلك يمكن الإنسان من التمييز بين الأشياء والإحساس بالفراغات المتعددة الأهداف والأشكال والأنماط[11].

والغرفة نفسها يمكن أن تتغير لإعطاء انطباع فراغي مختلف جداً بوسيلة بسيطة وهي تغيير أحجام ومواقع فتحاتها. فتحريك النافذة من وسط الحائط إلى الزاوية يغير الشخصية العامة للغرفة برمتها[12].

وبذلك يتضح لدينا أن الضوء هو العامل الأساسي للرؤية والإنارة الجيدة والموزعة توزيعاً سليماً تريح العين وتزيد من كفاءة الإنتاج وتمكن المصمم من استخدام المبنى استخداماً جيداً لوظائف متعددة وأغراض شتى، وتمثل دعامة مهمة في الفن المعماري الذي يتفاعل مع الإنارة فيضفي على الفراغات جوًا شاعريًا ومناخًا مرحًا ممتعًا[13] .

والمهندس المعماري المسلم يهتم بدراسة حركة الشمس بعناية على الواجهات واختلاف زوايا سقوطها باختلاف توجيه المبنى بالنسبة للجهات الأصلية، وعمل المعالجة الملائمة للواجهات تبعاً لكمية الضوء المرغوب فيها بالداخل.

كذلك يهتم المهندس المعماري بتوزيع الضوء الطبيعي بالداخل فيمتد ليشمل تلوين هذا الضوء من خلال الزجاج المعشق بالنوافذ. وفي هذه الحالة لا يظهر الضوء كعنصر إظهار حيوية الأشكال فقط ولكن كعامل إبداع جو داخلي خاص.

فقد بحث المعماريون القوط في كنائسهم عن إبداع حيز داخلي يتسم بالحيوية ويتفق مع فلسفتهم، ويعبر عما يملأ نفوسهم من أحاسيس. فالأشعة الضوئية المارة خلال الزجاج الملون بالنوافذ تخترق الحيزات(الفراغات) الداخلية فتظهر حيوية الأسطح والأشكال التي تسقط عليها[14] .

ومن ثم وجب أن تكون النظرة عند تصميم الإنارة للفراغات الداخلية والمحيط الخارجي مبنية على أساس علمي هندسي سليم، مع الأخذ في الاعتبار الأساليب الفنية والنواحي الجمالية، أي الجمع بين الهندسة والفن في نسق وظيفي جمالي متكامل[15].

وباعتبار أن المناخ في أكثر البلاد الإسلامية يميل إلى الحرارة، وشمس هذه المناطق قوية ونورها ساطع يكاد يأخذ بالأبصار، وقد كان على المباني أن تتكيف مع ظروف المناخ السائد، لذلك فقد اعتمد أغلبها على تلقف النور من فناء مكشوف بوساطة الأبواب المتعددة الواسعة المفتوحة المصاريع عليه طوال فصل الصيف الطويل، وعند إغلاقها يبقى للضوء منفذ من المنور المقوس الجميل الملون الزجاج(القمرية) والذي يعلو أكثر الأبواب حتى الخارجية منها[16].

فالإنارة عنصر مهم جداً في العمارة الإسلامية وخاصة في دورها لتمييز النقلة من فراغ لآخر ضمن المبنى الواحد أو مجموعة المباني، وقد ساهم التدرج في الحركة بين الفراغات إلى إيجاد تفاوت في المستوى بين الفراغ والفراغ الذي يليه، ويظهر ذلك من خلال تفاوت الإنارة وأهميتها كعنصر توجيه وتمهيد وجدب وربط للدخول إلى أجواء وفراغات أخرى[17] كما هو ملاحظ في مجموعة السلطان الغوري (909- 910هـ/1503-1504م) حيث شكل مبنى المدرسة ومبنى المدفن والسبيل والكتّاب أعلاه بحيث احتضن المبنيان ساحة بينهما ينسجم مسطحها مع مسطح وارتفاع المباني المذكورة بحيث تم ربط فراغي بينهما[18].

ويلعب النور واللون دوراً مهما في تحقيق جمالية فنون الزخرفة المعمارية الإسلامية، وبخاصة في فنون المشربية والزجاج المعشق لذلك كان على الفنان المعاصر لكي يحقق تواصله الفني مع تراثه التقليدي، دون ثنائية الصراع بين الأصالة والحداثة، أن يدرك مضمون هذا التراث وفلسفته، باعتبار أن الفن الإسلامي هو تعبير عن الوجود، وجود الإنسان والكون، وليس تصويراً لهذا الوجود[19].

هناك قيم تراثية تتم باستخلاصها الجوانب التشكيلية للمفردات المعمارية، واستخلاص القيم التصميمية التي أبدعتها يد الإنسان في حرفية البناء، فالقيمة التراثية لعناصر التهوية والإنارة

تتضح في إظهار قدرة الإنسان على استغلال طاقاته الخلاقة في استنباط وسائل بيئية محلية، تساعد على مواجهة الظروف المناخية بحيث يسهل عليه إنشاؤها وتشغيلها وصيانتها، فالقيمة التراثية للفناء تكمن في توجيه الحياة الأسرية إلى الداخل بحثاً عن الخصوصية مع توفير الإنارة و مواجهة المتطلبات المناخية في نفس الوقت[20].

واعتمدت العمارة الإسلامية في الحصول على الإنارة الطبيعية على الضوء المنعكس من السماء، لا على الإنارة المباشرة من الشمس لما تسببه من مشكلة الزغللة، لذلك استخدمت الكوات العالية (الملاقف) صورة(2) التي ترتفع عن السطح العلوي للمبنى وتكون مربعة أو مثمنة، مسطحة أو هرمية أو على هيئة قبة صغيرة تغطى الصحن المسقوف، ويتم وضع نوافذ على محيط رقبتها على هيئة نوافذ خشبية وغالباً ما تكون مغطاة بسلك لمنع دخول الحشرات والطيور[21]. شكل(1)

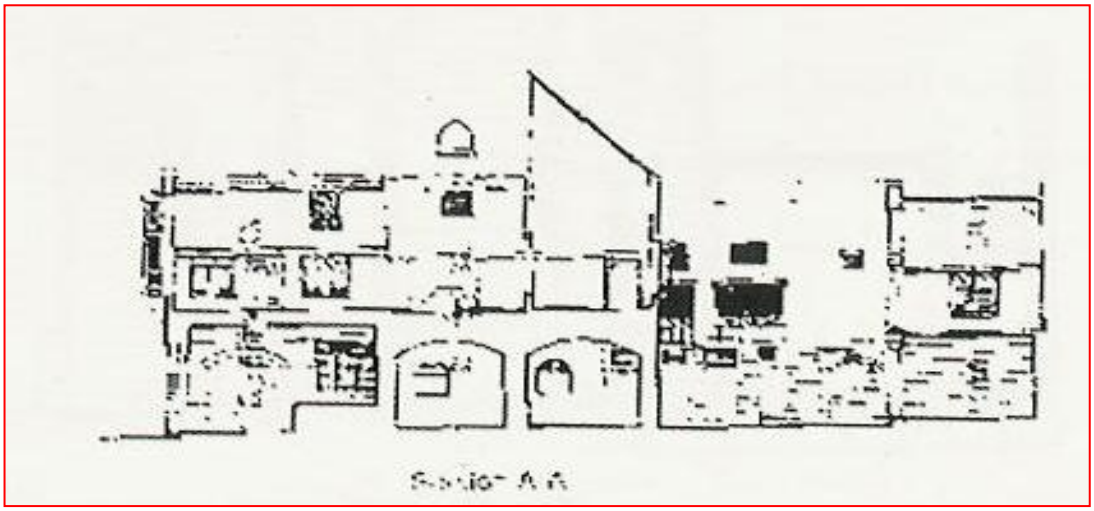

شكل(1) يوضح قطاع رأسي لتوضيح الملقف لبيت السناري

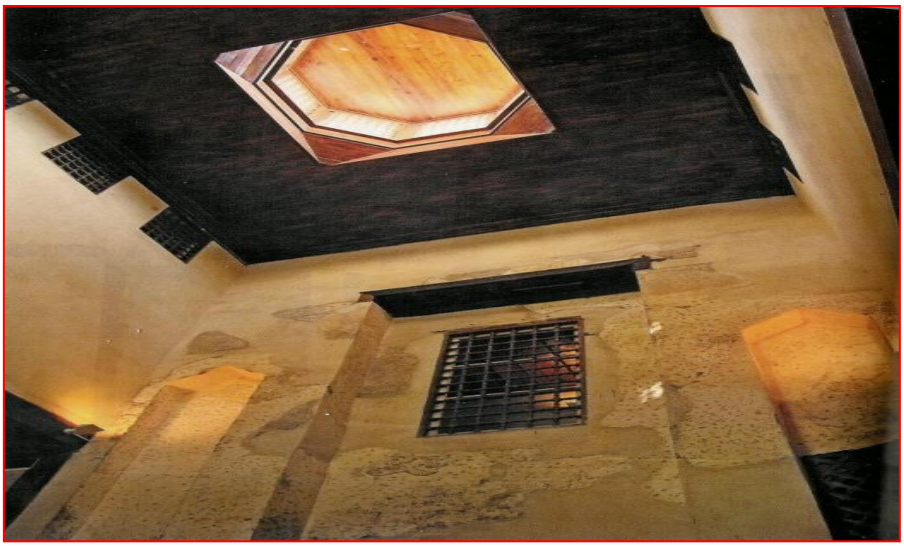

صورة(2)

توضح ملقف لأحد قاعات منزل الست وسيلة من الداخل عن(منزل الست وسيلة،

مرجع سابق، 2005 م، ص:96)

وتعتبر الملاقف أحد أهم العناصر المميزة في المباني الإسلامية خاصة التي بالمناطق الحارة، وقد انتشرت هذه التقنية بصورة وأشكال متعددة بعضها بدائي بسيط وبعضها متطور في مناطق واسعة من العالم الإسلامي التي اتفقت وظيفتها في مختلف بلدانه وإن كانت اختلفت تسميتها من منطقة إلى أخرى، حيث تعرف في البلاد العربية باسم ملاقف الهواء وفي بلاد إيران باسم(البادجير) وهي كلمة فارسية تعني برج الهواء أو ملقف الهواء، وهي لها أهمية كبيرة في المدن الكثيفة السكان. فالأبنية المتلاصقة تحول دون الرياح وتقلل سرعتها على مستوى الشارع فتصبح النوافذ غير كافية لتوفير التهوية اللازمة ويمكن تصحيح هذا الوضع باستعمال الملقف[22].

وتزداد الحاجة للإنارة الطبيعية في الفراغات الداخلية الكبيرة والتي يجتمع فيها الكثير من الناس مثل المساجد، فالإنارة الطبيعية هي المصدر الرئيسي لتوفير النور داخل المبني خلال ساعات النهار، وتعتبر الإنارة الطبيعية العامل الرئيسي بعد مواد البناء في تشكيل المباني من الداخل والخارج[23].

و كانت إحدى المشكلات السابقة في أن الحصول على الإنارة الطبيعية الجيدة يحد من عمق المبنى إلى الداخل عند الحاجة إلى تقسيمه، فكان للإنارة الصناعية التأثير الفعال على تصميم المباني حيث أنهت هذه المشكلة ولم تعد هناك محددات للعمق المطلوب للمباني[24].

و لقد راعي المهندس عند التصميم علاقة ارتفاع المبنى وعرض الطريق وذلك لتوفير التهوية والإنارة الكافية داخل المبنى[25]، وهناك عامل هام يجب أخذه في الحسبان عند تصميم المباني وهو مسار الشمس، فإن دخول النور إلى المبنى وتدفئته وتشكيل الظلال التي تلقيها المباني

المجاورة أو المبنى نفسه المراد تصميمه عوامل هامة يجب احتسابها؛ فضوء الشمس يؤثر على مبدئي الوظيفة والثبات إضافة إلى تأثيره على الجوانب البصرية للتصميم، فموعد شروق الشمس والدرجة التي تبلغها عند شروقها وعند الغروب بالإضافة إلى اختلافات شدة الإنارة اليومية والفصلية لابد من أن تؤخذ في الحسبان كجزء من مجموعة حقائق أساسية على المهندس أو المصمم أن يتذكرها أثناء التصميم [26]، حيث إن الإنارة الطبيعية تهيئ الأماكن المغلقة ونصف المغلقة، والمكشوفة و المكشوفة المظللة وكل في ارتفاعاته المتنوعة، تهيئ تنويعاً غنياً من شدة الإنارة لتناسب تغيرات الفصول وأوقات اليوم المختلفة، وحين وجود النوافذ الخارجية فهي تكون صغيرة عالية تدخل الضوء المحدد لينعكس في الداخل على السطوح البيضاء العاكسة، معوضاً بذلك تكبير مساحات النوافذ المباشرة التي تسرب البرد والحر [27] .

وكما أنا دراسة الضوء من الأمور المهمة لكافة المباني وخاصة بالنسبة للمسجد لأنه يجب أن يكون مضاءً في جميع أركانه بضوء يسمح لقارئ القرآن الجالس على الأرض بالرؤية الواضحة لما يقرأ فليس في المسجد مكان خافت الضوء بل أن المسجد نور على نور [28]، ويلاحظ ارتفاع أسقف المباني من الداخل وخاصة المساجد فكلما زاد ارتفاعها زادت الاستفادة من الإنارة العلوية وقلت الحاجة لزيادة مساحة فتحات الإنارة [29] .

و المعماري المسلم عليه مراعاة أمرين اثنين لإنارة أبنيته نهاراً، الأول يتناول على السواء المساكن والأماكن العامة، ويخضع للمناخ، والأمر الثاني يتناول المساكن وحدها، ويخضع للمعتقدات والعادات والتقاليد، وجميع المباني تشترك في المؤثرات المناخية وينفرد البيت بمؤثرات اجتماعية تقضي بالمحافظة على حرمته، وعزل من فيه عن أنظار الغرباء وإعطاء حرية التحرك كاملة لسكانه [30] .

إن تخطيط المنزل الإسلامي هو على الدوام سواء في المشرق أم المغرب موجه إلى الداخل. أي أنه مصمت من خارجه تماماً فإن وجدت فيه نافذة للهواء أو النور كانت في أعلى الجدران لئلا تستخدم في الاطلاع على ما في الداخل، وعلى حرمة أهل البيت في حين ينفتح المنزل في داخله عن سعة للسماء والهواء[31].

ولتخفيف حدة الضوء ولأبعاد جدران المسكن عن حرارة أشعة الشمس المباشرة، كان يحيط بالبناء من الداخل أروقة مسقوفة مقنطرة مفتوحة لا أبواب لها تشرف على الصحن الداخلي، وأبواب الغرف ونوافذها الواسعة تطل من خلال الأروقة على الصحن نفسه، ولدى الرغبة في الحصول على كميات أوفر من الضوء، كان مصممو الأبنية يلجؤون إلى الإكثار من الكوات العالية والنوافذ المزدوجة، والفتحات العمودية الضيقة والمتجاورة في الواجهات[32].

وإن الأمر في الطوابق العليا، لا يختلف كثيراً عنه في الأرضية، فالنور المعول عليه يدخل أيضاً من الصحن، و إذا ما تسلل من النوافذ القليلة الارتفاع والمطلة على الشارع، فهو يتسرب

من خلال تخريمات المشربيات الخشبية المحيطة بالنوافذ. والتي أبدع الحرفيون بتصاميمها وزخارفها، فجاءت آية في دقة الصناعة، ورقّة الذوق[33].

كما لجأ المعماري المسلم إلى استعمال " المضاوي"، وهي فتحة صغيرة في أعلى الجدار أو السقف تسد "ببلاطة" من زجاج أو بقعر قنينة ويلجأ إليها في قباب الحمامات(صورة 3) لغرض الإنارة دون التهوية، كما تطلق كلمة مضوي على الفتحة المزججة الموجودة في النوافذ الجصية (الشمسية أو القمرية)[34].

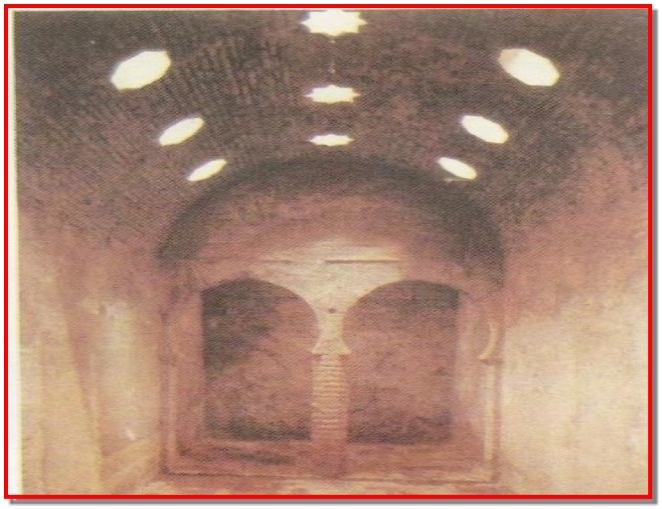

صورة (3) توضح استعمال بلاط الزجاج بقباب الحمامات لغرض الإنارة –القاعة الباردة بحمام الجوز بحى البيازين بغرناطة البانويلو (عصر ملوك الطوائف) عن (حمزة الحداد، مرجع سابق، 2006م)

ويُعتبر الحمّام العام من المباني التي تتطلب وظيفتها تجنب تيارات الهواء، وعدم السماح للهواء بدخول الحمّام سواء كان عبر النوافذ أو المناور أو الملا قف، وخاصة في الجانب الخاص بالاستحمام أي الحُجرة الدافئة والساخنة، وذلك حفاظاً على حرارته الداخلية وعدم تعريض المستحمين للأذى[35].

فكانت عناصر الإنارة الموجودة في الوحدات الداخلية تتمثل في الفتحات المغشاة بالزجاج الشفاف الأبيض أو الملون الذي يمرر الضوء فقط دون الهواء فتكون الإنارة طبيعية دون حدوث تيارات الهواء المُضرة صورة(4–5–6)، وقد وجدت النوافذ ولكن في الحُجرة الباردة (المشلح) فقط باعتباره الجانب الذي يكون فيه المستحم اقل عرضة لضرر تيارات الهواء، ومع ذلك فقد وجدت هذه النوافذ مرتفعة جداً إما في رقبة القبة أو في القبة نفسها صورة(7/أ– ب)، إضافة إلى وجود الفتحات الملونة التي سبق الإشارة إليها[36].

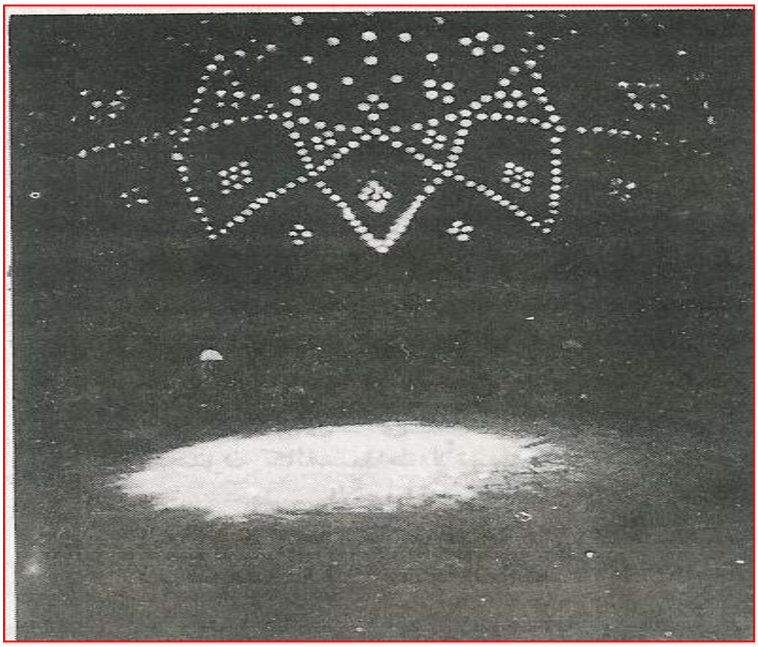

صورة(4) حمام من الداخل–حلب سوريا–نلاحظ الإنارة نهاراً بواسطة البلاطات المطينة مع القبة لدخول النور والحرارة معاً عن(عبد الرحيم غالب، مرجع سابق، 1988م، ص:13

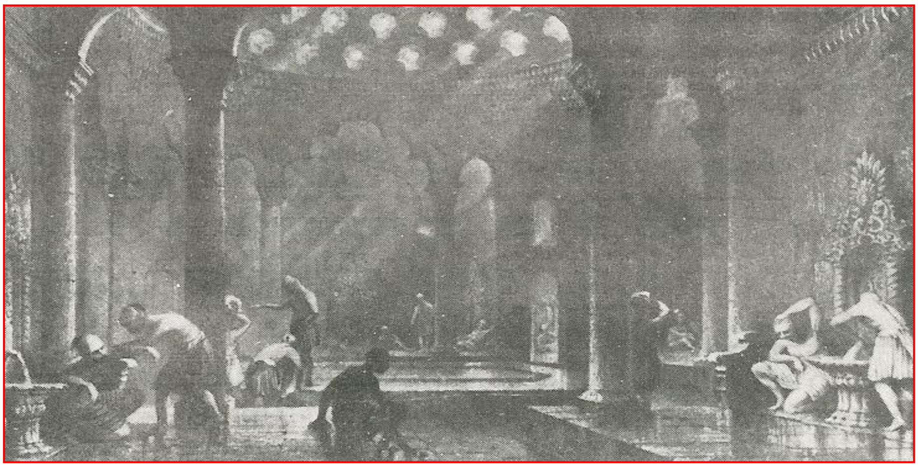

صورة(5) حمام تركي في اسطنبول خلال القرن الثامن عشر، نلاحظ كيف تتم إضاءته من خلال الفتحات ذات البلاطات الزجاجية بقباب الحمام عن(المرجع السابق، 1988م، ص:134)

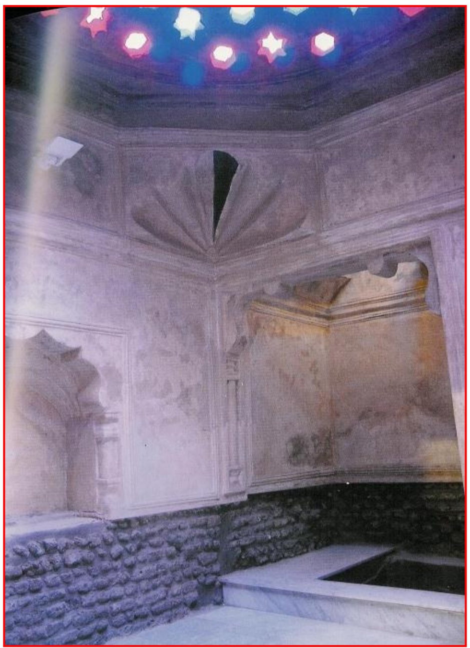

صورة(6) أحد غرف الحمام في بيت الست وسيلة توضح الإنارة خلال النهار من خلال الفتحات المكونة بالقبة بواسطة بلاطة من الزجاج(قمريات) عن(منزل الست وسيلة، (ب.ت)،ص:82)

(أ)

(ب)

أ- ب/الفتحات بقبوات الحجرة الباردة (المشلح) من الحمام

ج- الفتحات بقبة الحجرة الدافئة من الحمام

صورة7(أ– ب–ج) توضح الفتحات المستخدمة للإنارة داخل حمام درغوث بمدينة طرابلس القديمة (تصوير الباحثة، بتاريخ، 2007/2/21م)

ونظراً لانعدام وجود النوافذ في الحمّامات وضعف الإنارة بها استُعملت الفتحات الصغيرة بالقباب والقبوات داخل حجرات الحمام مشدودة من الجهة الداخلية بتشكيلات جصية رائعة، فجاءت هذه الفتحات إما دائرية صورة(7/ج) أو في أشكال نجمية صورة(6) أو أشكال جمالية متنوعة كما هو ملاحظ من خلال الصور السابقة .

فلم يكن هناك حل لمشكلة الإنارة إلا بهذه الفتحات المُشار إليها فكانت رغم ذلك الإنارة ضعيفة في الحُجرة الدافئة والساخنة مقارنة بالباردة (المشلح) انظر صورة(4–5)، الذي تضيئه النوافذ، إضافة إلى ذلك يُذكر إن بعض الحمّامات كانت تُضاء ليلاً بالشموع والشمعدانات والسُرج كما في حمّامات الأندلس أو تتدلى السلاسل من القبة وتُعلق فيها المشكاوات[37].

وتشير أحد الدراسات إلى أن قاعة منزل السناري (بني عام 1209هـ/1794م) تعتبر مثالاً نموذجياً للتوزيع الجيد للإنارة، حيث إن المساحة الفعالة المنفذة للضوء إلى مساحة أرضية القاعة تساوي 20.67% وهو رقم جيد، أما بالنسبة إلى مستوى شدة الاستضاءة الذي تم قياسه فيعتبر مرضياً بموجب ما تتطلبه القواعد المصطلح عليها حاليًا[38].

وبحكم أن هناك بعض الصلوات تقام ليلاً فكان يجب إنارة المسجد ليلاً فمسجد المدينة لم تعلق بسقفه قناديل الزيت قبل السنة التاسعة للهجرة (9هـ/630م) فقد كانوا يكتفون قبل ذلك بضوء نار جذوع النخل التي يوقدونها لهذه الغاية[39].

وفي السنة السادسة والثمانين للهجرة (86هـ/705م) صارت هذه القناديل بلورية تعلق بسلاسل من الذهب بمسجد بني أمية في دمشق. وقد أهتك المسلمون بزخرفة المسجد كما اهتموا أيضاً لقناديله وتنانيره[40].

واهتم المسلمون لتنوير الساحات وصحون المساجد والطرقات أيضاً، فعمر بن الخطاب، علق المصابيح على سور ساحة الكعبة[41]. ولا يزال صحن المسجد الأموي يضم عمودين من الرخام يحملان رأسين مزخرفين من النحاس استعملا للإنارة[42].

ويدخل في إطار المنفعة والجمال إنارة شوارع المدينة وتبليطها، وقد اهتم بذلك اهتماماً واضحاً في شوارع المدينة الإسلامية وسبقت غيرها من مدن أوروبا في هذا الاهتمام فقد كان المرء في قرطبة "يسير عشرة كيلو مترات على ضوء المصابيح في الوقت الذي لم يوجد فيه بعد ذلك بسبعمائة عام في شوارع لندن مصباح واحد"[43].

ونظراً لأن الإنارة ليلاً تحقق هدف تأمين المارة، من ثم اهتم بإنارة الشوارع والميادين، فكان الميدان الذي يطل عليه القصر في مدينة بغداد يضاء ليلاً، وكذلك جميع الطرقات[44]، "وعمت الإنارة شوارع مدينة الفسطاط والقاهرة، واهتم الحكام بهذا الأمر حتى أن الخليفة العزيز سنة (383 هـ/993م) أمر بإنارة المصابيح على البيوت وفي الأسواق بمدينة الفسطاط، وفي سنة(391هـ/1000م) أمر الحاكم بأمر الله أن تنار القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب البيوت والدكاكين والشوارع والأزقة، وكان الحاكم ينزل كل ليلة إلى المدينة متفقداً شوارعها و أخطاطها وأزقتها، فتبارى السكان في الإنارة"[45]، وكان في مدينة القاهرة شوارع مسقوفة أو طرق مقببة لا يصل إليها نور الشمس، تنار ليلاً ونهاراً بوساطة القناديل أو المصابيح المليئة بالزيت الحار المستخرج من بذور الفجل واللفت[46] .

وإن كانت المصابيح بمثابة أدوات الإنارة الثابتة فإنها استخدمت أيضاً أثناء التنقل في الشوارع ليلاً أدواتً للإنارة التي يحملها المارة[47]، وشاع استخدام الفوانيس التي تحمل على البغال مع الفانوسية أمام وخلف ركب الملوك في الليل.

وكان محمد بن طغج الإخشيدي من حكام مصر – ممن حمل الشمع معهم على البغال في الليل، فكانت الشمعة تحمل على مؤخرة البغل وفراش يركب أمامها يلتفت إليها من آونة إلى أخرى يصلحها أو يضيئها[48]، وتكون الدولة هي المسئولة عن مصاريف الفوانيس الخاصة بإنارة الشوارع والأزقة والحوار حيث يعين لذلك عمال خاصون بإنارة الأزقة والشوارع والحواري[49].

وفي مواسم الاحتفالات كانت تنار الشوارع والمآذن والمساجد بصور مكثفة واعتبر ذلك من مظاهر الاحتفالات الدينية التي شهدتها المدن الإسلامية [50]، ومن طريف ما يذكر أن الإنارة لم تقتصر على فترات الليل حيث إنه أضيئت بعض الأزقة والأسواق بالفسطاط بالقناديل نهاراً لعدم وصول الضوء بنسبة كافية إليها[51].

وجاءت المدن الصحراوية مسقوفة الشوارع والأزقة بحكم تخطيطها المعماري والمناخ الصحراوي الذي تقع فيه من ارتفاع درجة الحرارة وسقوط الضوء المبهر خاصة في فصل الصيف وتتم التهوية وإنارة هذه الأزقة والشوارع من خلال الفتحات التي عملت بالسقف على مراحل أو مسافات، ففي مدينة غدامس القديمة نرى الشوارع والأزقة الضيقة قد سقفت بأسقف من الخشب وسعف النخيل وجذوعه وتركت فتحات في السقف على مراحل لكي تتم إنارة وتهوية هذه الشوارع والأزقة المظلمة صورة(8–9) .

صورة(8) توضح إنارة الشوارع المسقوفة بالمدن الصحراوية عن طريق خلق الفراغات بالسقف/ مدينة غدامس –ليبيا (تصوير الباحثة، زيارة ميدانية بتاريخ 2007/5/20م)

صورة(9) توضح فتحات الإنارة والتهوية في سقف الفضاءات الموجودة بشوارع المدن الصحراوية/ بمدينة غدامس –ليبيا (تصوير الباحثة، زيارة ميدانية بتاريخ 2007/5/20م)

هذا بالإضافة إلى أن البيوت في المدن الصحراوية لم تتوفر بها فتحات أو نوافذ تطل على الشوارع إلا في الطوابق المرتفعة؛ وذلك ما يدعو إلى الانتباه عند الدخول إلى البيت الغدامسي من حيث كثرة وجود المرايا للمساعدة في توزيع الضوء الساقط عبر صحن البيت إلى حجراته من خلال انعكاسه عليها بشكل أكبر[52].

ندر استخدام المشاعل وحدها للمواكب أو الاحتفالات الشعبية واستمر ذلك في مختلف العصور الإسلامية، وقد اعتاد الناس أن ترتبط أفرحهم العامة والخاصة بإيقاد ما يستطيعون من أضواء الشموع، المشاعل، القناديل، الأنوار، الثريات حتى صارت من لوازم الفرح سواء في المشرق أو الأندلس والمغرب فليس من عرس ولا مناسبة بهيجة إلا ولوسائل الإنارة دورها فيها[53].

وإن أعظم الاحتفالات كانت في المناسبات ذات الطابع الديني وهي عديدة: فمنها ختم القرآن الكريم، وما كان يسمى بليالي الوقيد وهي(مستهل رجب ومنتصفه ومستهل شعبان ومنتصفه وثبوت هلال رمضان الكريم أيضاً) و من هذه الاحتفالات خروج المحمل والحجيج حاملين أستار الكعبة، و تعد ليلة السابع والعشرين من رمضان (ليلة القدر)من أعظم الاحتفالات الدينية التي تنطق فيها شموس الأضواء[54].

إن إنارة الحمامات كانت على جانب كبير من الطرافة فإلى جانب النوافذ القليلة المرتفعة، فإن إضاءتها تتم عن طريق فتحات موجودة بالقباب التي تعلو حجراتها حيث استعملت أعقاب القوارير الزجاجية الخضراء والعنبرية والشفافة والزرقاء، كمادة بنائية في تشييد القباب بشكل زخرفي جميل أيضاً، محكم التماسك مع الطين والحجارة يتيح استقبال أشعة الشمس ودفئها في آن واحد[55].

وكي لا يضحي المعماري المسلم بالشكل العام، والتخطيط المألوف، قام بلعبة ذكية لحل مشكلة الإنارة في المناطق الباردة، التي يضطر فيها إلى سقف الصحن المكشوف عادة، خاصة في المباني العامة، كالمساجد والمدارس والحمامات والخانات وغيرها؛ فجعل الأسقف مختلفة المستويات والأشكال، فكانت مقببة ومسطحة ومنحدرة، وفتح النوافذ في أعلى جدران القاعات، الأكثر ارتفاعاً، أو في رقبات القباب[56]، كما هو الحال في المدرسة الجقمقية بدمشق (متحف الخط العربي حالياً) ومناور مسجد قرطبة[57]، وفي الشمسيات بقبة ضريح مصطفى قورجي وفي ضريح أحمد باشا القره مانلي.

وفي المساجد الأندلسية شيدت القناطر بعضها فوق بعض، بتوزيع هندسي مدروس يكثر من الفتحات وينوع اتساعها ويعدد أشكالها ويساعد على جعل الأسقف، أعظم ارتفاعاً، والأقواس أكثر مقاومة، والهواء أسرع حركة والضوء أعم انتشاراً[58] .

كما وأن المعماري المسلم لم يهمل إنارة الأسواق وخاصة تلك المسقوفة خلال فترات النهار وذلك بعمل فتحات أو مضاوي بأعلى السقف ونلاحظ ذلك في الكثير من الأسواق المنتشرة

بالعالم الإسلامي كما هو الحال بسوق الصناعات التقليدية[59] بالمدينة القديمة بطرابلس وسوق الرباع وغيره من الأسواق. صورة (10)

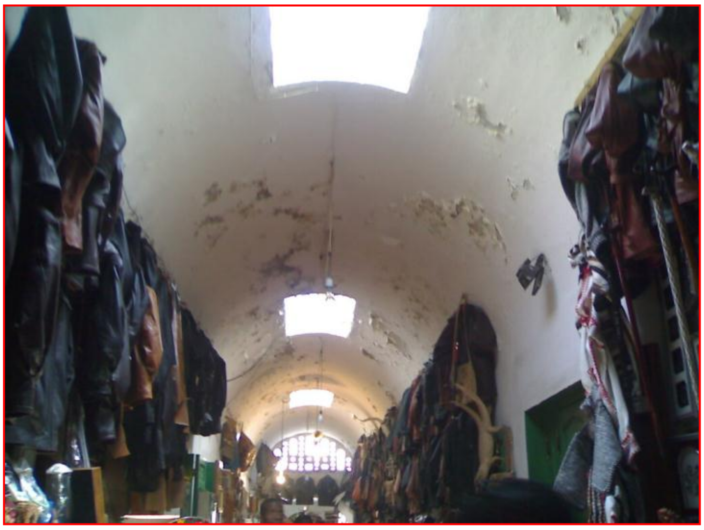

صورة(10) توضح فتحات الإنارة الموجودة بسقف سوق الصناعات التقليدية بالمدينة القديمة –طرابلس الغرب (تصوير الباحثة، دراسة ميدانية بتاريخ 2007/7/15م)

كما ويتضح ذلك في سوق الرباع بالمدينة القديمة بمدينة طرابلس الملاصق لجامع أحمد باشا القره مانلي، أنشأه الوالي عثمان باشا الساقزلي خلال فترة حكمه (1059– 1083هـ/ 1649–1672م)، وهو أول سوق مغطى في مدينة طرابلس وله عدة منافذ مغطى بسقف قبوي تتوسطه على طول أزقة السوق فتحات للإنارة وهذا السوق مخصص لبيع الزي التقليدي الليبي الخاص بالنساء والرجال صورة (11/أ)[60]، وهذا ما نلاحظه أيضاً في السوق التقليد بمدينة حلب صورة (11/ب).

صورة (11/أ) توضح الفتحات التي بسقف سوق الرباع بالمدينة القديمة طرابس الغرب.

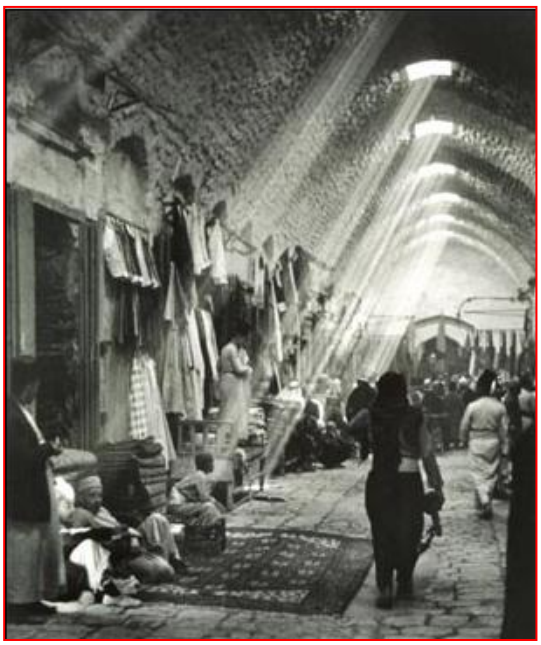

صورة(11/ب) توضح الفتحات التي بالسوق التقليدي بالمدينة القديمة في حلب.

الحواشي

1. محمد بن عبد الله بن صالح، "الحرم النبوي الشريف: نشوءه وتوسعاته"، مج 1، جامعة الملك سعود، (الرياض، 1999م)، ص ص:97- 136
2. أحمد علي إسماعيل، "المدينة العربية الإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي"، الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي، (السعودية،1985م)، ص:206
3. شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج2، (دار طلاس، دمشق، 1997م)، ص:729
4. محمد خليل نايل وآخرون، تاريخ فن العمارة، الجزء الأول، (المطبعة الأميرية، مصر، 1943م)، ص :90-93

5. عبد الباقي إبراهيم، المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية، الناشر مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (مصر، 1986م)، ص:84
6. عبد العزيز كامل، " الفن الإسلامي بين الدين والإبداع"، الفنون الإسلامية المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، أعمال الندوة العالمية المنعقدة في استانبول ابريل 1983م، دار الفكر، (دمشق، 1989م)، ص:46
7. كامل،" الفن الإسلامي بين الدين والإبداع"، الفنون الإسلامية المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، ص:47
8. كامل،" الفن الإسلامي بين الدين والإبداع"، الفنون الإسلامية المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة ،1989ف، ص:47
9. محمد عبد الفتاح عبيد، أسس الإنارة المعمارية، (جامعة الملك سعود، الرياض، 1998م)، ص:1
10. ستين أ. راسموسين، الإحساس بالعمارة، ترجمة عماد الكيالي، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م)، ص ص:202
11. عبيد، أسس الإنارة المعمارية، ص:1
12. راسموسين، الإحساس بالعمارة، ص ص:203
13. عبيد، أسس الإنارة المعمارية ، ص:1
14. يحي حموده، التشكيل المعماري، (مؤسسة الأهرام، مصر، 1998م)، ص ص:87-88
15. عبيد، أسس الإنارة المعمارية، ص:1
16. يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة،(الكويت، 2004م)، ص:131
17. علي أبو غنيمة، "المراكز الإسلامية في أوروبا"، سجل بحوث ندوة عمارة المساجد، مج 3، (جامعة الملك سعود، الرياض، 1999 م)، ص ص:1-16.
18. صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية، (بيروت، 1984م)، ص:76
19. صفوت كمال،"الأصالة التقليدية كمصدر إلهام للحداثة"، المشربيات والزجاج المعشق في العالم الإسلامي، الندوة الدولية الأولى حول الحرف اليديوة في العمارة الإسلامية،(مصر، 1995م)، ص ص:193 -207
20. إبراهيم، المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية ، ص:109
21. وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص:131
22. وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة ، ص ص:116-118
23. طلال بن عبد الرحمن الردادي،"المعايير التصميمية للإضاءة الطبيعية في المساجد"، سجل ندوة بحوث عمارة المساجد، المجلد السادس، (جامعة الملك سعود، الرياض، 1999م)، ص ص: 13-25.
24. ك.و سميثيز ،أسس التصميم في العمارة، ترجمة محمد بن عبد الرحمن الحصين، (الرياض، 1999م)، ص:83
25. مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ص:75
26. ك.و سميثيز، أسس التصميم في العمارة، ص:81
27. محي الدين سلقيني، العمارة البيئية، (دار قابس، بيروت، 1994م)،ص:89
28. محمد ماجد خلوصي، عمارة المساجد،(دار قابس، بيروت، 1998 م)،ص:9
29. الردادي، "المعايير التصميمية للإضاءة الطبيعية في المساجد"، ص ص:13-25.
30. عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية،(بيروت، 1988م)، ص:57
31. مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ص:50

32. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص:58
33. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص:61
34. وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص:131
35. محمد عثمان، جرجا وأثارها الاسلامية في العصر العثماني، مجلة دراسات أثرية إسلامية، مج3، إصدار المجلس الأعلى للآثار، (القاهرة، 1988م)، ص: 300
36. منير كيال، الحمّامات الدمشقية، (دمشق، 1986م)، ص:227
37. محمد خلاف، قرطبة الإسلامية، الدار التونسية، (تونس، 1984م)، ص ص:130-134
38. وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص:132
39. فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، (الهيئة المصرية العامة، مصر، 1994م)، ص: 69
40. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص:61
41. الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، ص: 69
42. عبد القادر الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، 1979م)، ص:50
43. مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ص:50
44. مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ص:51
45. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار،(تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي)، ج 2، مكتبة مدبولي، (القاهرة ، 1998م)، ص:108
46. ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة، (مصر، 1993م)، ص:120
47. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الأفاق العربية،((ب.م)، 1999م)، ص:198
48. أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة، 1418م)، ص:416
49. شبكة المعلومات الدولية ، محمد عبد الجليل،" الإنارة مصادرها ومستلزماتها في العصور القديمة"، شبكة أرث العراق الثقافية.
50. المقريزي، المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ص:490
51. خسرو، سفر نامة ، ص:117
52. أخذت هذه المعلومات عن أحد المرشدين بمدينة غدامس وهو الأخ فاضل مصطفى هارون ، زيارة ميدانية بتاريخ 2007/5/5م
53. مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ص ص:745- 746.
54. مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ص:748
55. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص:61
56. الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية، ص:204
57. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص:58
58. غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ، ص:61

59. كان يسمى موقع هذا السوق بدار البارود، وتم استخدامه فيما بعد كمركز للشرطة، وسجن مؤقت، وفي سنة 1935م أنشئ به سوق الصناعات التقليدية وأحدثت به مدرسة للخزف والفخار ومدرسة أخرى لتعليم صياغة الذهب والفضة، وطرق النحاس ونقض المعادن، ويطل هذا السوق بمدخل جميل على سوق المشير...للمزيد أنظر، الأسواق بالمدينة القديمة طرابلس، كتاب صدر عن مشروع تنظيم المدينة القديمة طرابلس(طرابلس،2001م)، ص: 47

60. إصدار اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس عبق الماضي، شركة المطبوعات، (بيروت، 2007م)، ص:79

الحمّام الكبير بمدينة طرابلس القديمة

(دراسة آثريه تحليلية وتوثيقية)

إلهام إبراهيم القرقني
جامعة المرقب – ليبيا

المُلخص

إن الحمّامات من المرافق الخدمية التي وجدت في المدن الإسلامية، واقتضتها ضرورة الطهارة والغسل عند المسلم، ومن هنا أضحت ضمن مكوناتها المعمارية وبرزت فيها أشكال العمارة والفنون الإسلامية . وهنا أتحدث عن مدينة طرابلس الغرب الإسلامية، فهذه الدراسة تتناول أهم هذه الحمّامات وهو (الحمّام الكبير) وما تبقى من آثار أجزائه، وذلك بدراستها دراسة أثرية تحليلية وتوثيقية لكونها لم تلق نصيبها من الاهتمام من حيث الدراسة والصيانة والترميم، للحفاظ عليها كونها من معالم المدينة المهمة والتي تعطي صورة واضحة عن حياة سكانها لفترة مهمة من تاريخ البلاد الليبية وهي فترة الحكم العثماني.

وتشمل الدراسة الرفع الهندسي للحمّام وتصور كامل لشكله الخارجي، ومكوماته المعمارية الداخلية بما فيها أهم القاعات الثلاث .

مقدمة

إن مجيء الإسلام وانتشاره في الأرجاء زاد من أهمية الحمّامات؛ لأن بها يتطهر الإنسان من الدنس والخبائث، والعقيدة الإسلامية أوجبت فرضيتها للعبادة، فلا تتم إلا بها انطلاقاً من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(1) وقوله ﷺ: " الطهور شطر الإيمان "(2) فكان لزاما وجود مثل هذه المرافق، حيث ما حل المسلمون، وحسب ما توفر من موارد وإمكانيات، وبذلك جاءت متنوعة، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص، وبلغت أعداداً هائلة داخل المدن الإسلامية، وخاصة بالقرب من مساجدها.

إضافة لهذا الدور الديني، فقد كانت الحمّامات مكاناً للترفيه والتسلية والترويح عن النفس، وعقد الصفقات التجارية، وحبك الدسائس، والمؤامرات السياسية، ولها أيضاً دورها الاجتماعي، والصحي والاقتصادي، وارتبطت بالعديد من المناسبات الاجتماعية خلال العهود الإسلامية المزدهرة، بداية من العهدالأموي الذي ظهرت فيه الحمّامات الخاصة المُلحقة بقصور الخلافة، واستمراراً بالعهد العباسي، والعهد الفاطمي، والأيوبي، والمملوكي.

وبظهور الحكم العثماني في العالم الإسلامي حظيت الحمّامات العامة باهتمام متزايد من حيث تطور معمارها وزخرفتها في كافة أقاليم الدولة، ومن ضمنها ليبيا حيث ضُمت سنة (1551م) للحكم العثماني، وبدأ التأثير واضحاً في المعمار الديني والمدني.

إن تصميم هذه الحمّام جاء في خدمة المستحم، وتوفير شروط السلامة لرواده من خلال التدرج الحراري في أقسامه الرئيسة الثلاثة (الباردة – الدافئة– الساخنة)، والتحكم في مساحة الحيز الفراغي للحُجرات لتوفر للمستحم الحرارة والبخار اللازمين.

وجاء طرازه مشابه لطراز الحمّامات الإسلامية في العاصمة العثمانية من حيث الأسس والشروط المُتبعة لراحة المُستحم، وكذلك من ناحية جعلها ضمن مجمعات معمارية، حيث وجد هذا التخطيط بكثرة في العاصمة اسطنبول، والولايات التابعة لها، وبذلك ظهرت هذه المباني في هذه المدينة ذات تأثيرات متنوعة

الطراز، وهو خليط ما بين الطراز المحلي وتأثير خبرات وفنون الدول المجاورة، منها التونسي والمغربي الأندلسي، وما أتى به الأتراك العثمانيون.

تأسيس الحمّام الكبير

عُرف هذا الحمّام باسم الحمّام الكبير تمييزاً له عن الحمّام الصغير (حمّام درغوت)، وقد شُيد في فترة حكم الوالي (عثمان باشا الساقزلي) [3] (1649– 1672م)، الذي شيد مجمعاً معمارياً عُرف باسم مدرسة عثمان باشا الساقزلي بالقرب من ميدان السيدة مريم بالمدينة القديمة، ويتكون هذا المّجمع من مدرسة، ومسجد، وضريح، ومقبرة مفتوحة.

يطل هذا الحمّام (رقم 10 / 24) على شارع سوق الحرارة نسبة إلى ما يشتهر به هذا السوق من الاتجار في مادة الحرير والأقمشة الحريرية، وهو أكثر شوارع المدينة القديمة ازدحاماً وحركة، وساهم في ذلك وقوعه بالقرب من تقاطع الأربع عرصات الشهير بالمدينة. [4]

أما موقد الحمّام، فهو يقع في زنقة سوق الحرارة في الجانب الخلفي من المبنى، أي أنه بعيد عن المدخل الرئيس له، ويمتاز الحمّام بارتفاع قبته، وبزخرفته، وأن له مدخلين في شارعين مختلفين يؤدي كلِ منهما إليه، أما تغذيته بالماء، فكانت تتم بنظام جلب المياه عن طريق استخدام الدواب ، حيث يقوم بخدمته عدد من العمال، وتذكر المصادر أن آخر فترة استخداماته كانت في الثلاثينات (1930م)، ثم تحول إلى سوق للحرف التقليدية (أي تعرض للاستخدام الخاطئ للمبنى) . [5]

وقد وجدت لوحة حجرية نقشت عليها أبيات من الشعر باللغة التركية، وهي حاليا بمتحف طرابلس، شملت هذه اللوحة الآتي:-

1- أنشأ هدا الحمّام عثمان باشا
2- ليس به عيب أو نقصان
3- من دخله طهّر جسمه وفؤاده
4- حفظه الله وحفظ عباده أجمعين
5-كل من دخله يقول
6- ما أجمل نقوشه وزينته.
7- سنة (1069هـ / 1658-1659 م) [6]

عمل هذا الحمّام حتى سنة (1895م)، حيث أظهرت خارطة كوبر وجوده ضمن معالم المدينة القديمة، وأنه لم يُقفل إلا في فترة الاحتلال الإيطالي، أما الموقد فقد استُعمل مجزرة لذبح الإبل[7] ، وقد وَجَدْتُ أرقاماً أمام الغُرف الصغيرة (المقاصير) متسلسلة، وتبين أن كل غُرفة خُصصَتْ لحرفة معينة، أو جانب معين منها. [8]

التخطيط العام للحمّام

شكل(1) الموقع العام للحمّام الكبير، والمسقط أفقي له

(عن مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس)

تبلغ مساحته الإجمالية (210م2) والجزء المتبقي من مبنى الحمّام الأصلي حالياً عبارة عن كتلة بنائية مربعة الشكل تقريباً أبعادها (10 x 9.70 م) مثل الحُجرة الباردة (المشلح) منه، شكل (1)

تُطل واجهة الحمّام على شارع سوق الحرارة، ومدخله الخلفي يقع في زنقة الحمّام الكبير، وواجهة أخرى تُطل على زنقة الكاهن أو (الكالهان).(9)

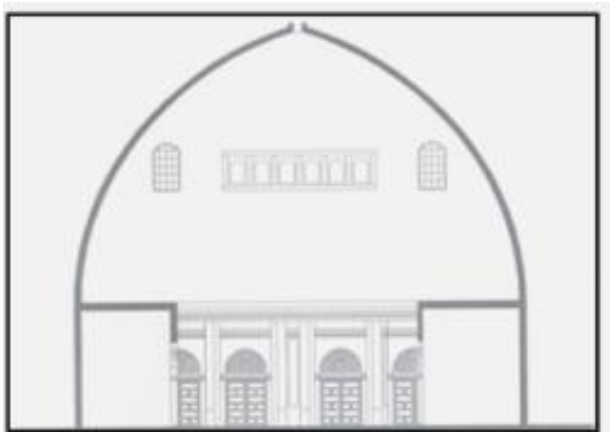

شكل(2) قطاع راسي للحمّام الكبير
(عن مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس)

1. المدخل:

يأتي المدخل بعقد نصف دائري، عرض فتحته (2.03 م) وبابه الخشبي يتكون من ضلفتين (مصراعين) عرض الواحد منها متراً، وارتفاعه متران، وجزؤه الأسفل بدون زخارف، والعلوي به مشغولات حديدية، ومدخله مُهيب إذ يبلغ ارتفاعه (3.85م)، وارتفاع فتحة القوس (85سم)، وعتبة الباب بين القوس العلوي ومصراعي الباب نحو (25 سم).

صورة (1) مدخل الحمام الكبير (1649 – 1672م)
(تصوير الباحثة)

ويؤدي المدخل إلى مجاز (سقيفة) مستطيلة الشكل أبعادها (3.50x 2.30 م) وأرضيتها مرتفعة عن أرضية المدخل بنحو (20سم)، وكان لهذا الاختلاف في الارتفاع دور في تخفيف شدة تيار الهواء الداخل،

خاصة وأن السقيفة صغيرة جداً، بخلاف الحمّامات الأخرى، ويأتي بالردهة مدخلان في كلا الجانبين بعقدين من نوع حذوة الفرس، ومن الواضح أنها مداخل غُرف صغيرة للمشلح (الحُجرة الباردة).

أما مدخله من الجهة اليسرى، فله مصراعان من الخشب، وهو مُغلق حالياً، ويبلغ ارتفاعه (2م)، وعرضه (95سم)، ويبدو أن هذه الغُرفة كانت خاصة بصاحب الحمّام سابقاً، كما يوجد مدخل آخر لهذه الغُرفة مطل على وسط الحُجرة الكبيرة الباردة، وقد سُد في فترة لاحقة، وطلي بالأصفر، وهو نفس طلاء الحُجرة، والذي نُفذ بطريقة عشوائية رديئة، والمدخل المُطل على الردهة مسدود بدوره، وبقى إطاره العام بارزاً تحدد معالمه وعقده المحمول على عمودين.(10) ، صورة (2) في حين سد المدخل المطل على الحُجرة الكبيرة، وبقت معالمه بارزة، صورة (3).(وجميع هذه المداخل حديثة)

صورة (3،2) الأبواب المطلة على السقيفة

(تصوير الباحثة)

ويشمل الحمّام سبع غُرف، وعشرة مداخل تتوزع في المساحة الممتدة بين ردهة المدخل إلى وسط المبنى، وهي من نفس تفاصيل المدخل السابق من حيث الشكل والأبعاد، وكذلك شكل عقد حذوة الفرس، قد شُغلت أربع من هذه العقود بمشغولات حديدية، أما العقود الأخرى فقد اندثرت لعدم الاهتمام بصيانة وتجديد أجزاء المبنى.(11)، أما كوشتي العقد لجميع هذه المداخل، فهي ذات ارتفاع واحد يبلغ (94 سم)، ويعلوها شريط من البلاطات الخزفية داخل إطار حجري بارز في مستوى أفقي واحد، حيث يبلغ عدد بلاطاتها ست بلاطات فوق كل عقد، وتحمل هذه البلاطات أشكالاً زخرفية بسيطة نوعاً ما، امتزجت ألوانها بين الأصفر، والبرتقالي، والأحمر، والرمادي، لتُكون في كل بلاطة شكلا منفرداً على أرضية بيضاء اللون(12). صورة(4).

صورة (4) عقود مداخل الغُرف والزخرفة التي تعلوها بالحُجرة الباردة في الحمّام الكبير
(تصوير الباحثة)

وتأتي هذه المداخل مخالفة لعدد الغُرف التي تشملها، فهي سبعة غُرف فقط؛ لأن بعضها له مدخلان منفصلان، وهي كالتالي:-

الغُرفة الأولى: توجد على يمين الداخل، ولها مدخلان منفصلان مُغلقان الآن أبعادها (3.25 x 1.80م).
الغُرفة الثانية: كانت في الأصل تحوي دورة مياه، وهي حديثة الإنشاء أبعادها (2.25 x1.30 م).
الغُرفة الثالثة: أبعادها (2.5 x 3 م) ولها مدخلان منفصلان.
الغُرفة الرابعة: توجد في ركن الحمّام ولها مدخل واحد أبعادها (3 x 2.90 م).
الغُرفة الخامسة: أبعادها (3.75 x 2.25 م) ولها مدخلان.
الغُرفة السادسة: توجد في نهاية الحمّام، وفي الركن الأيسر منه، وبها مدخلان، وعلى الأرجح أنها كانت في السابق حجرتين منفصلتين أبعادها (3 x 3 م)، وتم إزالة الفاصل بينهما.
الغُرفة السابعة: وهي حالياً مقفلة بالطوب الإسمنتي، وقد تم ضمها إلى الخارج مع الحجرة المقابلة للحجرة الأولى وأبعادها (2.10 x 2.65 م)، وقد استُغلت محلاً تجارياً.(13)
ومن التغييرات التي حدثت في الحمّام أنه كان لكل حُجرة مدخلان، وأسقفها كانت خشبية، فبلغ عرضها من الجدار الأساسي (3م)، إضافة إلى الإطار الحجري الذي يبرز فوق عقود الغُرف ويبلغ سمكه (15 سم)، ووجود السقف الخشبي يوضح أن هذه الحُجرة تمثل الحُجرة الباردة (المشلح) بالحمّام؛ لأن الخشب يُستخدم في الحمّامات عادة ضمن أثاث الحُجرة الباردة؛ لأنها أقل الحُجرات رطوبة وكثافة، وبغض النظر عن أن المقصورات هي أماكن خاصة لتغيير الملابس، فقد كان لها الدور الكبير هنا في حماية المستحم من تيار الهواء الداخل عبر المدخل الرئيس الكبير، وخاصة أن السقيفة صغيرة الحجم ولا توجد بها ممرات منكسرة

لتخفيف شدة التيار، ما دعا مدخل الحُجرة الدافئة في الزاوية الشمالية الشرقية، واستخدام الخشب في التسقيف من خصائص ومميزات العمائر في المدينة القديمة بطرابلس.(13)

وتستند القبة على الجدران مباشرة بخلاف قباب حمّام درغوت، وحمّام الحُلقة التي كانت فيها الحنايا الركنية هي مناطق الانتقال للقبة، فجاءت القبة هنا نصف دائرية يبلغ قطرها (10 م)، ولها شكل مُميز لتشمل السقف بالكامل، ويوجد في مركزها فتحة مربعة الشكل مسدودة حالياً بألواح خشبية كانت خاصة بتهوية الحُجرة.

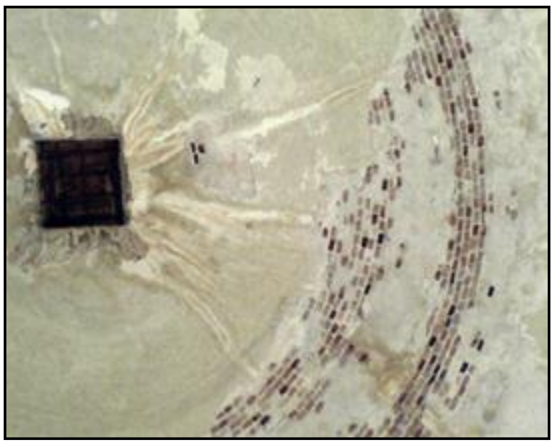

صورة (5) القبة وفتحات تهويتها بالحُجرة الباردة من الداخل والخارج
(تصوير الباحثة)

أما سقف الغُرف، فمعزول تماماً عن سقف الحُجرة، وأرى أن سبب ذلك هو جعل حيز الفراغ للغُرفة في مساحة صغيرة قدر الإمكان، وخاصة أنها كانت تُستخدم لتغيير الملابس داخلها والاستراحة فيها بعد الاستحمام، وقد اختص بها هذا الحمّام دون غيره من حمّامات المدينة؛ لأنه لم تتم له أعمال صيانة كاملة، وأن جزءاً كبيراً منه تعرض للانهيار، فبقي بهيئته القديمة، واستُخدم فيما بعد محالات للأشغال اليدوية، واستُغلت هذه الغُرف بشكل مُغاير لغرضها الأساسي.[14]

صورة(6) سقف غرف الحجرة الباردة بالحمام
(تصوير الباحثة)

وتحتوي القبة على أربع نوافذ بالاتجاهات الأربعة معقودة بعقد نصف دائري وكبيرة الحجم مقارنة بنوافذ حمّام درغوت والحُلقة، ولها تشبيكات حديدية عدا واحد منها، وهي محمية بكتل من البناء لأنها مفتوحة في جسم القبة، مما دعي لعدم وجود حنايا الركنية كمناطق انتقال بالقبة. صورة(7).

صورة(7) نوافذ الحجرة الباردة بالحمّام الكبير
(تصوير الباحثة)

وتظهر ظلة لهذه النوافذ في أعلاها من نفس مادة البناء عرضها نحو (30سم)، وبمحيط القبة شكل زخرفي يتمثل في بائكة (15) ، أو كوات (مصمطة)، وغائرة بعض الشيء في الجدار تفصل بين كل نافذة وأخرى في شكل شريط متسلسل، ولكل كوة إطار مستطيل الشكل، وقد احتوى الجدار الغربي للحُجرة على تسع من هذه الكوات، لملء الفراغ الموجود في الجدار، وتكملة لهذه الزخرفة التي تظهر حالياً في حالة جيدة بعض الشيء،(16)

صورة(8) الشكل الزخرفي بمحيط القبة بالحمام الكبير
(تصوير الباحثة)

مادة البناء

تظهر واضحة في القبة، فهي من الآجر الأحمر، حيث إن معظم الملاط في هذا الحمّام قد تعرض للتساقط، ولم يبق منه إلا أجزاء بسيطة، أما بقية البناء، فهو من الحجارة (حجارة رأس الكلب)، والأرضية سواء في وسط الحُجرة، أم في الغُرف فهي من البلاط الحديث الصنع.

وأرى أن هذه الحُجرة والحمّام عامةً كانا مبلطين بالرخام، فتخطيط هذه الحُجرة وتصميمها الفريد يدل على براعة المهندس القائم على بنائها، فلن يغيب عنه مثل هذا الجانب، وأهمية هذه المادة المتعارف عليها في أغلب أرضيات الحمّامات، ويؤكد ذلك حُجرات الحمّامين الآخرين بالمدينة، واللذين ما زال الرخام بلاطهما.[17]

وقد بقى من أحواض الحمّام حوض حجري صغير عليه نحت بزخارف بسيطة، ومستخدم كمحبس للنباتات من قِبل السكان الآن، صورة(9).

صورة (9) الحوض الحجري المتبقي بالحمام الكبير
(تصوير الباحثة)

وشملت الحُجرة أيضا شكلاً زخرفياً في الجدار المقابل للمدخل الرئيس، بين مداخل الغُرف في شكل طولي معقود من أعلى بعقد حذوة الفرس، وهو صغير الحجم مصمت، ويحمل ذات العقد من أسفل، وهو أخضر اللون.(18)، أمّا الحُجرتان الدافئة والساخنة، فلم يبق إلا ذكرهما، والبقية الباقية من حطامهما الظاهر خلف المبنى حالياً، صورة (10).

صورة(10) بقايا الجزء المنهار من الحمّام الكبير
(تصوير الباحثة)

ولم يبق من المبنى القديم إلا الميضأة العاملة، والتي أصبحت تابعة لجامع ابن الطبيب العزي،[19] المقابل للحمّام في ذات الزقاق، في حين أنها من ملحقاته، ومما يؤكد ذلك، وجودها بجانبه مباشرة من الجهة الغربية، بينما يقع الجامع في الجهة الجنوبية المقابلة له.

أ. الأماكن الخاصة للوضوء

ب . العقد الساند للحوائط في الميضأة

ج. سقف الميضأة من الداخل

د. السقف من الخارج (القبو البرميلي)

صورة (11) الميضأة الملحقة بالحمام

(تصوير الباحثة)

الحواشي

1. سورة المائدة، الآية: (6).
2. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، دار الجيل، بيروت، 2005م.
3. عثمان باشا الساقزلي: ولي وزيراً على طرابلس بعد انفصال مصطفى باشا عن الحكم في العشرين من صفر الخير سنة 1049هـ/ 1639م ...للمزيد انظر احمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني ، طرابلس، (ب– ت)، ص :363 .

– ويُذكر أنه تولى الحكم بعد محمد باشا الساقزلي وتوصل إلى هذه المرتبة بعد إغداقه على الناس بكثير من الأمور، منها: إلغائه الضرائب وإعطائه النقود للجنود وطلب منه السلطان محمد الرابع ولاية طرابلس، وكان له بعض الإصلاحات وتأسيس الأسطول البحري، وعُرف بظلمه وغدره، وكان من أكبر طغاة الترك، للمزيد انظر : ابن غلبون، محمد، التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان فيها من الأخيار، تحقيق :الطاهر أحمد الزاوي،(ب–ت)، ص 153/ الزاوي، الطاهر أحمد: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح، بيروت، 1970م، ص: 183.

4. أبو شويرب ، عبد الكريم:(الحمّامات الإسلامية)، مجلة آثار العرب ، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، العدد الخامس، 1992م، ص ص :81–91 .
5. روايات شفوية مرافقة لتقرير عن الحمّام الكبير بتاريخ 1998/11/23م، جهاز حماية المدن التاريخية بمدينة طرابلس، مجلد الحمّام الكبير ،وقد أغلق هذا الحمّام أكثر من مرة وأعيد فتحه.
6. أتوري روسي، الكتابات التاريخية والعربية بمتحف طرابلس، دار النشر والتوزيع، طرابلس، 1953م، ص:69
7. أبو شويرب، مرجع سابق، ص ص : 81–91 .

– وتذكر الروايات الشفوية أن أخر صيانة تمت للحمّام سنة (1925م) وبعده بفترة تم إغلاقه، وهو حاليا يُستخدم كمسكن لإقامة بعض المواطنين، وقد أُلحقت به العديد من التشوهات، حتى سنة (1997م)، حيث آلت ملكيته إلى مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة.

– ويذكر صاحب الحمّام عن سبب تغييره إلى سوق أن مصاريف الحمّام كثيرة، والإقبال عليه قليل، إضافة إلى أنه يحتاج إلى صيانة...روايات شفوية عن الحمّام مرفقة بالتقرير، بتاريخ 1998/11/25م، جهاز حماية المدن التاريخية بالمدينة القديمة طرابلس، مجلد الحمّام الكبير.

8 . زيارة ميدانية للحمّام بتاريخ 2007/7/11م.
9. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ 2007/7/11م.
10. زيارة ميدانية للحمّام بتاريخ: 2007/7/11م.
11. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ: 2007/7/11م.
12. زيارة ميدانية بنفس التاريخ.

– لقد استُخدم عقد حذوة الفرس بقلة في مباني المدينة القديمة طرابلس، ففي عقود الأبواب والنوافذ كان العقد النصف دائري هو السائد، وأن وجد مثل هذا العقد في بعض عقود محاريب بعض المساجد بالمدينة مثل عقد

محراب جامع بن مقيل، ومحراب جامع أحمد باشا، ومنها ما هو منفوخ كما في جامع مراد باشا والمستدير كما في محراب شايب العين ومحراب جامع محمود خازندار، والمدبب كما في جامع الناقة وجامع خليل وجميعها تعود للعهد العثماني الأول.

- وقد أكد صاحب الرواية الشفهية "الحاج محمد فرنكة" مواليد (1925م) عند سؤاله على شكل الحمّام عندما كان يرتاد عليه حيت ذكر هذه الغُرف، إضافة إلى وجود دكة رخامية وسطه (رخامة البطن) وذكر أن أحد هذه الغُرف منخفضة قليلا عن مثيلاتها وتُعرف بـ(الغطوس) وهي خاصة لمعالجة المصابين بالأم البرد والروماتيزم ... للمزيد أنظر تقرير فني عن الحمّام الكبير بتاريخ 1998/11/23م، مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس، مجلد الحمّام الكبير .

- وحسب ما ذُكر في الرواية الشفوية عن الدكة وعن الحُجرة التي تُعرف بالغطوس (الحُجرة الساخنة)، أرى أنها وجدت في الجانب الساخن من هذا الحمّام وليس ما نحن بصدد الحديث عنه حالياً، وهذا يُوضح أن الحمّام كان يحتوي على جزأين مهمين (الدافئ والساخن).

13. زيارة ميدانية للحمّام بتاريخ 2007/7/11م.

- وبغض النظر على أن الغرف هي أماكن خاصة لتغيير الملابس فقد كان لها الدور الكبير هنا في حماية المستحم من تيار الهواء الداخل عبر المدخل الرئيس الكبير وخاصة أن السقيفة صغيرة الحجم ولم توجد ممرات منكسرة لتخفيف شدة التيار، وذلك ما دعا إلى جعل مدخل الحُجرة الدافئة في الزاوية الشمالية الشرقية.

14. بعد الانتهاء من بناء الحوائط الحاملة للمبنى يُشرع في عملية بناء الأسقف الخشبية ويكون بداية بوضع المونة الجيرية على الوجه العلوي للحائط الحامل، ثم تُوضع أغصان الخشب السميكة ذات القطر (10–15 سم) تقريباً، على مسافات متقاربة فيما بينها في الاتجاه القصير للغُرفة، بعدها تُوضع أغصان وأوراق الأشجار مباشرة فوق الأغصان الغليظة بشكل معاكس لها، وقد يتم وضع رقائق خشبية بدلاً من الأغصان، ثم تُوضع طبقة رقيقة بسمك (5سم)، من المونة الجيرية لملء الفراغات، وقد يكون الخشب المُستخدم من أغصان الزيتون أو جذوع النخيل أو غيرها، وقد تُستخدم العوارض الخشبية المُصنفرة في بناء هذه الأسقف إضافة إلى الكمرات الحديدية، وكذلك الأقواس الحاملة لها دور في الاستعاضة بها عن العوارض الخشبية المُصنفرة ... للمزيد أنظر دراسة للوضع الإنشائي للمدينة القديمة طرابلس، مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة طرابلس، ص ص: 40– 76.

15. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ 2007/7/11م.

16. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ 2007/7/11م.

17. بوائك: سلسلة من العقود.

18. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ 2007/7/11م.

19. زيارة ميدانية للحمام بتاريخ 2007/7/11م

20. جامع بن الطبيب العزي: يقع بشارع سوق الحرارة (زنقة الحمّام الكبير)، ويُقال أن باني المسجد أسمه بن طبيب وهو من أصل تركي، ويُلحق بهذا المسجد ضريح أحد العلماء المشهورين وهو الشيخ مصطفى محمد الماعزي ... للمزيد أنظر الزاوي، مصدر سابق، ص:87.

من مدن جبل نفوسة ... مدينة إتلثيين

سعيد علي حامد

المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية

Email- saidbenhamed@Hotmail.com

الملخص

حظيت المدن الأثرية والتاريخية في عديد من دول العالم بالاهتمام منذ القرن السابع عشر للميلاد ، ولقيت مزيداً من العناية بعد بداية الحفائر والتنقيبات الأثرية المنظمة في القرن التاسع عشر للميلاد التي قام بها العديد من الأثريين والباحثين . من المعلوم أن المعالم الأثرية أو التاريخية تتضرر نتيجة الحروب وهذا النوع نجد لها وثائق وصور ورسومات أو تصور لها في ذاكرة من عاصروها ، وهناك معالم وقرى تختفي وتنهار بفعل هجرة أهلها وعدم الاهتمام بها ومع مرور الزمن تمحى معالمها وملامحها الأصلية وتصبح أطلالا وأكواما من الحجارة .

وفي ليبيا هناك المئات من مدن ما قبل الصحراء شيدت على المرتفعات والهضاب في جبل نفوسة والجبل الأخضر أغلبها أصبح مدنا أثرية لا حياة فيها ، رغم أن العديد منها كان لها دور في الحياة العلمية والاقتصادية في العصر الوسيط، ولا شك أن مثل هذه المدن الأثرية تضم تراثا معمارياً وتوضح التراكم المعماري والخبرة في تطور فن المعمار المحلي ، وهي مادة علمية للباحثين والدارسين في مجال العمارة والفنون.

مقدمة

وجبل نفوسة عبارة عن سلسلة جبلية تمتد من مدينة الخمس شرق طرابلس بنحو 120 كيلو متر ويتخذ شكلا يشبه الهلال حتى يصل إلى مدينة وازن عند الحدود الليبية التونسية لمسافة تمتد لنحو 500 كيلو متر وتعرف بجبال طرابلس1 ،وهي تحصر منطقة سهلية بينها وبين البحر المتوسط تعرف بسهل الجفارة ، وقد عرف الجبل في العهد العثماني بالجبل الغربي تميزاً له عن الجبل الأخضر الذي يقع في شمال شرق ليبيا . وقد تباينت آراء الجغرافيين والمؤرخين القدامى في تحديد طوله . وسأشير إلى بعض تلك الآراء فيما بعد .

ضم جبل نفوسة كثيراً من المواقع الإسلامية الأثرية ، التي يعود تاريخها إلى قرون مبكرة من التاريخ الإسلامي ، ورغم بقاءها في زاوية النسيان والإهمال لفترة طويلة ، احتفظت لنا بمادة شيقة في فضاءات العمارة والزخرفة والكتابة الأثرية ، وكانت هذه دلالات كافية لتسلط بعض الضوء على ما لهذه المنطقة من ماض متفاعل مع حركة التاريخ والعقيدة والحضارة[2]،(الصورتان 1 ، 2).

خارطة توضح امتداد جبل نفوسة (الصورة رقم 1)
عن (خريطة ليبيا الجيولوجية، إعداد مركز البحوث الصناعية، ليبيا)

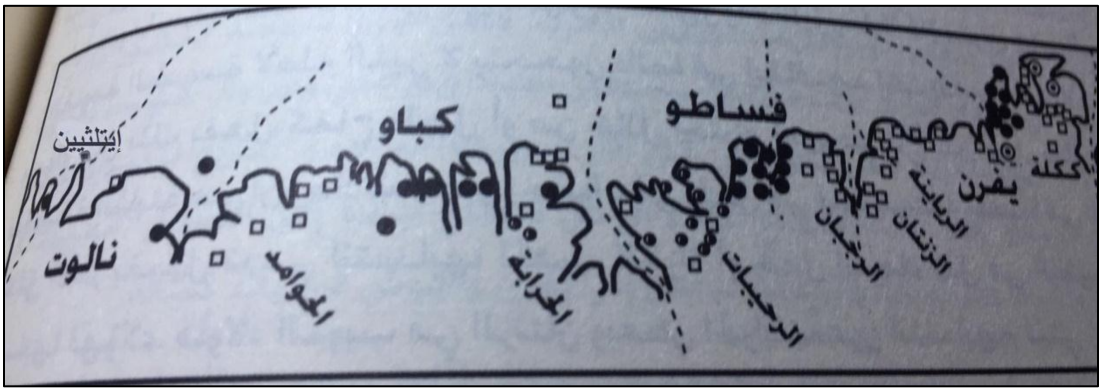

خارطة توضح موقع إتلثيين (الصورة رقم 2)

عن (جون ديبوا ، جغرافيا جبل نفوسة)

لم تحظ مدن وقرى جبل نفوسة بعناية كبيرة من المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى، ونصوصهم المتعلقة بجبل نفوسة لا تتعدى ذكر موقعه وأطوله وأهم المدن فيه ومنها مدينتي شروس وجادو ، وما أورده أولئك المؤرخون والجغرافيون العرب الأوائل " عن التطور المعماري في ليبيا لا تعيننا في الحقيقة كثيراً على تكوين فكرة واضحة عن الأساليب الإنشائية للمعمار الديني بصفة عامة ، ومعمار المسجد بصفة خاصة ، وكذلك عن تفاصيل ما تحويه المواقع الإسلامية المبكرة التي يذكرونها في نصوصهم " [3].

ويمكن القول إن هناك ظروفا وعوامل تضافرت معاً ساهمت في عدم ذكر الكثير من المدن والقرى في جبل نفوسة في كتب المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى مثل ابن حوقل في كتابة صورة الأرض في القرن الرابع الهجري / العاشر للميلاد الذي أشار أن جبل نفوسة جبل عال منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل من ذلك وذكر مدينتي شروس وجادو[4]، والبكري صاحب كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب في أواخر القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد والذي اكتفى بقوله " وأم قرى جبل نفوسة هي مدينة شروس وهي كبيرة آهلة جليلة ... وهي أزيد من ثلاثمائة قرية آهلة ... وبين مدينة طرابلس ومدينة شروس خمسة أيام " ويشير أن المسافة من طرابلس إلى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة أيام وهو على ستة أيام من القيروان وأن طوله من الشرق إلى الغرب ستة أيام ويذكر بأن وسط الجبل النخيل والزيتون والفواكه الكثيرة[5] .

إن المصادر التاريخية التي أشارت إلى منطقة جبل نفوسة عامة " قد غاب عن سردها ما كان لهذه المنطقة من تاريخ وأحداث ، وهذه إشكالية تتعلق بكتابة التاريخ أكثر منها بمنطقة الجبل وغياب ذكرها في المصادر التاريخية وتبقى حقيقة عزلة الجبل مظهراً تاريخيا لا جدال فيه ، وذلك عائد إلى العوامل السياسية التي أصبح التمذهب الديني جزئية من توجهاتها وأهدافها ، وأصبح هذا الأمر من خلال العهود المتعاقبة التي اتسمت بحكم الأمويين والعباسيين والأغالبة والفاطميين ويبدو ... أن هذه العزلة كانت محصورة بشكل كبير في الحراك السياسي ، أما

ظاهرة الانفتاح في المجالين الثقافي والفني بين جبل نفوسة وما يحيط به من مناطق القارة الأفريقية وكانت مساهمة تجار القوافل والدعوة إلى اعتناق المذهب الأباضي الأثر الفعال المهم [6]

لقد ساهمت التضاريس الجغرافية ووعورة المسالك به إلى عزلة الكثير من مدن و قرى جبل نفوسة فلم تطأها أقدام الرحالة فهي لا تقع في طريق الحج أو القوافل فالكثير منها تربض على سفوح الجبل أو في قيعان الأودية ، وبحكم موقعها في المنطقة المتاخمة للصحراء " على أن العائق الرئيسي للتحرك في مناطقه لا علاقة له بالتضاريس ولكن توفر المياه هو الذي يحدد الاستيطان واستغلال الأرض [7] " فالمستقرون به يعتمدون في حياتهم على ما تجود به السماء من أمطار ومعدلاتها متذبذبة من منطقة إلى أخرى ، وما يحويه من مصادر مياه والمتمثلة في العيون الطبيعية المنتشرة به.

مدينة إتلثيين :

حدد ابن خلدون في كتابه العبر الشروط الواجب توفرها في المدينة فقال : " المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتؤثر الدعة والسكون ، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى ، وجب أن يراعى فيها دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق " بإحاطتها بالأسوار أو تكون حصينة أما على هضبة متوعرة من الجبل ، وإما باستدارة بحر أو نهربها إضافة إلى طيب الهواء والسلامة من الأمراض ، ويقصد بجلب المنافع وفرة الماء ، وطيب المرعى ووفرة الشجر للحطب والبناء ... " [8] .

ومدينة إتلثيين تنطبق عليها هذه الشروط التي حددها ابن خلدون ، فأهلها أثروا الاستقرار فيها نظراً لموقعها الذي يوفر لهم الحماية فهي على لسان جبل ، حصينة مع طيب الهواء ووفرة الماء والحطب من الوادي الذي يحمل اسمها والذي تشرف عليه .

ومدينة إتلثيين لم تحظ باهتمام من المؤرخين وكتاب السير لمنطقة جبل نفوسة أمثال الشماخي (ت . 928 هـ/ 1522م) في كتابه السير ولا عند محمد بن مقرين البغطوري (ت . بعد 599 هـ) في كتابه سير مشائخ جبل نفوسة ، أو الوسياني (القرن 6 هـ / 12 م) في سيره وغيرهم إذ اهتم هؤلاء المؤرخون بالجانب السياسي والديني لجبل نفوسة إلا أن العمارة والفنون لم تحظ بالاهتمام من قبلهم وإن وردت إشارات إلى المدن فهي مقتضبة لا تعيننا في معرفة معمارها وفنونها ورغم احتواءه على " عشرات من المدن والقرى العامرة ، والمزارع الكبيرة ، وغابات الزيتون وأشجار التين والفواكه الأخرى ، وترى القرى والمدن منتشرة في أخراج الزيتون والنخل التي تكتنفها من أطرافها ، وترى الجبل لخصبة وكثرة أشجاره ، ومدنه العامرة ، وجد أهله في التجارة ، وكثرة نشاطهم محل الغنى في طرابلس الجميلة ، ومعدن الثروة في المغرب الأدنى .

ومع غناهم في المال كثرة الصلاح فيهم ، وشيوع الورع والتقوى في طبقاتهم ، وشجاعتهم البالغة ، ونبوغهم في العلم وكثرة العلماء عندهم [9] .الذين حازوا نصيبا من الدراسة والبحث في كتب السير التي تتعلق بجبل نفوسة .

ومدينة إتلثيين مدينة في ثوب قرية يوحى موقعها العام أن الهاجس الأمني كان مسيطراً على مؤسسيها إذ بنيت على حافة جبل وهو عبارة عن لسان صخري يشرف على أودية عميقة من ثلاث جهات ولا يمكن الوصول إليها إلا من ظاهر الجبل ومن الجهة الشرقية فقط وإحكاما في الحماية فقد سدت هذه الجهة بجدار ظهر القصر الذي يبلغ ارتفاعه نحو 5 أمتار ليؤدي وظيفة السور للحماية (الصورة رقم 3) .

المنظر العام للمدينة (الصورة رقم 3)

(تصوير الباحث)

وقد بني بحجارة متوسطة الحجم مهذبة إلا أن عوامل الزمن أدت إلى انهيار إحدى حجرات القصر الأرضية المستندة إلى سور القصر الخارجي في وقت ما مما يسمح للزائر حديثا من الولوج عبرها إلى داخل المدينة . وكان الأهالي في السابق قد نحتوا في الجبل في الناحية الغربية من الجبل مسلكا هذبوه ينحدر من المدينة إلى الوادي وهو الذي كانوا يستعملونه للصعود إلى المدينة أو النزول منها إلى بطن الوادي حيث عيون المياه ومزارعهم ومراعيهم . (الصورة رقم 4)

جزء من المسلك الذي يربط المدينة بالوادي(الصورة رقم 4) (تصوير الباحث)

ويشير جون ديبوا في كتابه جغرافيا جبل نفوسة أن المسجد والقصر المتجاوران في العادة يشيران إلى قلب القرية ومآثرهما هي وحدها التي تهم الجماعة من بين الأطلال المتراكمة ، وقد يضاف إليهما أحيانا برج دفاعي منتصب إما فوق القصر أو وسط البلدة "[10]، إلا أن هذه المعطيات لا تنطبق على مدينة إتلثيين فقصرها وجامعها غير متجاورين مما يعطي فريضة أن الجامع بني في فترة متأخرة عن القصر .

يستوقف الزائر إلى إتلثيين ذلك البناء الكبير العتيق، إنه قصرها الذي التصقت به مبانيها طلبا للحماية والأمن ، وهو قد اكتسب شكلا شبه دائري أجبرت الطبوغرافيا المعماريين والبنائيين ليأخذ ذلك الشكل وأعطت لهم الفرصة لإظهار مهارتهم وخبراتهم التي اكتسبوها في البناء ، وتحفه من الجهتين اليميني واليسرى هوة عميقة .(الصورتان 5 ، 6).

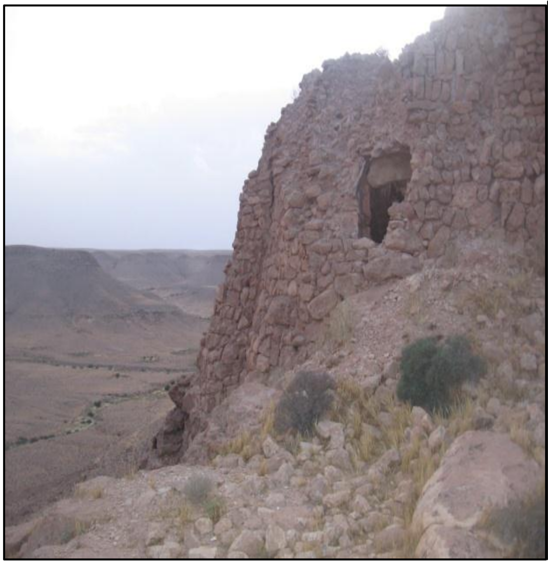

قصر إتلثيين من الجهة اليمنى (الصورة رقم 5)   قصر إتلثيين من الجهة اليسرى (الصورة رقم 6)

(تصوير الباحث)

وسد ظهر القصر اللسان الصخري الذي يؤدي إلى المدينة ليؤدي وظيفتين : الأولى حمايتها من أي طارق من نقطتها الضعيفة ، والثانية أنه قصرها الحصين الذي أعد لتخزين القمح والشعير والتين الجاف وزيت الزيتون وغيرها ، وهو بذلك محورها الاقتصادي فهو المصرف الغذائي لأهلها تحفظ فيه أقواتهم ، وهو سوقهم الذي يتعاملون فيه بالمقايضة فيما بينهم، وهو مكان وجود بعض حرفيهم وملتقى رجالهم ومنتداهم .

وتظهر أطلال القصر الذي يبدو مدخله واضحا مجموعة من الغرف المنهارة التي استغلت لحفظ المواد الغذائية المختلفة ، ولا يمكننا تحديد عدد حجراته التي سقفت على شكل قبوي واستعملت في بناء المواد المتوفرة محليا من حجارة صغيرة وجبس ، وتتوسطه ساحة استغلت لأداء أغراض مختلفة ، وتظهر من خلال الأجزاء المنهارة زخارف هندسية عبارة عن معينات ومثلثات وكف الإنسان ونجوم خماسية وسداسية وهي الزخارف التي انتشرت في المباني في جبل نفوسة في ليبيا وكذلك في جبل دمر بتونس لتشابه فن العمارة والزخرفة ومواد البناء في البلدين (الصورتان 7 ، 8).

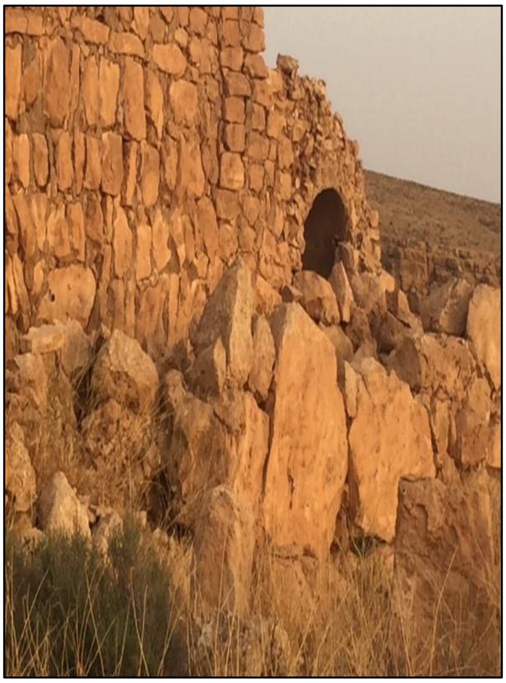

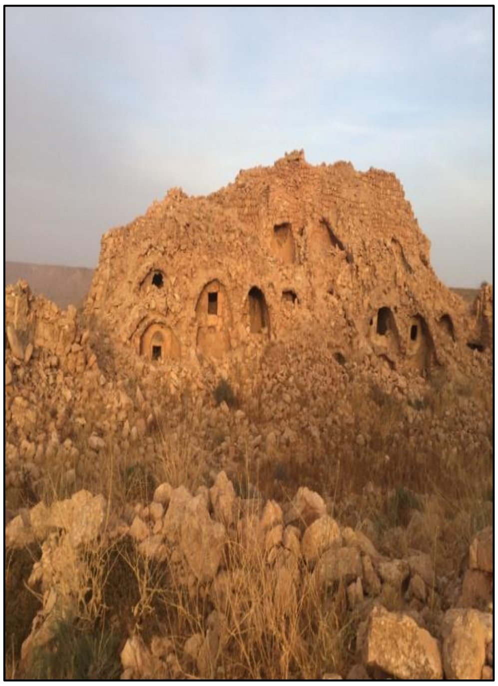

مدخل قصر إتلثيين(الصورة رقم 7) **بقايا من القصر(الصورة رقم 8) (تصوير الباحث)**

من الملاحظ أن الطبوغرافيا كما أشرنا سابقاً أنها تحكمت في بناء القصر وكذلك المدينة التي امتدت إلى الغرب من القصر وحصرت بين ثلاث هوات عميقة تشرف على الأودية المحيطة بها مما أدت إلى وجود مسارب على يمين وشمال المدينة مغلقة في حين كان الطريق الرئيسي يربط ما بين القصر والمدخل الرئيسي للمدينة والذي هو عبارة عن مسلك صخري وعر هذب على حافة الجبل يمكن منه الوصول إلى المدينة من الوادي التي يحتوي على مزارع

الأهالي ومراعيهم والعيون التي يجلبون منها الماء لشربهم وسقى حيواناتهم وساهمت في تغذية بطون الوادي بالماء فاستغلوها للزراعة ويحتمل أن تكون هناك مواجن نحتت في الصخر لحفظ مياه الأمطار في المدينة ونظراً للانهيارات الكبيرة في المدينة فلم نستطع أن تتبين أي منها .

على مسافة من القصر وعلى يمينه يوجد جامع المدينة وهو متوسط الحجم وقد انهارت جدرانه وعقوده ولم يبق منها إلا أطلال . ويبدو أنه سقف على شكل قبوي ولا تزال معالم المحراب واضحة . .(الصورتان 9 ، 10)

مدخل الجامع (الصورة رقم 9) **جامع إتلثيين(الصورة رقم 10) (تصوير الباحث)**

في الجهة المقابلة للجامع يوجد بناء يدل مظهره أنه سقف بقبة ولعله أحد أضرحة الأولياء بها وقد انهارت القبة وبقى محيط الضريح واضح المعالم . (الصورة رقم 11)

آثار قبة بالمدينة(الصورة رقم 11) (تصوير الباحث)

وتنتشر أطلال البيوت أمام القصر ولا نستطيع تحديد ملامحها العامة ، ومن المحتمل أنها شبيهة ببيوت المدن والقرى المنتشرة في جبل نفوسة ومباني المدينة وقصرها من الطراز المحلي والذي يمكن أن نطلق عليه العمارةالتلقائية التي ساهم المعماريون المحليون فيها بتراكم الخبرة ،والاستفادة من المواد المحلية المتوفرة في المنطقة كالحجارة الصغيرة والجبس وجذوع الأشجار والنخيل فساعدتهم في إيجاد عمارة محلية على أن مدينة إتلثيين استعملت في بناءها الحجارة الكبيرة خاصة في أسوار المدينة وبناء قصرها بحجارة مهذبة .(الصورة رقم 12)

جدار القصر إتلثيين الغربي(الصورة رقم 12)
(تصوير الباحث)

ومن الناحية الثقافية لم تشر المصادر إلى علماء ينتمون إلى هذه المدينة ، وإن وجدوا فيها فلعلهم نسبوا إلى المدينة الكبيرة نالوت لاعتبارها من ملحقاتها .

لم تمكننا المصادر والمراجع التاريخية بأية معلومات عن مدينة إتلثيين لتحديد تاريخها والروايات الشفوية المتداولة بين بعض أهالي نالوت أنها هجرت منذ نحو 400 سنة ولكن لا يوجد دليل يؤيد ذلك ، ويشير ديبوا أن الغالبية من النفوسيين لجأت إلى تونس ومن الصعب اليوم العثور على آثار دالة على ذلك سيما وأن الهجرة الطواعية أو الاضطرارية لم تتوقف أبداً فمنذ القرن السادس عشر شد النفوسيون الرحال إلى تونس وبالضبط إلى العاصمة بحثا عن فرص العيش التي لا يوفرها لهم جبلهم ... والثابت أن النفوسيين أمدوا منذ زمن بعيد جارتهم تونس بأعداد متفاوتة من المهاجرين كأنها لم تنضب يوما ما[11] وقد انصهر الكثير من الوافدين في المجتمع التونسي .

وحسب ما أورده المؤرخون فإن هناك تدهوراً في الأوضاع الاقتصادية لجبل نفوسة ولكن " لا نعرف متى بدأ تدهور الأوضاع في الجبل . ففي القرن الخامس عشر نقل الحميري عن الإدريسي بشكل أساسي ، ولم يصف لنا ليون الأفريقي إلا نهاية عملية التدهور والانحدار، فالشعير القليل الذي ينتجه الجبل لا يكفى نصف سكانه ... لقد كان هناك نزوح كبير لقبائل نفوسة نحو تونس"[12] ويحتمل أن الظروف الاقتصادية الصعبة أجبرت أهل مدينة إتلثيين على النزوح إلى تونس فهم أقرب إليها من غيرهم من سكان الجبل وأصبحت المدينة خاوية على عروشها مع مرور الزمن. وقد دبت الحياة في وادي الثلث في العقود الأخيرة وقام الأهالي بزراعته بأشجار الزيتون والتين واستغلاله لزراعة الحبوب.(الصورتان 13 ، 14)

وادي الثلث (الصورة رقم 13)

مزرعة حديثة بوادي الثلث (الصورة رقم 14)

(تصوير الباحث)

لعل الحفريات الأثرية واللقيات التي سيعثر عليها – أن قامت حفريات علمية بها– ستعطينا بعض الأدلة والمعلومات عن تاريخ هذه المدينة وأهالها في الفترات التاريخية المختلفة .

الحواشي:

1 . لمزيد من المعلومات ينظر : عبد العزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1962م ، ص . 107

2 . محمد سالم الورفلي ، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة ، منشورات مصلحة الآثار الليبية ، 2007 ، ص 135 .

3 . علي مسعود البلوشي ، نظرة عامة على العمارة الدينية وتطورها في ليبيا ، ضمن كتاب معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ، منشورات اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم ، 2007 ، ص . 237

4 . ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، بيروت : دار مكتبة الحياة . ص 92

5 . ينظر : البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، بغداد : مكتبة المثني ، ص 9

6. محمد سالم الورفلي ، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة ، ص 137

7 . د . ج ما تينغلي ، منطقة طرابلس في العهد الروماني ، ترجمة ومراجعة محمد الجراري ، محمد عبد الهادي حيدر ، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، ليبيا ، 2009م ، ص . 49

8.لمزيد من التفاصيل ينظر : : ابن خلدون ، العبر ، ج 2 ، بيروت 1983م ، ص . ص . 617 . 621 .

9 . محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ، الجزائر : عالم المعرفة 2013م ، ص 502 .

10. جون ديبوا ، جغرافيا جبل نفوسة ، ترجمة عبد الله زارو ، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية ، سلسلة الأبحاث الجغرافية (1) ، 2014م ، ص . 219

11 . ديبوا ، جغرافيا جبل نفوسة . ص 289

12 . جاك تيري ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، ليبيا ، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة ، الطبعة الثانية ، 2008م ، ص . 412

دراسة مقارنة بين مدينة غات الليبية وبعض مدن واحات مصر الغربية خلال العصر الإسلامي

إبراهيم سالم انويجي
جامعة المرقب – ليبيا
Ibrahimenwije1964@gmail.com

الملخص

تعد هذه الدراسة مهمة للوقوف على مدى الارتباط والتوافق والتطابق في التصميم والتخطيط العمراني لنماذج من العمارة التقليدية الموجودة في مصر مع مدينة (غات) بليبيا، ولقد وقع الاختيار على بعض المدن الصحراوية في (الواحة الداخلة) في صحراء مصر الغربية والممثلة في بلدتي (القصر) و (بلاط) كأحد أنماط العمارة التقليدية في واحات صحراء مصر الغربية، باعتبار أنهم يشتركون جميعاً في العديد من الظروف المناخية والجغرافية، ومعاصرة لمدينة (غات) من الناحية التاريخية.

الواحات المصرية قديمة ، وقد ذكرها ابن حوقل المتوقي في أواسط القرن الرابع الهجري حوالي سنة 960 م، حيث يقول: " وأما بلاد واحات فإنها كانت بلاد معمورة بالمياه والأشجار والقرى والناس فلم يبق بها ديار ولا مخبر وكان من ظهرها إلى بلاد السودان بالمغرب على الطريق التي كانت من مصر إلى غانة، وانقطعت وكان لا يخلو من جزائر النخل وآثار الناس بها إلى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم وجمال قد توحشت فهى تتوارى وللواحات غير طريق إلى المغرب فمنها الطريق الآخذ إلى فزان في ضياع من صعيد مصر في حد النوبة نحو ثلاثة أيام في مفازة ولم يزل السفر عليها إلى دولة أحمد بن طولون المتوفى سنة 370 هـ 884م"[(1)].

مقدمة

إن بداية العصور الإسلامية بالواحات كانت فترة إهمال ونسيان من حكام وولاة مصر ولكن السكان وحركة الهجرة سواء من الواحات أو إليها كانت قائمة ، ويشهد على هذه الهجرة أن هناك آثاراً إسلامية بقرية (القصر) بالداخلة تعود إلى عام 50 هجرية لتؤكد أن قبائل الجزيرة العربية هاجروا إلى الواحات منذ ذلك العهد وأن الكثير من أحفادهم مازالوا يعيشون حتى الآن بالواحات ويحتفظون بالكثير من المخطوطات التاريخية النادرة التي تحتاج إلى توثيق ورعاية للحفاظ عليها.

وتقع الداخلة إلى الغرب من النيل بنحو 300 كم ، ويمتاز منخفض الداخلة بأنه مفتوح من الشرق والجنوب، ويصعب تبين الحافة الغربية لامتداد الرمال، أما الحافة التي تحده من الشمال والشمال الشرقى فتبدو على هيئة جرف هائل شديد الانحدار، وتتجه عموما من الشرق إلى الغرب في انتظام، وتقع الداخلة ضمن الإقليم الصحراوى الذى يتميز بالارتفاع الكبير في معدل درجة الحرارة فيتراوح بين 30 5، 37 5، ودرجة الحرارة في الصيف تصل فلا الارتفاع إلى حوالى 44 5 مئوية، والتى تقع في نطاقها مدينتى القصر وبلاط محل الدراسة المقارنة.

ونجد في المدن الصحراوية التأثير المباشر والفعال للمناخ، كما كان له الأثر في تخطيط الشوارع، وتحديد اتجاهاتها، وتشابهت هذه التأثيرات مع معظم المدن الإسلامية، والتى تقع في نفس الظروف المناخية الحارة فتلاصقت المبانى، وتدرجت الشوارع، وأصبح الفناء عنصراً رئيسياً في تخطيط التكوينات المعمارية، وأخذت الواجهات والمظلات وعناصر التهوية الأخرى أنماط متشابهة، فتكررت أمثلتها في المدينة الإسلامية [2].

يستدل من المصادر التاريخية، أن الواحات الداخلة كانت أكثر واحات مصر الغربية ثراءً وعمرانا بل وأكثرها سكاناً، وتميزت معظم قراها بإقامتها على أعلى هضبة مرتفعة لتحصينها وزيادة مناعتها، وتميزت بإحاطتها بما يشبه السور تفتح به عدة بوابات عامة من الجانب الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي، بحيث تربطها بكل ما يحيط بها من بلدان مجاورة أو دروب وطرق، والى جانب هذا نجد أثر العوامل البيئية التي كان لها دورها في اتخاذ الهضاب لإقامة هذه البلدان، والتى من بينها البعد عن فوران المياه الجوفية، وحماية المنشآت وشبكة الطرق من زحف الرمال، والتى تؤدى في كثير من الأحيان إلى طمر المزروعات وقنوات المياه وإخفاء معالم الطرق، إلى جانب أن المرتفعات تتميز باعتدال مناخها ، وكل هذا كان الهدف منه التغلب على المشكلات المناخية القاسية في المناطق الصحراوية[3].

تعتبر الواحات الداخلة أكثر الواحات المصرية جذبًا للسياح. وتحتوي هذه الواحة على أكثر من 500 ينبوع ساخن مثل بئر طرفاوي وبئر الجبل إلى جانب المساكن المبنية من الطوب وبقايا من مدن يعود تاريخها إلى القرون الوسطى مثل قريتي القصر وبلاط[4].

1- مدينة بلاط الإسلامية:

تقع مدينة بلاط ما بين قرية تنيدة وهي أول قرى الداخلة وقرية عزبة الشيخ مفتاح، وتمتاز قرية بلاط بالجو الصحراوي الهادئ والطبيعة الخلابة والخضرة الرائعة ومساكنها القديمة والحديثة، وبلدة بلاط بها أكثر من عزبة (قرية صغيرة تابعة لها) منها " عزبة البشندي " وتقوم الزراعة فيها على الآبار الفرعونية والرومانية ، حيث تمتلك تقريبا كل أسرة عين للمياه والزراعة، تقوم عليها بزراعة الأرز والقمح والشعير والذرة والخضروات بالإضافة إلى بساتين الفاكهة ونخيل التمر.

وبلدة بلاط بها أكثر الآثار الفرعونية بمدينة الداخلة ، ففيها صور ورسومات الإنسان بعد أن عرف الزراعة وأستأنس الحيوان حيث تصور النخلة وحيوانات الركوب.

وتقع هذه المدينة الإسلامية القديمة على بعد 35 كيلو متر إلى الشرق من مدينة موط مركز الداخلة، يتوسط مدينة بلاط الحالية مدينة بلاط الإسلامية، وتعد من أهم المدن الإسلامية الباقية بالواحة الداخلة، وهي عبارة عن قرية تقع فوق رابية مرتفعة ومبنية من الطوب اللبن، عبارة عن شارع مستدير رئيسى ، شارع داير البلد، يتفرع منه حارات ودروب وأزقة ، شوارعها ضيقة ومسقوفة من خشب الدوم والنخيل ومقسمة إلى شوارع للعائلات تحمل علي بواباتها نقوش علي الخشب تحدد اسم العائلة وتاريخ البناء وآيات من القران الكريم، وتضم هذه القرية الإسلامية القديمة مجموعة من الأعتاب الخشبية التي تعلو واجهات المنازل محفورة بالحفر البارز، وأقدم تاريخ مدون عليها1163هـ وأحدث تاريخ 1253هـ.

ويميز هذه البلدة طراز معماري خاص بنيت على شكل حارات كل حارة تخص عائلة وتغلق بباب كبير ويوجد بها ملاقف هواء بالطرقات، وشوارع هذه القرية مسقوفة ومغطاة تماماً حيث يتم السير في شارع ذو سقف من البيوت ذات الدورين والثلاثة المصنوعة من الطوب اللبن، والشوارع المسقوفة أسفل تلك المنازل بالخشب والطوب اللبن، لوقاية المارة من حرارة الصيف الحارقة وتنخفض درجة الحرارة في هذه الشوارع المسقوفة إلى أكثر من عشرين درجة مئوية عن الشوارع الغير مسقوفة، والصور أرقام (156 : 175) تبين بعض الأجزاء من المدينة.

2- مدينة القصر الإسلامية :

تقع بلدة القصر على بعد 22 كم شمال مدينة موط وهى أول الأماكن التي استقبلت القبائل

الإسلامية عند وصولها الواحات سنة 50 هجرية، وبها بقايا مسجد من القرن الأول الهجري وازدهرت في العصر الأيوبي، وكانت عاصمة الواحات، وبها قصر الحاكم، ويعود إليه أصل التسمية لهذه البلدة، وأحدي مداخل القصر الإسلامية القديمة المسماة (بالحصن) ، ومأذنه لبقايا مسجد وهى مكونة من ثلاث طوابق بارتفاع 21 متراً كما يوجد بها عدة مساجد من العصر التركى والمملوكى وهناك بوابة على شكل معبد للإله تحوت مستخدمة مدخل لأحد المنازل .وهناك اعتقاد بأن القرية (مدينة القصر) ترجع إلى العصر الايوبي، ولكن الحقيقة أن الأعتاب التي تعلو واجهات المنازل بالمدينة تحمل في طياتها تاريخ إنشاء أو تجديد المبنى، وكان أقدم عتب يرجع إلى سنة 624 هـ، وهذا التاريخ يرجع إلى بداية العصر العثماني ونهاية العصر المملوكي"[5].

وتقع مدينة القصر على مسافة 35 كيلو مترا من مدينة الداخلة، وأطلق عليها أهلها اسم «القصر» لكونها مشيدة على مبنى كالقصر يرجع تاريخه إلى العصر الروماني، وهي تعتبر من أقدم المدن الإسلامية بالوادي الجديد، وتتكون المدينة الأثرية من منازل ومساجد وحارات، تهدم بعضها، إلا أن عدداً لا بأس به من مبانيها ما زال قائما يواجه تحديات الزمن.

قد شهدت مدينة القصر القديمة خلال السنوات الأخيرة ترميمات معمارية استهدفت الحفاظ على الكثير من مبانيها، وأبرزها مبنى المحكمة ومئذنة الشيخ نصر الدين وطاحونة علي مهدي المبنية من الطوب اللبن ويعلوها سقف من عروق النخيل، وأشجار السنط مغطاة بجريد النخيل يليها طبقة من الطين.

من أهم التخطيطات المعمارية التي تتميز بها المدينة حارة الحبانية وتتميز بعدة منازل، وبوابتها مصنوعة من خشب السنط المقوى، بطول وعرض 235×172 سم. وبالرغم من عمر المدينة الطويل، فهي ما زالت تحتفظ بمبانيها من الطوب اللبن.

وبلدة القصر هي الرابعة عشر من قرى طريق الداخلة، وهي تقع ما بين قرية بيدخلو وقرية عزب القصر، وقرية غرب الموهوب، تمتاز بجوها الصحراوي الحار نهارا والمعتدل ليلا، تعتمد على الزراعة مثل زراعة الأرز والقمح والخضروات والبقول والفواكه مثل البلح، وتقوم بتربية المواشي مثل الأبقار والماعز والخراف والدواجن، والحمير، والحصان وتتوفر لها الحشائش عن طريق الزراعة، مثل زراعة البرسيم والبرسيم الحجازي والذرة العويجة والشعير وتجفيف الأعلاف مثل مخلفات التمور والأرز والبرسيم الحجازي كعلف للمواشي، وتعتمد في الزراعة على الآبار والعيون الرومانية والفرعونية والآبار الحديثة، وكانت معروفة كذلك منذ العصر الفرعوني، وهي قرية مسورة أي بها سور فرعوني وبها أكثر الآثار الفرعونية والرومانية وإسلامية بمدينة الداخلة، حيث يوجد بها (قرية المزوقة) وبيوت فرعونية وبقايا قباب ومساجد ومحاكم إسلامية[6].

وتخطيط المباني في القصر الإسلامية من حيث التنظيم في البناء يرجع إلى ما هو سائد ومتبع في تخطيط المدن الإسلامية في ذلك الحين ومن أكثر الأشياء التى يتعجب منها الزائر وهى أن درجة الحرارة تكون في القصر القديمة اقل بحوالى 13 5 مئوية عن خارج القصر القديمة وهذا الشيء إن دل فإنما يدل على مدى قدرة سكان هذه القرية الذين تمكنوا من تسخير الطبيعة لصالحهم رغم قلة الإمكانيات، والصور أرقام (1 : 21) تبين بعض الأجزاء من المدينة.

العوامل المناخية المؤثرة في بلدتي بلاط والقصر:

أثّر المناخ تأثيرا مباشراً وفعالاً في تخطيط التكوينات المعمارية، كما كان له الأثر في تخطيط الشوارع، وتحديد اتجاهاتها، وتشابهت هذه التأثيرات في معظم بلدات الواحات المصرية. والواحات يغلب على طبيعتها الكثبان الرملية ، والهضاب الصخرية تتخلل بعضها ، وأيضا بها المناطق ذات الطبيعة الرسوبية ذات التربة الخصبة، إلى جانب التلال الرسوبية من الطمى والتى تم استخدامها منذ آلاف السنين في إقامة المنشآت في هذه الواحات ، حيث استخدم سكانها هذه الرواسب الطينية في صناعة قوالب الطوب المستخدم كمادة بناء أساسية لديهم في تشييد عمائرهم ، وأيضا كمادة رابطة لهذه القوالب الطينية

أ. **درجة الحرارة:**

من أهم ما يميز النطاق الصحراوى في مصر هو ارتفاع درجة حرارته على مدار العام، وكان على السكان ضرورة التكيف والتأقلم معه، ولقد انعكس ذلك على اختيارهم واستخدامهم لمواد البناء المتوفرة في البيئة المحيطة.

ولقد استخدم الطوب اللبن في البناء مما له تأثير في تخفيف درجة الحرارة ويلطفها لأنه يمتص درجة الحرارة ببطئ شديد، ويساعد في تحقيق ذلك زيادة سمك الجدران بالأبنية، وهكذا استعمل سكان الواحات الطوب اللبن كملطف حرارى للتخفيف من شدة حرارة الشمس(7).

واستخدام سكان الواحات للطوب اللبن كملطف حرارى تخفيفا من شدة الحرارة التي تتميز منطقة الواحات من شدة الإشعاع وصفاء السماء وندرة الغيوم، وذلك نتيجة طبيعية ، حيث ان درجة البخر بالواحات قليلة جدا نظرا لانعدام المسطحات المائية، وقلة الزراعات واتساع المسطحات الرملية المحيطة بالواحات، والتى تمتص الحرارة الساقطة عليها، وبالتالى اختزانها، وتصاعد الإشعاع الحرارى منها، وخلال فصل الصيف تصل درجة الحرارة في الغالب ما بين 40 5 – 45 5 م في الظل، وانخفاضها ليلا.

ولعل استخدام السكان نظام النسيج العمراني المتضام كأحد الحلول للتغلب على درجة الحرارة ، وذلك بتجميع مبانى المدينة ، مما ينتج عنه تقليل تعرض الأسطح الخارجية لهذه

المبانى لأشعة الشمس المحرقة، وتظليل المبانى لما جاورها من مبان أخرى، ومن ثم أصبحت الطاقة الحرارية النافذة إلى داخل المبنى محدودة [8]

ب. الرياح:

تعد الرياح أحد عناصر المناخ الهامة والمؤثرة بشكل كبير على التشكيل المعمارى في المدن الصحراوية بشكل عام ويتعاظم أثرها في الصحراء المصرية خاصة وأن الرمال تشغل حوالى 36 % ، وتعد الغرود الرملية بها أخطر الأشكال الرملية التي تهدد العمران[9].

ويذكر سعد عبد الكريم [10]، أنه تفادياً لمشكلة زحف الرمال التي يحركها الرياح على سكان الواحات، وقع اختيارهم على المناطق المرتفع قليلاً كالهضاب يشيدون بها مراكزهم الاستيطانية لتفادى زحف الرمال التي تؤدى مع مرور الوقت إلى ردم وتدمير الطرق، ولقد لجأ السكان كذلك إلى جعل النوافذ قليلة وذات أحجام صغيرة، ويغلب عليها بصفة عامة أن تفتح على الداخل، ومطلة على الأفنية الداخلية في حالة وجودها، وذلك للمساهمة في الحد من خطورة الرياح، وكذلك حل مشكلة التسرب الحرارى، ومما لا شك فيه أن الرياح واتجاهاتها وسرعتها كان لها دور في توجيه شبكة الطرق وتعرجها، وما يغلق عليها من بوابات في بداياتها، وذلك لمنع زحف الرمال على الطرق الداخلية والمساكن التي على جانبيها.

ج . الرطوبة والأمطار:

لعل طبيعة المنطقة الصحراوية التي تتواجد بها واحات مصر الغربية (بلدتى القصر وبلاط) والارتفاع العظيم في درجة الحرارة، ووجود معدل تبخر يفوق بشكل كبير معدلات سقوط الأمطار" مما نتج عنه التدنى الفائق في نسبة الرطوبة ، وباتت لا تتعدى (4%) في كثير من الأجزاء"[11].

وبالنسبة للأمطار نجد أن طبيعة الإقليم الصحراوي يتميز عادة بالجفاف، وأن معدل السقوط السنوي للأمطار بمنطقة الواحات منخفض جداً، وقد لا يتجاوز (1سم 3) في كثير من المناطق، وقد لا يسقط نهائياً في بعض المناطق الأخرى، وعلى الرغم من تدنى معدل سقوط الأمطار على الواحات، فإن أمطاره لا تخضع لنظام محدد، فنجدها تنهمر بشدة وبطريقة فجائية، ولفترات قصيرة في بعض المناطق المحددة، وتتحول إلى سيول انقلابية عنيفة، علاوة على ذلك نجد أن الغطاء النباتي في الصحراء يعد خفيفاً مما يزيد من نسبة تسرب المياه إلى باطن الأرض[12]. وقد اتخذ سكان واحة الداخلة بعض الحلول المعمارية للتغلب على التأثيرات المناخية ببلدتى بلاطا ولقصر، منها:

1- لياسة (بياض) الأسطح الخارجية للمبانى:

يتكون البياض الخارجى للمبانى المعرضة لأشعة الشمس والمطر عادة من الطين المخلوط بالتبن والماء، ويتم تخميره لعدة أشهر مع الحفاظ على رطوبة الخليط بزيادة الماء باستمرار،

وذلك حتى يتحلل التبن ويسود لون الخليط ويصبح شبيهاً بلون القار، وكذلك يخرج منه رائحة عفونة المادة العضوية الموجودة في الخليط وهى التبن، وهنا يصبح قوام الطين المخمر ناعم كالزبد، وتكون مقاومته للماء أشد ، وعزله للحرارة أكبر.

2- لياسة الأسطح العلوية:

تستخدم اللياسة العلوية على أسطح البيوت لعدة أهداف منها العزل الحرارى، وكذلك لتهذيب السطح العلوى للمنزل ليكون صالحاً لاستخدامه في الحركة والجلوس، وكذلك ليكون السطح الخارجة غير مسامى ويتسرب منه المياه.

3- التسقيف:

وعادة يتم تسقيف الأسطح العلوية من المبانى من خشب الزيتون، أو أنصاف جذوع النخيل ، حيث ترص أفقياً بين الجدارين الحاملين، وفي اتجاه البحر الصغير، وبينهما مسافات متفاوتة من (20-25 سم)، ثم يوضع فوقها مباشرة فرش من الخوص غير المضفور، الذى يجرد عادة من الجريد، ومن ثم يوضع الطين فوقها ، ويدك بالأقدام، ويترك حتى يجف، وبعد ذلك توضع طبقة من الطين المخمر بالتبن، ويسوى على شكل طبقة صلبة تمنع نفاذ الماء[13]، نتيجة الصفات التي اكتسبها الطين المخمر لعدة أشهر.

ولقد شاع استخدام خشب النخيل في تسقيف المبانى والمنشآت في واحات مصر ، نظراً لكثرته ووفرته بها، فقد استحسن سكان الواحة أخشاب النخيل في أعمال البناء والتشييد وفي صناعة بعض قطع الأثاث، وقد ساعدت طبيعة هذا الخشب الرخوة على سهولة قطعه وشقه إلى نصفين، واستخدامه في عمل الأسقف، وقطعه على هيئة ألواح لصنع مصاريع الأبواب وما يلزم حركة العمران[14].

المقارنة بين عمارة (غات) بليبيا وعمارة واحات صحراء مصر الغربية (بلاط والقصر)(15)

وجه المقارنة	عمارة الصحراء الليبية (مدينة غات)	عمارة واحات مصر الغربية – واحة الداخلة (بلاط والقصر)
الموقع	تقع غات في اقصى الجنوب الغربى من ليبا على حدود الجزائر، تبعد عن العاصمة طرابلس بمسافة 1360 كم. تقع على خطى 10 5 شرقاً، 25 5 عرضاً شمالاً	تقع واحة الداخلة في صحراء مصر الغربية على حوالى 700 كم الى الجنوب الغربى من العاصمة القاهرة . تقع الداخلة على خط طول 29 5 شرقا، وخط عرض (29-25 5) شمالاً
التضاريس	نشأت المدينة على السفح الجنوبي لجبل كوكمن، وترتفع المدينة عن ما يجاورها بحوالي 30 مترً.	• منخفض يحيط به الهضاب (1.) 240) متر تحت مستوى سطح البحر.
المناخ	• تقع في الإقليم الصحراوي الحار الجاف. • تصل درجة الحرارة صيفاً إلى 39,9 5م، حتى شهر أغسطس، ثم تنخفض تدريجياً خلال فصل الخريف	• شديد الجفاف طول السنة، حار جاف صيفاً، شديد البرودة شتاء، قارى صحراوى، يتميز بقلة الأمطار وندرتها على مدار العام.

	فتصل إلى 37,6 5م في سبتمبر وأكتوبر، وفي الشتاء لا تقل عن22.9 5م خلال شهر فبراير.	• درجة الحرارة تصل 45 5 مئوية صيفاً، والصغرى صفر، والرياح محملة بالرمال.
المياه	• عيون وأبار، ويندر سقوط الأمطار	• عيون وأبار، ويندر سقوط الأمطار
اللغة	• اللغة العربية ، بالإضافة إلى اللهجة المحلية الغاتية – الطارقية	• العربية في جميع واحات مصر الغربية
الدين	• مسلمون سنة على المذهب المالكى	• مسلمون سنة على المذهب المالكى والشافعى
العادات والتقاليد	• عادات وتقاليد عربية متوارثة، ومن منطلق الدين الاسلامى، ولعل أهمها تجاور الأهل والأقارب، والكرم، وحسن الجوار، والخصوصية المتمثلة الحفاظ على ستر النساء.	• عادات وتقاليد عربية متوارثة، ومن منطلق الدين الإسلامي، ولعل أهمها تجاور الأهل والأقارب، والكرم، وحسن الجوار، والخصوصية المتمثلة الحفاظ على ستر النساء.
العمارة	• تتمثل في العديد من المنشآت مثل المسجد الجامع والزوايا المرتبطة بالطرق الصوفية، والمحضرة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الدين ، وكذلك المنشآت الاجتماعية ، وتقع المقابر على مجاورة لسور المدينة.	• تتمثل في العديد من المنشآت مثل المساجد الجامعة، الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الدين ، والطواحين، وعصارات الزيوت، والحوانيت، والمقاعد كأحد المنشآت الاجتماعية وخاصة في عمارة القصر، وإلى حد ما في عمارة بلاط، وتقع الجبانة على مقربة من بلدان الواحات.
مواد البناء	• الطوب اللبن، الطين، الحجر الجيرى، الرمل والجبس، جزوع أشجار الأثل والبرنبخ. • استخدام الطلاء بالجبس والجير.	• استخدم في واحة الداخلة الطوب (اللبن) والأحجار في حالة بعض الأساسات وبعض خزانات الفضلات والمراحيض، وفي نسبة قليلة استخدم في الواجهات ببلدة القصر. • كان الطين يستخدم كمادة لحام لربط المداميك والطوب ببعضه، وكان يستخدم أيضاً كملاط لتكسية الجدران سواء من الداخل أو الخارج. • في فترة متأخرة استخدم الطلاء بالجير باللون الأبيض والأزرق، وخشب النخيل وجريده، وخشب السنط أو خشب الزيتون.
الأساسات	• تستخدم الحجارة ، ومادة الربط بمونة الطين والرمل ، والوصول إلى الأساس حتى منسوب يعلو سطح الأرض بقليل.	• بالقصر كانت الأساسات غير عميقة، وكانت من الأحجار أو الطوب اللبن. • في بلاط تكاد تكون الأساسات منعدمة.

تابع: المقارنة بين عمارة (غات) بليبيا وعمارة واحات صحراء مصر الغربية (بلاط والقصر)

وجه المقارنة	عمارة الصحراء الليبية (مدينة غات)	عمارة واحات مصر الغربية – واحة الداخلة (بلاط والقصر)
الحوائط	• تبنى الحوائط في الغالب من الطوب اللبن من خلال خليط من الرمل والطين الذى يأتى معظمه من التربة السبخة المجاورة لمدينة غات، وتبلغ أبعاد الطوب 30×20×12 سم.	• جدران حاملة وفواصل (قواطيع) بين الوحدات بسمك ما بين 40:70 سم ، ويقل سمكها كلما ارتفعت الى أعلى، حيث يصل في داير السطح الى حوالى 15 سم ، ويبنى بطريقة الطوف، ويتم لحام الطوب ببعضه بالطين.
أساليب البناء للجدران	• يعجن الطين بالماء ويخلط معه قش أو أعشاب محلية، وينقع في الماء ويظل رطباً لمدة تتجاوز الأشهر ويصنع من هذا الخليط الطوب اللبن. • أساسات الجدران من قطع من الحجارة. • سمك الجدار يعتمد على أبعاد قوالب الطوب اللبن على هيئة مداميك متكررة. • الأسوار سمكها أقل من الجدران ويبنى على شكل سيف. • مونة اللحام من الطين والرمل والجبس سريع الشك.	• يتم رص قوالب الطوب اللبن متجاورة بسمك ثلاثة الى اربعة قوالب للجدار، حيث يتم بناؤها مداميك باسم (أدى وشنادى) وذلك عن طريق وضع القالب بطوله في مدماك ثم يعلوه مدماك يوضع فيه القالب بعمق الجدار، ويكون بنظام مدماكين بطول القالب يعلوها مدماك عكسي، وهكذا. • ويتم لحام القوالب ببعضها بواسطة لحام من مونة الطين المخلوط بالقش والتبن لزيادة تماسكه.
التمليط والتكسية	• يتم تمليط الجدران من الداخل والخارج بالطين الأملس الناعم والذى يتم تخميره في عدة أيام وقد تصل إلى شهر أو أكثر. • المنشآت الدينية تملط بطبقة من الجبس من الداخل.	• يتم ملاط الجدران الداخلية بطبقة من الطين الأملس الناعم المخلوط بنسبة من القش والرمل، والذى يخمر في عدة أيام حتى يتعفن ويصير أملس، وعند جفافه يكون مقاوما للتآكل وعدم اكتساب الحرارة بسهولة.
المداخل	• غالباً تكون المداخل صغيرة ولا يصل ارتفاعها إلى ارتفاع قامة الإنسان ، فيما عدا نسبة قليلة. • مداخل المنازل لا تكون أمام بعضها ولكن تختلف اتجاهات فتحات	• صغيرة غالبا ولا يصل ارتفاعها إلى ارتفاع قامة الإنسان ، فيما عدا نسبة قليلة من مداخل القصر. • المداخل في بلاط صغيرة منخفضة وتتميز بانها منكبة مع مداخل المنازل التي تقابلها.

	المداخل حفاظاً على الخصوصية وستر النساء.	• منازل القصر لها مدخلان ، ومدخل واحد في غالبية منازل بلاط.
الأبواب	• مصنوعة من أخشاب صناديق الشاى القديمة، وكذلك من جزوع أشجار الأثل والبرنبخ، في ألواح مشقوقة بطريقة بدائية. ولها مصراع واحد وارتفاعه يتناسب مع ارتفاع قامة الانسان.	• خشبية بسيطة من خشب السنط والنخيل ، وجود مصراع واحد. • ارتفاع الباب في الغالب يتناسب مع ارتفاع قامة الإنسان، ونسبة منها لابد من الانحناء عند الدخول من خلالها.
النوافذ	• تتميز بقلة أعدادها ، وصغر مساحتها بالنسبة للجدران، ومرتفعة فوق رؤس المارة في الشوارع والأزقة، وقريبة من السقف. • منكبة مع نوافذ المنازل المقابلة لها حفاظاً على الخصوصية. • وجود طاقة أو فتحة سماوية في غرفة المعيشة تفتح نهاراً وتغلق عند سقوط الأمطار أو هبوب العواصف الرملية، وتعمل على الإضاءة والتهوية.	• تتميز عادة بصغر مساحتها، وقلة أعدادها في الجدران الخارجية، وغالبا ما تفتح تحت السقف مباشرة في المستوى الارضى، وتتميز بانها اكبر حجما في الطوابق العليا. • تم تغشيتها تغشية خشبية او بنائية، وقد يمد بداخلها قواطع خشبية أفقية وراسية، وقد يتم سدها بالبناء او القماش في فصل الشتاء، وتترك مفتوحة صيفاً. • النوافذ تكون منكبة مع نوافذ المنازل المواجهة لها كانعكاس دينى وحفاظا على الخصوصية.

تابع: المقارنة بين عمارة (غات) بليبيا و عمارة واحات صحراء مصر الغربية (بلاط والقصر)

وجه المقارنة	عمارة الصحراء الليبية (مدينة غات)	عمارة واحات مصر الغربية – واحة الداخلة (بلاط والقصر)
وحدات المنزل مكوناته	• وحدة الاستقبال (المربوعة). • الفناء المكشوف– حجرات معيشة مطبخ –مرحاض– سطح علوى – الحظيرة في بعض المنازل، السلم .	• وحدة الاستقبال (المضيفة – المربوعة). • الحواصل (مخزن). • الفناء المكشوف(بالقصر) والعلوى ببلاط. • حجرات معيشة-مطبخ - مرحاض- سطح علوى – الحظيرة .
وحدات المستوى الأرضى	• الاستقبال ، المرحاض، المخزن، السلم.	• وحدة الاستقبال (المضيفة – المربوعة). • الحواصل (مخزن). • الفناء المكشوف (بالقصر) والعلوى ببلاط. • حجرات معيشة صيفية نهاراً، وشتوية ليلاً.
وحدات الطابق الأول	• حجرات المعيشة، ، أحياناً حجرة لتخزين الغلال.	• حجرات معيشة (مضيفة) في القصر وبلاط – مطبخ ويكون غالبا مكشوف– المرحاض ويقع بين

		المستوى الأرضي و الأول –فناء علوى في بلاط.
وحدات الطابق الثانى	• في حالة وجودة فإن مكوناته لا تختلف عن الطابق الأول،	• في حالة وجوده فان مكوناته لا تختلف عن الطابق الأول، وغالباً ما يوجد هذا المستوى في منازل القصر، أما بلاط غالبا ما يمثل هذا المستوى السطح، وغالباً ما يحاط بداير قد يصل ارتفاع طابق كامل وخاصة بالقصر، بينما في بلاد فيحاط السطح بداير بارتفاعات متباينة ما بين ارتفاع طابق وارتفاع ما بين 80:160 سم.
السطح	• ويحاط بسياج أو سور ارتفاعه فوق متوسط قامة الإنسان، وكذلك يوجد به الكمار، ومكان مخصص لرحى الحبوب.	• يمثله ما يعلو الطابق الثانى، وقد يكون مقسماً إلى عدة أقسام تفصل بينها حوائط، حيث يحتوى على عدة حجرات، ويكون ارتفاع الداير بما لا يزيد عن 160 سم وخاصة في القصر، بينما في بلاط فيصل ارتفاعه إلى 80 سم، وفي بعض المنازل يستخدم السطح للأغراض المنزلية والنوم صيفاً.
دورة المياه (المرحاض)	• يقع بين الدور الأرضى والدور الأول، عبارة عن مرحاض بسيط، حيث يستعمل الارتفاع أسفله لعمل خزان للفضلات ، يغلق عليه باب يفتح عندما يراد التخلص من تلك الفضلات.	• عبارة عن مرحاض بسيط، حيث يستعمل الارتفاع أسفله لعمل خزان للفضلات التى يتم التخلص منها عن طريق فتحة في الجدار المطل على الشارع. • قد يبنى هذا الخزان بالحجر، ويلاحظ عدم وجوده في نسبة من منازل القصر، بينما لا يخلو منزل في بلاط منه تقريباً، والبعض يحتوى على مرحاضين.
العقود	• انتشرت العقد النصف دائري المبنى من الطوب اللبن والطين أو الحجارة في البائكات التي تحمل الأسقف في الجوامع والزوايا .	• انتشرت بصفة رئيسية في هذه العمارة العقد المستقيم، والذى لم يكن سوى لوح من خشب النخيل أو السنط يوضع أعلى فتحة الأبواب أو النوافذ . • كذلك عرف العقد نصف الدائري في بعض المداخل الرئيسية للمنازل في بلدتى القصر وبلاط. • عرف العقد المزدوج في عمارة القصر.

تابع: المقارنة بين عمارة (غات) بليبيا و عمارة واحات صحراء مصر الغربية

(بلاط والقصر)

وجه المقارنة	عمارة الصحراء الليبية (مدينة غات)	عمارة واحات مصر الغربية – واحة الداخلة (القصر – بلاط)
القباب	• لم تعرق القباب في العمائر الدينية أو المدنية.	• عرفت القباب في عمارة الواحات الداخلة بالقصر وبلاط، وانتشرت بصفة خاصة فيما يعلو الأضرحة.
السقوف	• يغلب عليها البساطة، وتكون مسطحة ومسقوفي في غالبها بفروع من أشجار الأثل واللبرنيخ، وغالبا لا يملط السقف من أسفل ولكن يملط من أعلى سطحه بمونة من الطين والرمل والجبس لزيادة تماسكها.	• بسيطة مسطحة يغلب عليها انها من خشب النخيل وجريده في مبانى القصر، ومن خشب النخيل وجريده أو ربما نبات الغاب في بلاط، ويتم تمليطه في نسبة كبيرة من مباني بلاط والقصر.
أسلوب التحصين (أسوار وبوابات)	• للمدينة سور يحيط بها من جميع الجهات، وبوابات متعددة للدخول والخروج من منها وفق الجهات الأصلية الأربعة، والسور ارتفاعه بارتفاع المساكن المجاورة له والتى تكون جزء منه في بعض الأحيان. • أبواب المدينة تقفل مع أخر ضوء نهاراً، ولا تفتح إلا في الصباح، ويوجد أسفل المداخل مصاطب طينية لجلوس حراس البوابات.	• كانت البلدان تشيد على الهضاب المرتفعة، وكان التحصين يتم بواسطة تلاحم ظهور المنازل التي على أطراف الهضبة، بحيث تتلاحم مكونة ما يشبه السور الذى يلتف حول البلدة. • يتم فتح عدة بوابات على الجهات المختلفة للخروج والدخول منها. • كانت المداخل تغلق ليلا لتأمين المستوطنين وعدم دخول الغرباء. • انتشار الدروب الداخلية (البوابات الفاصلة) والتى كانت تغلق ليلا أيضا. • كان للساباطات التي تعلو الطرق الداخلية دورها المهم في الدفاع في حالة وقوع هجوم خارجى.
شبكة الطرق	• تتميز بالتوائها وضيقها في الأزقة، وعدم تناسبها على ما يطل عليها من مبان. • الطرق الرئيسية أوسع من الحوارى والأزقة وتتناسب مع حركة المارة. • تميزت بتسقيف نسبة منها كمعالجة مناخية، ولزيادة مساحة المنازل، وللتظليل للمارة من أشعة الشمس.	• تتميز بالتوائها وضيقها، وعدم تناسبها على ما يطل عليها من مبان. • تميزت بتسقيف نسبة منها بالساباطات كمعالجة مناخية، ولزيادة مساحة المنازل، وقد كانت الساباطات ذات نسبة كبيرة في شمال بلدة بلاط.

الخاتمة:

من خلال الدراسة المقارنة بين بعض المدن الصحراوية المصرية ومدينة غات الليبية يتضح لنا أن للعوامل المناخية تأثيرات مباشرة ، ولها دور فاعل في تخطيط تلك المدن، وكذلك في ظهور أسلوب التخطيط المتضام للتكوينات المعمارية، إلى جانب تخطيط الشوارع وتحديد اتجاهاتها وفقاً لاتجاهات الأصلية واتجاه الرياح في مدينة غات بليبيا ومدينتى القصر وبلاط بمصر، ونجد أن:

1. هناك تشابه في المناخ الصحراوى الذى يجمع بين مدن الدراسة المقارنة سواء المصرية او الليبية.
2. درجات الحرارة بينهما متشابهة وتتراوح بين 45: 46 [5] .
3. تهب على مدينة غات الرياح القبلية الحارة الجافة التي تهب من ناحية الجنوب خلال فصل الربيع وبداية فصل الصيف، بينما تهب الرياح الشمالية في الشتاء، بينما نجد الرياح التي تهب على مدينتى القصر وبلاط تكون محملة بالرمال.
4. تعتمد مدينة غات وبلدتى القصر وبلاط على المياه الجوفية المتمثلة في العيون والآبار كمصدر رئيسي لعمليات الزراعة ومياه الشرب.
5. مواد البناء المتاحة بمدينة غات تمثلت في الحجر الجيرى الصلب والطوب اللبن والجبس والطين والرمل والتسقيف بفروع أشجار الأثل، أما في مدينتى القصر وبلاط استخدمت التربة الطينية الرملية والطوب اللبن، واستخدام جذوع وسعف النخيل في التسقيف.
6. اعتمدت عملية البناء في مدن الدراسة المقارنة على الخبرات المحلية لأهل البلدة.
7. تأثر أسلوب البناء في مدن الدراسة بالمؤثرات الدينية الإسلامية، والعادات والتقاليد العربية المتوارثة، وما يحثنا عليه الدين الحنيف من مراعاة حقوق الجار ، والخصوصية والحفاظ على ستر النساء.
8. استخدام عنصر المدخل المنكسر في المنازل في مدينة غات وكذلك مدينتي القصر وبلاط، بحث يكون ساتراً لمن داخل المنزل عن عيون المارة في الشارع.
9. نظام فتحات النوافذ في مدن الدراسة عالية عن عيون المارة وأعلى من متوسط ارتفاع قامة جسم الإنسان، وكذلك الأبواب للمنازل لا تكون مواجهة لبعضها البعض لتحقق الخصوصية لكل منزل وحجب أهل المنزل عن عيون جيرانهم.

ملحق الصور

صورة رقم (1)

مدينة القصر الأثرية من الخارج ويظهر بها أجزاء من السور الذى يحيط بالمدينة

(تصوير الباحث)

صورة رقم (2)

جامع الشيخ نصر الدين ويظهر فيه المئذنة وقبة المسجد (مدينة القصر)

وبعض الدرج الذى يرتقى إلى المدخل الرئيسى للمسجد

(تصوير الباحث)

صورة رقم (3)
مدخل المدرسة الأميرى وعليها لوح خشبى محفور
يوضح من قام بتجديد هذه المدرسة وتاريخها (مدينة القصر)
(تصوير الباحث)

صورة رقم (4)
جامع الشيخ نصر الدين من الداخل
ويظهر فيه المحراب والمنبر المبنى من الطوب والطين(مدينة القصر)
(تصوير الباحث)

صورة رقم (5)

أحد الأعمدة الحاملة للسقف في جامع الشيخ نصر الدين من الداخل (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (6)

جامع الشيخ نصر الدين بمدينة القصر ويظهر فيه المحراب

والسقف المسقوف بخشب النخيل وجريده (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (8) مئذنـة جامع الشيخ نصر الدين بمدينـة القصر، والمبنية بالطوب اللبن (مدينـة القصر) (تصوير الباحث)

صورة رقم (9) المدخل الرئيسى لمدينـة القصر (تصوير الباحث)

صورة رقم (11)

أحد الشوارع في مدينـة القصر وجدران البيوت يظهر فيها طريقة البنـاء ورص الطوب اللبن (تصوير الباحث)

صورة رقم (12)

مدينة بلاط ويظهر بها الأسوار أو الدروات على أسطح المنازل،

وأيضا بعض البيوت يوجد بعض الحجرات على أسطحها (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (13)

مئذنة الشيخ نصر الدين وهى تتبع نمط مآذن العصر الأيوبى ولكنها ترجع للعصر العثمانى. (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (14)

أحد المداخل ويظهر بها اللوح الخشبي الذى يؤرخ لتاريخ بناء المبنى وصاحبه ومن بناه، ويظهر كذلك مدى براعة البنائين وكيفية الاستفادة من إمكانيات البناء بالطوب بشكل زخرفي متميز (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (15)

منظر يوضح التعدد في بناء الطوابق بالمدينة والتى قد تصل إلى أكثر من ثلاث والجزء الأوسط من الصورة يظهر البناء أعلى الجزء المسقوف في أحد الشوارع الرئيسية (مدينة القصر) (تصوير الباحث)

صورة رقم (16)

طاحونة غلال قديمة ويظهر بها الأجزاء الرئيسة ومكان وضع الغلال وكذلك ذراع الدفع أو الإدارة والذى يدفع بواسطة الدواب أو الماشية (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (17)

أحد الشوارع الرئيسة الواسعة بالمدينة (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (18)

مجلس يظهر فيه مصاطب مبنية بالطوب اللبن يتجمع فيها بعض أهالى البلدة (مدينة القصر)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (19)

مدينة بلاط الإسلامية والتي يظهر فيها طريقة بناء المساكن المتضام

(تصوير الباحث)

صورة رقم (20)

بعض الأجزاء المتهدمة من المدينة ويظهر فيها تعدد الطوابق وبعض الحجرات المتهدمة (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (21)

سطح أحد المنازل ببلاط ويظهر فيها أماكن تخزين الغلال والدروة الخارجية للسطح (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (22)

الشارع المطل عليه مسجد عين علم ، ويظهر في الأعلى القبة البسيطة من أعلى المسجد (مدينة بلاط) (تصوير الباحث)

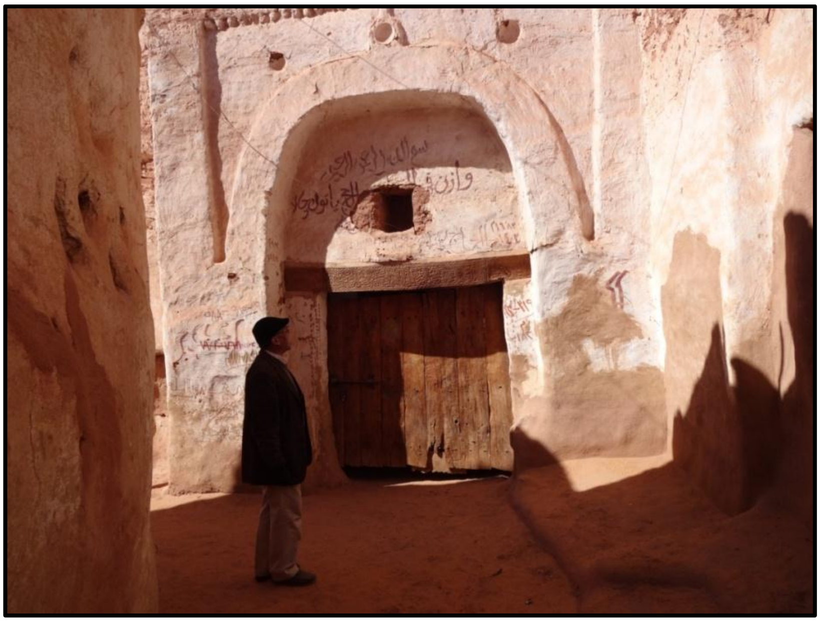

صورة رقم (23)

مسجد ببلاط، ويظهر هنا الباب الرئيسى لمسجد عين علم وهو كبير نسبياً،

وأعلى الباب لوح خشبيى محفور مسجل عليه تاريخ بناء المسجد. (مدينة بلاط) (تصوير الباحث)

صورة رقم (24)

المسجد من الخارج ويظهر عليه الشرفات المسننة في أعلى سطح المسجد وبعض الأكتاف وإطار بارز على هيئة قوس نصف دائري أعلى المدخل (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (25)

رواق القبلة بمسجد عين علم ويظهر هنا القبلة، بسيطة التشييد، وكذلك المنبر المشيد بالطوب اللبن ومثبت به بعض فروع أشجار السنط كسور يسند عليه إمام المسجد أثناء إلقاء خطبة الجمعة. (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (26)

أحد شوارع مدينة بلاط ويظهر بها مداخل البيوت المنخفضة نسبياً، ويظهر جزء من الشارع مسقوف وأعلاه بعض الحجرات الخاصة بأحد المنازل الموجودة بالشارع (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

صورة رقم (27)

أحد الشوارع المؤدية إلى مدخل بيت في نهايته، ويظهر هنا طريقة رص الطوب في الجزء المتهدم من المبنى في الجانب الأيمن من الصورة. (مدينة بلاط)

(تصوير الباحث)

الحواشي:

1 . أبو القاسم ابن حوقل: "المسالك والممالك"، مطبعة بريل – ليدن، 1872، ص102.

2 . محمد عبد الستار عثمان: "المفهوم الإسلامي لكلمة مدينة"، مجلة المنهل، العدد 45، المجلد 48، مايو 1987م، ص 230.

3 . سعد عبد الكريم شهاب : "أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2009، ص35

4 . http://ar.egypt.travel/city/index/dakhla-oasis#sthash.s7juY0tw.dpuf

5 . جريدة الشرق الأوسط: " العدد 8391، 18 نوفمبر 2001.

http://www.aawsat.com/details.asp?article=66921&issueno=8391#.U1VS5KLIYn

6 . http://almoharm.yoo7.com/t223-topic

7 . سعد عبد الكريم شهاب: "أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية"، مرجع سابق، ص 20.

8 . محمد بدر الدين : "المؤثرات المناخية والعمارة العربية"، دار المعارف ، د.ت، القاهرة ، ص 45.

9 . فتحي محمد مصيلحى: "معمور الصحارى المصرية والخروج الصحراوى"، مطبعة جامعة المنوفية ، ط2، 2001م، ص 126.

10 . سعد عبد الكريم شهاب: المرجع السابق، ص 21 .

11 . وائل حسين يوسف: " أسس تصميم إسكان الصحراء بمصر، مع التركيز على تصميم المناطق السكنية بالوادي الجديد"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، 1990، ص74.

12. وائل حسين يوسف: " أسس تصميم إسكان الصحراء بمصر، مع التركيز على تصميم المناطق السكنية بالوادي الجديد"، مرجع سابق، ص 75.

13 . أسامة النحاس : "عمارة الصحراء"، مكتبة الانجلو ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د.ت، ص ص 113–114.

14 . سعد عبد الكريم : "أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مص الغربية"، مرجع سابق، ص 19.

15 . المعلومات الواردة في جدول المقارنة نقلاً عن : سعد عبد الكريم شهاب : "أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2009، ص ص 350–356.

ملامح الحياة الفكرية في مدينة تاهرت الرستمية
(161-296هـ/777-908م)

محمد مصطفى المنتصر
جامعة المرقب
dr.montasir2018@gmail. com

محمود عبد المجيد مجبر
جامعة المرقب
mmjber@yahoo.com

الملخص:

تعد مدينة تاهرت الرستمية أولى المدن الإسلامية المستقلة في المغرب الأوسط عن الخلافة العباسية في المشرق، وقد أنشأه هذه المدينة وروعي فيها جميع الشروط والمقومات للمدينة الإسلامية مما جعل منها نجاحاً باهراً بسياسة أئمتها في استقطاب الناس وجلب الأتباع وخاصة أنها إباضية المذهب حيث لم يفرق بين المذاهب فيها ولم يكن هناك تعصب بل كانت الدولة الرستمية دولة عدل وحق وكان الشرع والدين والعلم شعارها، وقد قامت نهضة علمية كبيرة في تاهرت إذ وجدت الأرضية الخصبة والبيئة الجيدة للنمو والتطور، وقد قدمت هذه الدراسة المتواضعة بعض تفاصيل الحياة الفكرية في مدينة تاهرت ووصلت إلى بعض النتائج وقد تم تقسيمها حسبما تطلبت طبيعتها إلى التالي:

1_ نبذة جغرافية وتاريخية.

2_دور الأئمة الرستميين في ازدهار الحياة الفكرية.

3_ مراكز التعليم والتعلم بتاهرت.

4_ العلوم والنتاج الفكري بتاهرت.

مقدمة:

تاهرت هي إحدى المدن الإسلامية التي كان لها طابعها المميز وأثرها المهم، فهي أول عاصمة للمغرب الأوسط في العهد الإسلامي ازدهرت فيها الحياة الفكرية والثقافية بشكل عام، نتج عنه تطور حضاري في الجوانب المختلفة كان من أبرزها النتاج العلمي والفكري وتطور العلوم من خلال الاهتمام البالغ بتحصيلها ، ويتجسد ذلك في منظومة متكاملة تبدأ من الأسرة إلى المساجد والكتاتيب مروراً بالرحلات العلمية وتبادل الأفكار والعلوم، وصولاً إلى اقتناء الكتب وجلبها للمدينة، وإنشاء المكتبات حتى صارت مدينة تاهرت مقصد طلبة العلم والمفكرين والمعلمين والباحثين ككل، فكانت الحياة الفكرية في تاهرت نتاج مجموعة عوامل متداخلة ومتباينة ما بين سياسية واقتصادية ومجتمعية.

فماهي العوامل التي كانت وراء تفعيل الحركة العلمية في تاهرت الرستمية؟ وهل كان للأئمة الرستميين دورفي إزدهار العلوم وتطورها؟ ومادى تأثير التعدد المذهبي على الحركة الفكرية؟ يحاول الباحث عرض هذا الموضوع والإجابة عن هذه التساؤلات في متن البحث وتدوين النتائج وذلك من خلال اتباع المنهج التحليلي لدراسة التاريخ مقسماً هذا البحث إلى مقدمة وأربع مباحث رئيسية وخاتمة.

أولاً: نبذة جغرافية وتاريخية:

تقع مدينة تاهرت في الجهة الغربية من التل الجزائري، وتبعد 340 كم عن العاصمة الجزائرية الحالية، وتمتاز بوجود سلسلة جبلية تعرف باسم مرتفعات تيارت، وهي تتفاوت في ارتفاعها ما بين (1000م – 1200م) على مستوى سطح البحر، وبذلك يكون موقعها بين جبال أطلس يجعلها تشرف على نواحي بلاد المغرب وتتوسطها مما جعلها شديدة البرودة حتى إن الجغرافيين أطنبو في حديثهم عن ذلك وقالوا بأنها بلد شديد البرد والثلج حتى أن الشمس قلىَ ما ترى في سمائها[1].

فموقع تاهرت الجغرافي استراتيجي مهم في منطقة مهمة وغنية اقتصادياً، فهي تشتهر بمراعيها الشاسعة وثرواتها الزراعية المتنوعة، ويرجع ذلك لكثرة مصادر المياه فيها وخصوبة تربتها[2].

وهي منطقة تجارية مهمة بين مدن المغرب الإسلامي من خلال موقعها سالف الذكر، وإشرافها على المنطقة السهلية الواسعة جعل منها حلقة وصل ما بين تجارة البحر وتجارة ما وراء الصحراء وهو ما جعلها تحتل مكانة تجارية كبيرة في بلاد المغرب الإسلامي، وكل هذه

العوامل الاستراتيجية من نواحي مختلفة ساهمت في أن تكون مدينة تاهرت مميزة عن نظيراتها من مدن المغرب، وهو ما جعل الرستمين يختارونها عاصمة لدولتهم[3].

والتي شهدت ازدهاراً وتطوراً كبيراً بين دول المغرب الإسلامي حتى أنها تسمى عراق المغرب[4].

ومدينة تاهرت مدينة محصنة جداً، وهي صعبة المنال والوصول إليها نظراً لتضاريسها الطبيعية بها وسورها العالي وأربعة أبواب باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن[5].

يجمع أغلب المصادر على أن مدينة تاهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة البساتين التي تضم ثماراً مختلفة، ناهيك عن التجارة الرائجة بها، فقد كانت مقصد التجار من مناطق الشرق والغرب[6].

وقد اجتمعت مقومات الحضارة والرقي في مدينة تاهرت من بيئة ومياه وأيدي عاملة كما كان لسيرة أئمة الدولة الرستمية الحسنة دور في مقصد الرحلات المختلفة سواءً كانت من أجل التجارة أو العلم و المعرفة الذي راج سوقها في تاهرت والحديث عن مدينة تاهرت الرستمية مرتبط بالحركة الخارجية في بلاد المغرب الإسلامي والتي لعبت دوراً مهماً في تاريخها حتى منتصف القرن الرابع الهجري[7].

في أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية فبتباع المغاربة مذهب الخوارج رفعوا علم العصيان على الأمويين ومن بعدهم العباسيين فكانت النتيجة ظهور كيانات مستقلة والتي من أبرزها قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط على يد مؤسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ – 777م، وكانت منفصلة نهائياً في المجال السياسي والإداري عن الحكم المركزي الإسلامي، متخذة من المذهب الأباضي منهاجاً في حكم الدولة الرستمية بدأً من خلال العاصمة تاهرت والحاكم الملقب بالإمام والذي غلب عليه الطابع الديني في حكمه لدولته[8].

وكان يطلق على حكام الدولة الرستمية الأئمة جمع إمام وهذا اللقب يطلق على الحاكم وعلى الشيخ العالم بأمور الدين والمذهب الأباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة، ولكن أعيان مدينة تاهرت أو أن يحصروها في البيت الرستمي لكي لا تنافسهم القبائل البربرية في الحكم والإمام هو الذي يسير أمور الدولة الدينية والدنيوية ويساعده في ذلك جماعة المسلمين وسنعرض لدور هؤلاء الأئمة في الحياة الفكرية لاحقاً، أما عن تاريخ بناء مدينة تاهرت فقد اختلف المؤرخون في ذلك ولكن الأصح ما ذكره بن عداري في أن الشروع في بنائها كان سنة (161هـ/777م) وهو التاريخ الذي تؤيده روايات الأباضية وجل المؤرخين ويتفق مع سير الأحداث في بلاد المغرب الإسلامي.

وهذا لا يدل على أن تاهرت لم تكن موجودة في السابق من قبل ذلك التاريخ، فهي مدينة قديمة تعود للعصر الروماني وأنشئت مدينة تاهرت الإسلامية على مقربة من المدينة القديمة وقد

روعي في اختيار موقعها الاحتياطات الأمنية المختلفة حتى أن موقع المدينة كان وليد الظروف التي عاشتها الدولة الرستمية في تلك الفترة حيث كان لموقعها ميزات منها بعدها عن خطر العباسيين باعتبارها تقع في منطقة داخلية كذلك من ميزاتها أنها محاطة بقبائل تنتمي للمذهب الأباضي يجعل منها في مأمن عن هجمات المخالفين والمناوئين ويتميز موقعها بغنى اقتصادي تمتعت به المنطقة وتحدث عنه الجغرافيين من خلال موقعها وربطها بين المناطق الصحراوية والمناطق الجبلية والساحلية مما جعلها بوابة تجارية لبلاد المغرب[9].

كل الميزات المذكورة كانت من أسباب بقاء وازدهار مدينة تاهرت اقتصادياً وسياسياً ترتب عليه نهضة فكرية لازال صداها يذكر حتى الآن، فقد ضلت تاهرت عاصمة للدولة الرسمية إلى غاية سقوطها نتيجة لظروف مرت بها المنطقة ككل وخلافات بين الرستميين أنفسهم مما أدى إلى سقوط دولتهم سنة 296هـ[10].

ثانياً: دور الأئمة الرستميين في ازدهار الحياة الفكرية:

من منطلق إدراك أئمة بني رستم أن الحفاظ على الشريعة الإسلامية وترسيخ المذهب الأباضي ومعتقداته في أذهان الناس عن طريق العلم والمعرفة من السيطرة بالقوة وفرض ذلك عليهم، وأن الرغبة في الاتباع واتباع أسلوب الإقناع هو الأمثل[11].

وبذلك حظيت تاهرت بنصيب كبير في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة، حيث تعتبر من أهم المراكز الثقافية في العهد الإسلامي والتي كانت مقصد العلماء وطلبة العلم نتج ذلك عن اهتمام ولاة الأمر بالعلم وأهله حتى أن هؤلاء الأئمة كانوا من كبار العلماء والمفكرين، وقد شاركوا في رقي الحركة العلمية من خلال تشيعهم وحثّهم على طلب العلم، فقد أغدقوا الأموال على العلماء وفي شراء الكتب وجلبها لتاهرت، كذلك وإيفاد الطلبة في رحلات علمية وبناء مراكز العلوم من مكتبات وكتاتيب ومجالس علمية مما كان له الأثر المباشر في ازدهار العلوم وانتشارها، ساهم ذلك في رقي الحياة الفكرية في تاهرت دون غيرها من مناطق ومدن المغرب الإسلامي[12].

وكان التركيز من قبل الأئمة الرستميين على العلوم الشرعية وذلك من أجل ترسيخ الدين وتعاليمه ونشر اللغة العربية بين البربر، كذلك الترويج للمذهب الأباضي في تلك المناطق فقد أقاموا المجالس والحلقات العلمية في المساجد وغيرها يلقون فيها الدروس ويتدارسون العلوم الشرعية واللغوية على وجه الخصوص، فقد ذكر أبو زكرياء في كتابه سير الأئمة وأخبارهم قائلاً: "كان البيت الرستمي بيت علم في فنونه من الأصل والفقه والتفسير... علم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم"[13]، وهذا يؤيد ما ذكرناه في اهتمام الأئمة الرستميين بالعلم حتى على الصعيد الشخصي وداخل البيت الرستمي قبل المجتمع التاهرتي، وأن العلوم الشرعية

واللغوية كانت محط اهتمامهم لظروف اقتضتها طبيعة المرحلة في المنتصف الثاني من القرن الأول الهجري.

وكما تمت الإشارة إلى مدينة تاهرت على أنها من أهم المراكز الثقافية الكبرى في المغرب الإسلامي ودار للعلم ومقرًّا للعلماء يرجع ذلك بالدرجة الأولى لدور الأئمة الرستميين في بناء الحياة الفكرية والثقافية بصفة عامة، فقد كانوا على رأس علماء تاهرت في تحصيل العلم والمعرفة حتى أنهم من أكابر العلماء، بل وكانت من شروط الإمامة ورئاسة الدولة العلم[14].

وقد كان الاهتمام بالحياة الفكرية يشمل كل المناطق التابعة للدولة الرستمية، ومن أهمها جبل نفوسة[15].

لقد كان عبد الرحمن بن رستم/ أول الأئمة الرستميين ومؤسس الدولة الرستمية من كبار العلماء في عصره وكان يقضي أوقات فراغه في الدرس والتدريس والتأليف[16].

ففي الوقت الذي كرس فيه جهده لمواجهة الأعباء الداخلية متبعاً في ذلك سياسة التسامح مع جيرانه موجهاً اهتمامه لتنظيم شؤون بلاده، حيث اتسع سلطانه بين قبائل البربر التي دخلت تحت ولائه وحمايته، ومن بينها قبيلة نفوسة البربرية، وساد الأمن والسلام في كامل الدولة الرستمية حيث سلك الإمام سبيل العدل والإنصاف[17] ، لأنه كان على جانب كبير من العلم والعمل والعدل والزهد، وهذا ما أكده ابن الصغير قائلاً: "لما ولَّى عبد الرحمن بن رستم ما ولَّى من أمور الناس شمر مأزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف لا يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض مشارقها ومغاربها" [18].

وهذا يعكس شخصية الإمام الورع وعلمه وإحقاقه للحق، حيث كان لا يشيد برأي وإنما يشاور أهل الرأي والنظر في مجلس الشورى فانتشرت سيرته في المشرق والمغرب، وكثر أنصاره حتى أن إباضة البصرة بعثوا له بثلاثة أحمال من الأموال تشجيعاً وتأييداً له ولمذهبه[19]

ولقد استطاع الإمام عبد الرحمن بين رستم الرقي بدولته إلى أعلى المراتب وتوطيد أركانها بسياسته الحكيمة، فقد تحسنت في عهده أحوال الرعية وشيدت دعائم الدولة وعم الرخاء وتوسع العمران وغرست البساتين واستصلحت الأراضي وأجريت الأنهار وزرعت الغلال، وبذلك قوي الاقتصاد وعلى شأن الرستميين وعاصمتهم تاهرت مما جعل الوفود يأتونها من مختلف الأقطار، حيث ازدهرت الحركة التجارية والاقتصادية بصفة عامة، مما جعل ذلك ينعكس إيجاباً على البيئة العلمية في تاهرت مع توفر الأمن والأمان وسبل الراحة المختلفة التي كان للائمة الرستميين الدور المباشر فيها، وعلى رأسهم المؤسس عبد الرحمن بن رستم الذي اهتم بالحركة العلمية والفكرية أيما اهتمام حتى على الصعيد الشخصي، فقد ألَّف كتاباً في تفسير القرآن، كما كانت له حلقة في المسجد يتولى التدريس فيها بنفسه[20] .

وهذا يدل على اهتمامه بالعلم والمعرفة خاصة العلوم الشرعية، ومن الملاحظ أن بناء مدينة تاهرت والحياة السياسية لم تؤثر على الحياة الفكرية والثقافية بل جعل من تاهرت قاعدة ومركز يستقبل العلماء من مختلف أصقاع الأرض.

ومجمل القول إن عهد عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية عرف ازدهاراً علمياً وظل كذلك إلى وفاته وتولّى بعده ابنه عبد الوهاب (171– 208هـ) الذي وصف بأنه أحد

العارفين بعلوم الدين والدنيا وكان محمود الأمثال، وكان ملماً في مسائل الفرائض[21]، وكان من العلماء الرستميين كما في أهل بيته، وقد أولى الإمام عبد الوهاب اهتماماً بالمراكز التابعة لتاهرت ونشر العلم والمعرفة فيها ومن أهمها جبل نفوسة التي مكث فيها سبع سنين بعلم الناس هناك، وقد ألف كتابه (مسائل نفوسة الجبل) لأنه سئل في هذه المسائل من قبلهم[22]، والكتاب المذكور يدل على فصاحة الإمام وضلوعه في العربية وعلومها وغزارة علمه وأبواب كتابه تدل على عمق فهمه وتبصرته في العلوم الدينية[23].

ولقد كانت لنشأة عبد الوهاب وتربيته دور كبير في شخصيته العلمية، فقد أخذ عن والده حميد الخصال وجميل الأخلاق، وتعلم عنه الكثير من العلوم، فقد كان عالماً متقناً للغة العربية والفارسية والبربرية[24].

كما كانت لعبد الوهاب صلات علمية بعلماء الأباضية بالمشرق الإسلامي الذين كانوا يزودونه بالمؤلفات حتى أنه أسس مكتبة مهمة في تاهرت تحوي الكثير من نسخ الكتب المشرقية[25].

كما كان الإمام عبد الوهاب طوال فترة حكمه عادلاً بين الرعية استطاع توحيد المسلمين في إقليم تاهرت الرستمية، فصارت ملجأً للعلماء وداراً لطلب العلم والمعرفة.

تولى من بعده ابنه أفلح (208 – 258هـ) فهو الإمام الفقيه العالم البارز له معرفة شاملة فقد برزبين سائر الرستميين الذين كرسوا نفسهم جميعاً لدراسة العلوم، وكان يبدع في إدارة النشاطات العلمية بنفسه[26].

حيث عرف بشغفه بالعلم ومجالسة العلماء، وقد اشتهر بالعدل والشجاعة وقوة الساعد[27] ، كما أنه بلغ في علم الغبار (الحساب) والنجامة (الفلك) مبلغاً عظيماً وتميز دوره بالعدل والطمأنينة[28].

ويذكر أن الإمام أفلح كان من الأدباء ويدل على ذلك ما تركه من أعمال أدبية تنم عن تبصرة في الأدب، وكان له قصيدة يحثُّ فيها طلبته ويشجعهم على العلم، يقول فيها:

العلم أبقى لأهل العلم آثاراً يريك أشخاصهم روحاً وابارا

حتى وإن مات دو علم ودو ورع   ما مات عبد قضى من ذاك أو طارا[29].

ولطول حكم الإمام أفلح دوره في ازدهار دولته فقد بنى القصور وانتعش الاقتصاد حتى أصبحت تاهرت من أغنى المدن في المغرب وايسرها حالاً مما انعكس على الحياة الفكرية التي كانت محط أنظار الرستميين حين بلغ الإمام أفلح خمسين سنة تولى من بعد ابنه أبوبكر الذي لم تتجاوز فترة حكمه الثلاث سنوات ولم تسهب المصادر التاريخية عنه كثيراً وما ذكره ابن الصغير[30]، يدل على شخصيته العلمية، حيث يقول عنه: "كان سمحاً ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين"، وفي هذا دليل على معرفته باللغة وعلومها وعلم التاريخ وفروعه.

تولى من بعده أخاه أبو اليقظان (261 – 281هـ)، ويذكر الشماخي[31]عنه من أولى الأسباب لاختياره هو العلم والورع، وأن أول ما نظر فيه هو تعديل المناصب لمستحقيها وأن المساجد عمّرت في عهده ما يعكس شخصيته العلمية واهتمامه بالحياة الفكرية وخاصة إذا عرفنا أن هذا الإمام كان منكباً على علوم الدين وتأليف الكتب، وكانت له عدة رسائل موجهة للمسلمين يحثهم على عمل الخير ويذكرهم باليوم الآخر، وفي هذا دليل على ورعه وتقواه وفطنته ومعرفته بتفاصيل الشرع الحنيف[32]، وكانت دار تعج بالعلماء يتدارسون ويقرأون ويتحدثون في متون العلم، وبلغ في العلم مبلغاً عظيماً وألف كتباً كثيرة[33].

وخلاصة القول: إن الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح كان عالماً جليلاً اهتم بشؤون الرعية عامة، وبالعلماء وعلمهم خاصة، ويعد صاحب مؤلفات مهمة في تلك الفترة وتولى من بعده ابنه أبي حاتم يوسف (281 – 294هـ) وهو سادس الأئمة الرستميين، الذي قال عنه الشماخي[34] أنه "الإمام الماهر والبحر الزاخر العالم الذاكر"، وبذلك اجتمعت فيه خصال أسلافه المذكورة من تشجيع للعلم وأهله كما مرت في عصر المساجد وامتلأت بالفقهاء[35]، وبهذا كان عهده عهد رقي وازدهار ثقافي وعلمي، وهو الطابع الذي ميَّز الدولة الرستمية وأسسها العلماء حتى أن عاصمتهم تاهرت كانت قبلة العلماء وطلبة العلم ما جعل العلم وأهله يذكر بذكر مدينة تاهرت وأئمتها الرستميين.

ثالثاً: مراكز التعليم والتعلم بتاهرت:

للمؤسسات التعليمية دور كبير في النشاط الثقافي والفكري في المغرب الأوسط في العهد الرستمي حيث حظت هذه المراكز برعاية الأئمة الرستميين، كما تمت الإشارة، وذلك ببناء المساجد والكتاتيب وتأسيس المكتبات العامة والخاصة وجلب العُلماء للتدريس، وعقدت مجالس وحلقات الدرس لتدريس العلوم المختلفة.

أ) المساجد:

يرتبط تاريخ التعليم والتربية الإسلامية بالمساجد ارتباطاً وثيقاً، فقد كانت تعقد فيها حلقات الدرس، وكانت في الغالب تدور حول العلوم الدينية واللغوية[36]، ولقد لعب المسجد دوراً مباشراً في

تنشيط الحركة الثقافية في تاهرت الرستمية، حيث يعد مركزاً مهماً في تفعيل النشاط العلمي وتلقي العلوم، لذا حرص الرستميون على الحفاظ عليه كونه ذو مكانة في نفوس المسلمين ويعتبر أهم مؤسسة تعليمية، فهو يشمل مراحل التعليم المختلفة في الدولة الرستمية، ويؤدي دوراً تثقيفياً وتعليمياً، وكما هو معروف فإن أول ما يقام عند بناء المدينة هو المسجد الجامع وهو ما فعله عبد الرحمن بن رستم عند تأسيس دولته وبناء عاصمتها[37] تاهرت التي كانت المساجد فيها عديدة ومتنوعة بتنوع المذاهب والفرق الإسلامية، وكما تمت الإشارة فإن ولاة الأمر الرستميين تولوا مهام التدريس في المساجد بأنفسهم أحياناً كما فعل عبد الرحمن بن رستم[38].

ما عُرف عن الدولة الرستمية الحرية الفكرية والدينية، فلم يقمع المخالفين للمذهب الأباضي فكانت لهم بيوتهم ومساجدهم الخاصة التي عرفوا بها من خلال تسمياتها مثل مسجد الكوفيين أو البصريين وقد تنوعت الحلقات التي كانت تعقد في مساجد تاهرت حسب تعدد المذاهب والفرق منها المالكية والمعتزلة والشيعة، وقد أفسح الرستميون المجال لعقد المناظرات العلمية وجلسات الجدل الطويلة التي كان علماء الأباضية الرستميين طرفاً فيها، وقد اتسمت هذه المجالس باللطف والأدب مما جعلها تكون حافزاً للبحث واكتشاف المسائل وحلولها وإلحاق الطرف الآخر بالحجة[39].

ويرجع ذلك إلى رخاء البلد وحسن سيرة أبنائها والأمن والعدل الذي عاشه المجتمع التاهرتي، ومن الأئمة الرستميين الذين حولت مجالسهم كقاعات للدرس والعبادة قامت بدور المساجد أبو اليقضان محمد بن أفلح، فمن حبه للعلم ودعمه إياه جعل مجلسه كالمسجد طائفة يصلون وأخرى تقرأ القرآن، وغيرها يتدارسون في فنون العلم[40].

ب – الكتاتيب:

الكتاتيب مفردها الكُتَّاب وهو موضع التعليم يتعلم به الصبية[41]، وتعتبر الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الأساسي في العصر الوسيط، كان انتشارها في المغرب مع قادة الفتح الإسلامي ونشأة المدن الإسلامية، فبعد اختطاط القيروان أول ما أنشأوا الدور والمساجد التفتوا بعدها إلى تعليم الصبيان فاتخذوا محلاً (كُتَّابًا) بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن[42].

هذا يدل على أن الكتاتيب كانت من مكونات المدينة الإسلامية عند نشأتها، وإن لم تكن هذه الكتاتيب داراً كبيرة وإنما هو مكان متواضع يتسع لعدد من الصبيان يشرف عليه معلم يتعلم فيها الناشئة القراءة والكتابة، و القرآن واللغة العربية، وقد يتعلمون الحساب والشعر والأخبار والتاريخ[43].

ومن اهتمام الدولة الرستمية بالعلم وأهله إنشائها الكتاتيب لتدريس التلاميذ، وكان أئمة الرستميين على رأس المدرسين بهذه الكتاتيب، فالإمام عبد الوهاب تلقى العلم على يد أبيه عبد

الرحمن بن رستم، وعمل هو أيضاً في التدريس فيما بعد، حيث تخرج على يده الكثير من الطلبة من ضمنهم ابنه أفلح[44].

وقد فصل الكتاب عن المسجد لسببين رئيسيين هما:

1- إن الكتاب كان لتعليم الصبيان الذين لم يبلغوا سن الرشد، والمسجد لابد أن يكون الطالب فيه على طهارة تامة.

2- يدرس في الكتاب العلوم الدينية البحتة بخلاف المسجد الذي تنوعت فيه العلوم[45].

وكانت طريقة التدريس في الكتّاب تقليدية حيث كان التلميذ يكتب ما يمليه عليه الشيخ في لوح من خشب، وبعد حفظه يمحى اللوح للكتابة عليه مرة أخرى، وكانت هذه الطريقة متبعة في أرجاء الدولة الرستمية[46].

ولازالت هذه الطريقة متبعة لتحفيظ القرآن الكريم في بعض المساجد والكتاتيب في العالم الإسلامي حتى الوقت الحاضر.

وكما تمت الإشارة فإن دور الكتاتيب ينتهي ببلوغ التلميذ سن الرشد وينتقل بعدها إلى مرحلة تعليمية أخرى وهي الحلقات في المساجد، وهي المرحلة التي تعقب المرحلة الابتدائية[47].

وبذلك لعبت الكتاتيب دور التأسيس في حياة الطالب العلمية تبنى عليها مراحل تعليمية لاحقة، يصل فيها الطالب أعلى المراتب العلمية والثقافية.

ج – المكتبات: اشتهر الأئمة الرستميين باقتنائهم الكتب المشرقية، كما اشتهروا بالتأليف في مختلف فنون العلم، ويظهر ذلك من خلال علاقتهم الوثيقة بالمغرب والمشرق الإسلاميين لا سيما من النواحي العلمية والثقافية والتي من بينها القيروان وفاس ومصر وبغداد والبصرة[48].

وبناء على تلك العلاقات الثقافية مع المدن الإسلامية زادت حركة نسخ الكتب ونقلها من المشرق إلى المغرب، ومن ذلك ما فعله الإمام عبد الوهاب حين أرسل ألف دينار إلى البصرة لتشتري بها الكتب فرأوا أن يشتروا بها ورقاً ويقوموا بنسخه وبعثوا له بالنسخ التي زادت عن حمل أربعين جملاً[49].

فكانت النواة الأولى لتكوين المكتبة التي اشتهرت فيما بعد في تاهرت باسم (مكتبة المعصومة)، التي تذكر المصادر أنها ضمت حوالي ثلاثمائة ألف مصنف في مختلف فنون العلم وهي على غرار بيت الحكمة في بغداد، وأن أغلب كتب المعصومة من تأليف علماء وأئمة المذهب الأباضي مع وجود كتب أخرى في مجالات مختلفة[50]، ومنها المدونة التي قام الشيخ عمروس ينسخها عن مدونة أبي غانم الخرساني بمساعدة أخته[51].

ولم يبقى أثر للمكتبة المعصومة فقد ذكرت المصادر أنه بمجرد دخول الفاطميين إلى تاهرت قاموا بحرقها خاصة الكتب التي لها علاقة بالمذهب الأباضي[52]، وهذا يعكس مدى العداء الشيعي للمذاهب الأخرى.

ولقد وجدت بعض الآثار للمعصومة تعلقت في موضوعها بالرياضيات والعلوم والفلك والهندسة والطب، كما وجدت مكتبة أخرى في جبل نفوسة عرفت (بخزانة نفوسة)، وهي بمدينة شروس مركز الجبل[53].

وبذلك تميزت الحياة الفكرية في تاهرت بالنشاط والحيوية والاستقرار والازدهار وهو انعكاس للرخاء الاقتصادي والاستقرار السياسي خلق بيئة علمية جعل من تاهرت تضاهي حواضر العالم الإسلامي كبغداد ودمشق وقرطبة، وكانت مركز إشعاع حضاري مهم ومشهور.

رابعاً: ازدهار العلوم والنتاج الفكري للعلماء:

لقد كان للأوضاع السياسية بالمغرب الإسلامي ككل ووجود مذاهب عدة لا سيما في الدولة الرستمية وبالتحديد في مدينة تاهرت عاصمة الرستميين وجهود العلماء المتمثلة في الأئمة أنفسهم له بالغ الأثر في ازدهار العلوم وتطورها لا سيما النقلية منها والمتمثلة في علوم الشريعة بالدرجة الأولى، حيث امتازت الدولة الرستمية بغزارة الإنتاج العلمي في العلوم الشرعية متضمناً اللغة وآدابها، كما كان لتعدد المذاهب نوع من التنافس بين معتنقيها التي كانت تعقد بينهم المناظرات مما جعل البحث العلمي على أشده، وهذا من أبرز مظاهر التطور الفكري والعلمي لإبراز إمكانياتهم الفقهية والعلمية في الدفاع عن آرائهم وأفكارهم المذهبية وإقناع الطرف الآخر.

إن التسامح المذهبي الذي عرف به الأئمة الرستميين بنى قاعدة أساسية لحرية الفكر وهو ما شجع الحركة العلمية فتعددت وتنوعت المناظرات، وكانت من أشهر المناظرات التي احتضنتها تاهرت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة وكان موضوعها يدور حلو مواضيع الفقه إلى جانب علم الكلام واللغة، ولقد كان لتلك المناظرات آثار إيجابية إذ أسهمت في ظهور مؤلفات جسدت جهود العلماء والفقهاء في حركة التأليف[54].

اعتبرت ذخراً لطلاب العلم والعلماء أنفسهم على مر العصور، ويمكن تقسيم تلك المجهودات وما ترتب عليه إلى فرعين رئيسيين؛ علوم نقلية وعقلية كالتالي:

أولاً: العلوم النقلية:

أ) التفسير: إن من ضرورات فهم الدين وأحكامه فهم معاني القرآن عن طريق تفسيره وفهم معانيه لأن نزوله باللغة العربية لايعني أن كل العرب يفقهون أحكامه ومعانيه، فهو كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى معجزة في معانيه وأحكامه الصالحة لكل زمان ومكان، كذلك في التفسير تبين لبعض معاني الكلمات التي تختلف عند العرب في استعمالها من مكان لآخر، كذلك اتساع

رقعة الدولة ودخول الأعاجم والموالي وهم المسلمون من غير العرب جعل التفسير ضرورة حتمية، ففي المغرب الإسلامي الذي عرف تأسيس دول وكيانات مستقلة منها الدولة الرستمية التي تظم مجتمعاً بربرياً في طلبه كان لزاماً على العلماء تبيين المعاني القرآنية للناس عن طريق التفسير وتسهيل فهماً ومعرفة محتواها لتأدية الفروض الدينية بصورة صحيحة استناداً على أحكام القرآن الكريم[55].

ولقد اشتهر عدد من العلماء في الدولة الرستمية بنبوغهم في علم التفسير منهم: محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بابن أبي المنيب عاش ما بين (200–250هـ/815–864م) هو أحد أعلام نفوسه استدعاه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ليناظر المعتزلة الواصلية بتاهرت وذلك لمعرفته العميقة بمعاني القرآن الكريم[56].

هود بن محكم الهواري الأوراسي كان أبوه محكم الهواري قاضي تاهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208–258هـ/823–871م) وهو أشهر مفسر للقرآن عرف في الدولة الرستمية تداولته المصادر الإياضية وغيرها.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تاهرت وكان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال ويتسع في تفسيره ثمانية شروط: معرفة المكي والمدني الناسخ والمنسوخ، التقديم والتأخير، المقطوع والموصول والخاص والعام والإضمار واللغة العربية ألف كتاباً في التفسير فيه أربع أجزاء[57].

يلاحظ مدى اهتمام الرستميين بعلم التفسير وضلوع بعض المفسرين في تفسير القرآن وذلك للرد على المخالفين من خلال المناظرات حسب ما تم بيانه.

ب – الفقه:

من النتائج التي ترتبت عن حرية الفكر وإفساح المجال أمام المذاهب المختلفة كَثُرَ التأليف وتعدد المدونات الفقهية كل حسب مذهبه ويجسد ذلك ما قاله بن الصغير: "... ومن بالبلد من فقها الإباضية وغيرهم من الكوفيين والمدنيين (المالكية) لم يطلب بعضهم بعضاً ولا يسعى بعضهم ببعض... إلاّ أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهرت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيها صاحبتها..."[58].

وكما كانت تقام المناظرات في باقي فروع المعرفة كان الفقهاء يشتركون في تلك المناظرات مما أثرى العلوم الفقهية في المذاهب المختلفة كالمالكية والحنفية والأياضية حيث يتفق بعضهم في مسائل ويختلفون في أخرى[59].

ومن أبرز الفقهاء الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي ألف كتاباً سماه (مسائل نفوسة) كما تمت الإشارة والذي يجيب فيه عن أسئلتهم التي بلغت ثلاثمائة سؤال ويرجع ذلك إلى الكم الكبير الذي قرأه من الكتب المشرقية التي نسخت له كما تم بيانه، إضافة إلى ما تلقاه من علوم حتى أنه عندما فرغ منها قال: (الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ولم أستفد مها

إلا مسألتين وقيل ثلاثة ولو سئلت عنهما لأجبت فيها قياساً)[60]، وفي ذلك دليل على سعة علمه في العلوم الدينية وفقهه في المسائل المختلفة، ومن علماء الأياضية الذين تفقهوا في الدين عالم يعرف بأبي عبيدة الأعرج الذي عرف عنه الورع والرجوع إليه في مسائل الخلاف[61].

ومن الفقهاء المعتبرين – محكم الهواري متوفي (258هـ/871م) فقيه وقاضي من جبل الأوراق عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضياً على تاهرت عرف عنه أنه شديداً في الحق فلم يكن عنده فرق بين أمير ومأمور ولا يخشى في الحق لومة لائم[62].

ومن الفقهاء الأباضية أيضاً عمروس بن فتح المساكني النفوسي الذي يعد من أبرز فقهاء عصره، تولى القضاء بجبل نفوسة في عهد الإمام يوسف بن محمد بن أفلح والذي قام باستنساخ مدونة أبي غانم الخرساني، حيث قام باستنساخها وأهميتها عند الإياضية تضاهي أهمية مدونة سحنون عند المالكية في المغرب.

ومن الفقهاء المقربين عند الأئمة الرستميين محمود بن بكر وعيسى بن فرناس استعان بهما الإمام أبو اليقضان للاستشارة في أمور الدين والسياسة[63].

ونستخلص مما سبق بيانه أهمية الفقه ومكانته في تاهرت وعند أئمتها مما جعل الفقهاء يسمون بأعلى المراتب، فقد كان لهم الأثر الكبير في حياة المجتمع التاهرتي وساسته.

3 – الحديث:

اعتمد الإياضيون في المغرب ومنهم الرستميون على مؤلفات الحديث المشرقية وخاصة الإياضية منها، وقد كانت البصرة بالعراق مهد هذا المذهب وعلومه، فقد كان المغاربة يحجون إليها لطلب العلم ومنهم الإمام عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية، وقد وجدت كتب الحديث المشرقية عن طريق شراء نسخ منها، وكذلك الرحلات العلمية للدراسة واستجلاب الكتب، ومن أشهر كتب الحديث المشرقية التي اشتهرت في بلاد المغرب كتاب المسند لابن الحبيب، كذلك الجامع الصحيح دونه الإمام الربيع وعرف باسمه كتاب الربيع الذي أولى الإياضية اهتماماً به[64].

ولقد وجد علماء الحديث من غير الإياضية في تاهرت بشكل قبول، ومنهم محدث المالكية أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي، وهو أيضاً أديب وشاعر[65]. وهذا يدل على البيئة العلمية الجيدة في تاهرت فكان فقهائها ومحدثيها لهم علوم موسوعية جمعت بين علوم مختلفة.

وقد ذكرت المصادر بعض رواق الحديث من اتباع المذهب الإياضي وغيره في تاهرت الرستمية.

4 – علم الكلام:

عرفه بن خلدون علم الكلام بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[66]، فهو الخوض في المسائل الفلسفية التي تخص العقيدة ويعتمد على الجدل في الدفاع عنها بالحجة والإقناع.

ومن أهم المسائل التي يبحثها هذا العلم هو قضية خلق القرآن، ويتضح رواج هذا العلم في تاهرت من خلال رسالة الإمام محمد بن أفلح في مسألة خلق القرآن قائلاً: "اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله ولا يخلو هذا الكلام أن يكون شيئاً أو ليس بشيء يختلف فيه المخالفون وينازع فيه ولو صح أنه ليس بشيء لبطل أن تكون رسل الله جاءت بشيء"[67]، هذه المسألة أثارت جدلاً كبيراً في عهد صاحبها، وكانت من المحاور الرئيسة التي يدور عليها الكلام في المناظرات الفقهية الكلامية.

من أشهر العلماء في علم الكلام مهدي النفوسي الوغيوي متوفى (196هـ/811م) عاش في عهد الإمام عبد الوهاب كان متمكناً من الاستدلال والبرهان عرف ببراعته في فن المناظرة [68]. ومن العلماء المشهورين في علم الكلام عبد الله بن اللمطي وكان غاية في علم الكلام، حيث كان يرد على الفرق وينقد مقالات المبتدعة حسب قول الشماخي جمعت بين الإباضية والمعتزلة مناظرة كان عبد الله بن اللمطي طرفاً فيها[69].

5 – اللغة العربية:

تعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية في الدولة الرستمية، فهي لغة الدروس ، الخطب ، المواعظ ، المناشير للرعية، وقد تعايشت لغة البربر مع اللغة العربية لأنها لغة العامة إلا أن تعاليم الدين تستوجب اتقان العربية فهي لغة القرآن والحديث، فقد كان الاهتمام باللغة العربية ضرورة ملحة لمجتمع المغرب ككل، وليس في مدينة تاهرت فحسب فقد أتقنوها وبرعوا فيها إلى جانب لغتهم، ومن علما اللغة العربية بتاهرت يهود بن قريش التاهرتي كان يتقن لغات عدة إلى جانب العربية وأبو محمد عبد الله بن محمد النحوي متوفى (308هـ/920م) كان بارعاً في علوم اللغة، وله مؤلفات في اللغة وكتابٌ في العروض[70].

أما الأدب فقد شهدت تاهرت في العهد الرستمي نهضة أدبية واسعة في طليعتهم الأئمة الرستميين أنفسهم ومجموعة من الأدباء والشعراء الذين كونوا حركة فكرية متميزة من خلال ما تواتر عنهم من خطب ووصايا ورسائل تدل على سمو فكري ورقي أدبي ومثل هذه الرسائل تصدر عن الأئمة لرعيتهم كرسالة الإمام أفلح التي يدعو فيها لتقوى الله ومخالفته وعن الشعر فقد حظيت تاهرت بمجموعة كبيرة من الشعراء الذين نشطوا الحركة الفكرية منهم أحمد فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي قاضي تاهرت وشاعرها ومن شعراء تاهرت بكر بن حماد التاهرتي له شعر كثير اشتهرت له قصيدة رثاء ابنه مطلعها:

بكيـــت علـــى الأحبـــة إذا تولـــوا ولـــو أنـــي هلكـــت بكـــوا عليـــا
فيـــا نســـلي بقـــاؤك كـــان ذخـــراً وفقـــدك كـــوى الأكيـــاد كيـــا[71]

6 – التاريـخ:

نشطت حركة التدوين التاريخي في عهد الدولة الرستمية، ومن أشهر المؤرخين الذين عايشوا المراحل الأخيرة من الدولة الرستمية ابنها الصغير فقد ولد بتاهرت حوالي 270هـ، دون أخبار الأئمة الرستميين معتمداً على الروايات الشفوية، وتميز تاريخه بالبساطة، وقد أشاد بدور الأئمة الرستميين رغم اختلافهم في المذهب فأغلب المصادر تشير أنه كان مالكياً ألف كتاباً باسمهم وهو (أخبار الأئمة الرستميين) وهو مصدر رئيسي للدولة الرستمية حيث أنه سجل أغلب الأحداث التي وقعت فيها[72].

وكان تاريخ الدولة الرستمية في مجمله منصباً على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة رضي الله عنهم[73].

ثانياً: العلوم العقلية (التطبيقية):

ما عرف عن تاهرت أنها كانت مركزاً علمياً شاملاً لكل العلوم إلا أن الاهتمام تفاوت بين تلك العلوم فجاءت العلوم التطبيقية في المرتبة الثانية بعد العلوم الدينية والأدبية، إلا أن ما يدل على تداول العلوم التطبيقية واضح وصريح يتجسد في الكم الهائل من الكتب الذي اقتناه المجتمع التاهرتي وأئمته بمكتبة المعصومة تحوي أكثر من ثلاثمئة ألف كتاب ووجدت مكتبة أخرى في جبل نفوسة عرفت بخزانة نفوسة كانت عامرة بشتى أنواع الكتب[74].

ومن العلوم التطبيقية في تاهرت الرستمية علم الحساب، الذي اقتضته الظروف وارتبط بالحركة التجارية بتاهرت والفرائض الدينية التي تستوجب الحساب، فالإمام أفلح وأخته كان لهما معرفة واسعة بالحساب والفلك، فالمعاملات التجارية التي تربط تاهرت بالمناطق الأخرى تتطلب عملية العد والحساب وعلاقة الحساب أيضاً بالفرائض كالمواريث لابد فيه من الحساب لينال كل وريث نصيبه، كذلك عملية حساب بيت المال وتنظيم نفقات الدولة وإحصاء بعض الشرائح في المجتمع كالفقراء وتحديد متطلباتهم من الطعام والصدقات[75].

أما علم الفلك أو ما يعرف بالتنجيم فقد اهتم به الرستميون كاهتمامهم بالحساب لأن حركة القوافل التجارية لها علاقة بالنجوم في مسيرتها ليلاً، كذلك بعض الحسابات للأشهر القمرية المرتبطة بشعائر دينية كالحج وشهر رمضان وملخص اهتمام الرستميين بالفلك ما ورد عن أحدهم في تاهرت قوله: "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر"[76].

وبذلك يتضح أن تاهرت الرستمية ضمت أهم العلوم وأغلبها في الفترة قيد البحث والممتدة من منتصف القرن الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري.

الخاتمــة

من خلال ما سبق دراسته يمكن القول : أن مدينة تاهرت الرستمية الإسلامية في المغرب الأوسط ساهمت في ترسيخ مبادئ حضارية في القرنين الثاني والثالث الهجريين تمثلت في إنجازات على المستوى الفكري بمدينة تاهرت وغيرها من الحواضر الإسلامية في المغرب شهدت منطقة المغرب نهضة فكرية نوعية كانت امتداد للحركة العلمية في المشرق الإسلامي وما حدث في المغرب من تطورات فكرية ذات أبعاد مذهبية يعكس الأرضية الخصبة التي نمت فيها التيارات المذهبية القادمة من المشرق وقد نشأة الكيانات المستقلة بالمغرب والتي من بينها الدولة الرستمية وعاصمتها مدينة تاهرت وكان من الطبيعي أن يدافع كل من هذه الكيانات عن وجوده بالوسائل المختلفة والتي أخذ الجانب الفكري منها قسطاً كبيراً في ظل التنافس العلمي والثقافي بين هذه الحواضر لاسيما في ظل الاختلاف المذهبي مما أدى إلى اهتمام كبير بالجانب الفكري وازدهار في الحركة العلمية في هذه الحواضر وتأسيساً على ما تم بيانه وما سبق دراسته يمكن الوصول للنتائج الآتية:

1) كان لولاة الأمر الرستمين دور مباشر في الحياة الفكرية من خلال تشجيعهم للعمل وأهله وقيادتهم لهذا التنافس في الوقت الذي كانوا فيه أنفسهم علماء موسوعيون.
2) ارتباط النهضة الفكرية في المغرب الأوسط بتاهرت وهي المركز السياسي والاقتصادي والثقافي.
3) التسامح الذي كان لدى الرستميين وقبولهم للمذاهب الأخرى جعل من تاهرت قبلة للعلماء والفقهاء من مختلف الأقطار لعقد الملتقيات والمناظرات.
4) لقد كان التعليم في تاهرت على مختلف المستويات لا يعرف قيوداً ولا مراحل عمرية ناهيك عن جلب الكتب وإنشاء المكتبات وإنشاء الكتاتيب والمساجد التي تعقد فيها حلقات الدرس وصولاً إلى بيوت الأمراء التي كانت تعقد بها الملتقيات والمناظرات في العلوم المختلفة.
5) الصلات العلمية بين تاهرت والمشرق الإسلامي مما أتاح التبادل الثقافي بين المدن الإسلامية في المشرق والمغرب.

الحواشي

1. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص196.

2. مختار الحساني، موسوعة (ثقافة المدن الجزائرية) دار الحكمة 2007م، ج4، ص286.

3.الشريف، أبي عبيد محمد بن عبد الله، القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية 1983م، ص60.

4.ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1998م، ج2، ص8.

5.ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص8.

6.البكري، أبي عبد الله، المسالك والممالك دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص67.

7.محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة المغرب، ص5.

8.إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، القدارة، الجزائر، 1993م، ص78.

9.محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت 1987م، ص97.

10. جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص31.

11. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص329.

12. محمد عليلي، الاشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين، رسالة ماجستير ، الجزائر 2008م، ص80.

13. أبي زكرياء، أحمد، سير الأئمة وأخيارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.

14. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص332.

15. جبل نفوسة: يقع في إقليم طرابلس، سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة نفوسة البربرية، عوض الشرقاوي، المرجع السابق، ص21.

16. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص53.

17. رابح بوتار، المغرب العربي، تاريخه وحضارته، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص36.

18. ابن الصغير، المصدر السابق، ص35.

19. عوض خلفيات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال أفريقيا في مرحلة الكتمان، الأردن، ص10.

20. الديب عيسى، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العهد الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص34، كذلك محمد ديوز، المرجع السابق، ص332.

21. أبو زكرياء، المصدر السابق، ص65.

22. ابن الصغير، المصدر السابق، ص45.

23. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص332.

24. جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مؤسسة الكتاب، الجزائر، 1984م، ص64.

25. تادبيس بيفيكسى، المؤرخون الأباضيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص40.

26. المرجع نفسه، ص142.

27. أبو زكريا، المصدر السابق، ص89.

28. الشماخى عبد الواحد، السير، تح: أحمد السياحي، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج2، ص167.

29. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص235.
30. ابن الصغير، المصدر السابق، 61.
31. الشماخي، المصدر السابق، 189.
32. جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص64.
33. أبو زكريا، المصدر السابق، ص98.
34. الشماخي، المصدر السابق، ص223.
35. ابن الصغير، المصدر السابق، ص117.
36. إبراهيم بحار، المرجع السابق، ص275.
37. إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص275 .
38. الدرجيني، أحمد سعيد، طبقات مشائخ المغرب، تح: إبراهيم طلاى، ج1، ص41.
39. فتحية قرواز، الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية، رسالة ماجستير غير منورة، الجزائر 2012م، ص179.
40. الدرجيني، المصدر السابق، ج، ص83.
41. الفيروزيادى، القاموس المحيط، تحقيق: أنس الشامي وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص1392.
42. محمد بن سحنون، آداب المتعلمين، تحقيق: حسن عبد الوهاب، تونس1972م ص،33.
43. أحمد فؤاد الأهوائي، التربية في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م، ص52.
44. الشماخي، المصدر السابق، ص166.
45. إبراهيم بحار، المرجع السابق، ص277.
46. المرجع نفسه، والصفحة.
47. إبراهيم بجاز، المرجع السابق، ص280.
48. عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار العلم، الكويت 1987م، ص236.
49. الشماخى، المصدر السابق، ص142، كذلك: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص56.
50. محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص332.
51. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص323.
52. المصدر نفسه، ج1، ص95.
53. عيسى الحريري، المرجع السابق، ص237.
54. محمد عليلي، المرجع السابق، ص80.
55. محمد عليلي، المرجع السابق، ص81.
56. بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص299.
57. محمد مختار اسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، حلب للنشر دون تاريخ، ص41.
58. ابن الصغير، المصدر السابق، ص117.
59. عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص96.

[60].الشماخي، المصدر السابق، ص142

[61] .بن الصغير، المصدر السابق، ص95.

[62]. المصدر نفسه، ص57–60.

[63].يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، (القديمة والوسيطة) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص93.

[64]. الشماخي، المصدر السابق ، ص 109.

[65] .محمد رمضان شاوش، الدر الوقاد، المطبعة العلوية، المغرب، 1966م، ص43.

[66] .ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2004م، ص440.

[67] .صالح باجية، الإياضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة 1972م، ص215.

[68] .يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، (القديمة والوسيطة) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص93.

[69].الشماخي، المصدر السابق، ص 190.

[70] .محمد رمضان شاوش، الدر الوقاد، المطبعة العلوية، المغرب، 1966م، ص43.

[71]. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2004م، ص440.

72. صالح باجية، الإياضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة 1972م، ص215.

73. الشماخي، المصدر السابق، ص190.

[74].محمد عيسي الحريرى ، المرجع السابق ، ص 86 .

[75]. ابن الصغير، المصدر السابق، ص41، 42.

[76]. الدرجينى ، المصدر السابق ، ص 56 .

دراسة تحليلية لطرز المنشآت التجارية في مدينة طرابلس خلال العصر العثماني 958-1329هـ/ 1551-1911م

حنان سالم زريق
جامعة المرقب– ليبيا

Falconlibya @ hotmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث حصر وتسجيل وتحليل طرز المنشآت التجارية في مدينة طرابلس القديمة خلال العصر العثماني(958-1329هـ/ 1551-1911م)، المتمثلة في الأسواق والفنادق مع إبراز الخصائص المعمارية المميزة للعمارة التجارية في طرابلس، والتي اتسمت في مجملها بأنها صدى لنظيراتها الموجودة في تركيا ومصر وكذلك البيوت (الأحواش)،والزوايا، والبيمارستان (المستشفيات)، من خلال معرفة التخطيط الأصلي وما طرأ عليها من تعديلات جوهرية، ومعرفة الطرز الجديدة والعلاقات التجارية الوطيدة بين طرابلس ومدن الشمال الإفريقي والمدن الإيطالية، والظروف المناخية والجغرافية والتأثيرات الأندلسية التي جاءت إلى طرابلس عبر هجرة الصناع الأندلسيين إليها.

مقدمة

لقد كان لموقع مدينة طرابلس الجغرافي الممتاز ، وإتخاذها مركزا لحكم المناطق المجاورة من قبل الدول المتعاقبة عليها منذ أقدم العصور، دوره في تنوع الموروث الحضاري للمدينة، مماجعل مدينة طرابلس تزخر بكثير من المواقع والمعالم التاريخية الهامة وإن كان تعاقب وتراكم الحضارات والدول المختلفة على المدينة ذاتها ، قد جعل طابع العهود الحضارية القريبة إلى زمننا الحالي هوالغالب على نمط معمار المدينة، هذا الطابع الذي يحمل سمات المدينة العربية الإسلامية إبان العصر العثماني، ومن أهم الموروثات الحضارية التي تميزت بها المدينة القديمة طرابلس – المنشآت التجارية خلال العصر العثماني ، باعتبارها من المعالم التاريخية الاقتصادية الهامة في مدينة طرابلس الغرب، وذلك من خلال دراسة تحليلية لطرز المنشآت التجارية ونظيراتها الموجودة في تركيا ومصر وسوريا وبعض مدن الشمال الإفريقي وتظهر هذه العلاقة في التأثيرات المعمارية والزخرفية بالمنشآ ت التجارية في مدينة طرابلس في العصر العثماني.

أولاً . الأسواق

تعد الأسواق أحد المظاهر الرئيسة للنشاط التجاري، حيث يتم من خلالها تصريف المنتجات ووصولها إلى مستهلكها إذ يتعامل فيها شتى أصناف الناس من زراع يأتون بصحبة منتجاتهم لبيعها أو صناع أو تجار يعرضون سلعهم كوسيط بين المنتج والمشتري، فالأسواق تلعب بذلك دوراً مهما في تحديد ميزان العرض والطلب لأي سلعة سواء كان ذلك ببيعها أو شرائها. فالأسواق ظاهرة حضارية هامة ذات علاقة وثيقة بالنشاط التجاري، وتعد أقدم النظم الاقتصادية، لأنها تشتمل على حاجات الأفراد سواء كانت ضرورية أم كمالية.[1]

ومع إشراقة نور الإسلام في عهد الرسول _صلى الله عليه وسلم كانت الأسواق أحد العوامل المهمة في تكوين المدينة الإسلامية وكانت أهمية السوق تزداد مع أهمية موقعه بالنسبة للمسجد الجامع، فالملاحظ أن الأسواق التي نشأت بالقرب من المساجد الجامعة كانت أكثر رواجاً من تلك التي نشأت بعيدة عنها.[2]

وتتمتع طرابلس بموقع جغرافي ، تاريخي ،اقتصادي هام، حيث كانت ذات مركز تجاري هام منذ الألف الأولى ق.م فهي تعد واحدة من أقدم البوابات التي تتدفق منها ثروات أفريقيا إلى أوروبا من يورنو وكانو ووادي دارفور، وقد تطورت مدينة طرابلس من مركز تجاري بسيط إلى مدينة عامرة استقر فيها العديد من الأجناس في حقب مختلفة فطرأت عدة تغييرات على المدينة في هذه الحقب الأمر الذى كان له الأثر الفعال في انتعاش وازدهار التجارة والصناعة في بعض الأحيان وركودها وجمودها في أحيان أخرى في مختلف النواحي المعمارية والصناعية والتجارية.

وحيث إن المدينة ذات موقع استراتيجي فريد فقد كان لها النصيب الأكبر من هذا الازدهار فأصبحت مدينة عامرة بالأهالي الذين بدأوا يمارسون حرفهم المختلفة "كالنسج والصباغة والصياغة الذى ادى إلى استقرارهم هناك وبناء الحوانيت التي ازدادت بزيادة نسبة الأهالي وزيادة مواردهم المالية والتي أصبحت مثل الأسواق.[3]

وعرف ذات السوق بمسميات مختلفة وذلك تبعاً لنوعية النشاط التجاري الذى تخصصت فيه حوانيت هذا القسم ولكنها مسميات لسوق واحد كما في سوق المشير والذى يعرف من بداية سوق الفخار حيث تخصصت مجموعة من الحوانيت لبيع الأدوات الفخارية لطبخ الطعام وأواني حمل الماء، وكذلك امتداد ونهاية سوق المشير يبدأ سوق آخر عرف باسم النجارة ثم الحدادة ثم الحلودجية وأيضا سوق الفرامل والترك.

وهذه الظاهرة توجد في مصر، فنجد شارع المعز يعرف بأسماء مختلفة في أقسامه منها سوق الفحامين والنحاسين والسكرية والشربين والخيامية وغيرها.

وظاهرة الأسواق في المدينة القديمة من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أثرت تأثيراً كبيراً على الجوانب السياسية والتاريخية للمدينة على مر العصور، فالأسواق معلم من المعالم الهامة ووجه من أوجه المدينة الحيوية[4].

وتنقسم أسواق طرابلس إلى نوعين النوع الأول وهو الذى يقام في الأماكن الفضاء الخالية ويعرف أحيانا باسم المكان الذى تقام فيه سوق الرحبة أو المواد التي تباع فيها كسوق الغنم ومن هذا التنوع أيضا أسواق أسبوعية أو شهرية.

أما النوع الثاني فهي الأسواق الثابتة والتي لها صفة الإنشاء والبناء وعرف بداخلها العديد من الأسواق المنسوبة إلى التجارات[5]، كسوق العطارين والفرامل و الرباع الجديد (اللفة) والحرير والنجارة، والكتب والحلقة والبنادق ولم تقتصر على البيع فقط بل زاول بعضها هذه المهنة.

هذا إلى جانب بعض الأسواق التي نسبت إلى إحدى الفئات أو أحد الأشخاص مثل سوق المشير وسوق القويعة والترك، هذا إلى جانب بعض الأسواق التي نسبت إلى المهن أو الحرف مثل القزدارة والصياغة والطباخة والحلقة.

وهذا التخصص في الأسواق لم يكن في طرابلس والشمال الإفريقي بصفة عامة وليد العصر العثماني وإنما يرجع إلى العصر الأموي في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، والذي يُعد أول من نظر في تنظيم أسواق التجارة والصناعة في المدن الإسلامية الكبرى وأمر بترتيبها. وكان من ضمن هذه المدن التي شملها هذا التنظيم مدينة القيروان عاصمة إفريقية، فتذكر المصادر أن سماط[6] مدينة القيروان كان متصلاً فيها جميع المتاجر والصناعات، وكان هذا التنظيم بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك في حدود عام 120هـ/738م.

وفي العصر العباسي قام الأمير يزيد بن حاتم المهلبي الذي تولى إمارة إفريقية عام 156هـ/ 773م بترتيب أسواق القيروان، وأمر بأن يكون لكل أهل صناعة مكان، ومنذ ذلك الحين على أساس النظامين المتقدمين، نظمت أسواق المدن الإفريقية التي أحدثها العرب في البلاد لاسيما في عهد الدولة الأغلبية[7] .

وتنقسم الأسواق بطبيعة الأمر إلى قسمين هما :

القسم الأول: يتمثل هذا القسم في معامل للصناعات اليدوية ويشتغل فيها أربابها بتحويل المواد الأولية إلى منسوجات صناعية.

القسم الثاني: يشمل أسواق البيع المعدة لعرض المصنوعات المحلية أو المجلوبة من داخل القطر أو خارجه، ويتكون هذا القسم من دكاكين متلاصقة ومتقابلة يفصل بينها ممر، وأمام رصيف الدكاكين توجد مصطبة قصيرة تمتد على ناحيتي السوق كان يجلس عليها الشاري[8].

وكانت دكاكين القسم الأول المخصصة للتصنيع هى أفسح رقعه من دكاكين البيع، لأن العمل فيها يتطلب التوسعة لنصب أنوال النسيج، ونشر المواد الأولية بعد صبغها وتجفيفها[9].

وبالنسبة للقسم الثاني من الأسواق والذي يضم الحوانيت المعدة لعرض السلع التجارية وصلنا منها نمطين:

النمط الأول : هو نمط بسيط مكشوف عبارة عن ممر مكشوف تفتح على جانبيه الحوانيت، ومن هذا النمط سوق المشير والنجارة، والحدادة، والقزدارة، والحلقة.

النمط الثاني :

له هيئتان هيئة بسيطة تشبه النمط الأول ولكنه مغطى بالأسقف الخشبية وعلى جانبيه مجموعة الحوانيت وسوق الفرامل والترك والطباخة والحرير، وهيئة مركبة تتمثل في تغطية الممر بالأقبية سواء أقبية ترتكز مباشرة على واجهة الحوانيت، وذلك في الأسواق التي يتسم الممرالرئيسي بها بأنه ضيق غير متسع، ومن هذه الأسواق سوق الرباع القديم وسوق القويعة.

أو أقبية ترتكز على بائكات جانبية تتقدم صفوف الحوانيت وهذه البائكات لها وظيفة معمارية تقوم بتقليل المساحة الأرضية المخصصة للتغطية بالأقبية حتى يتمكن المعمار من تغطية هذه المساحة المطلوبة بالقبو وذلك بشكل ناهض حتى يضمن له البقاء والاستمرار لأنه لو لم يلجأ إلى ذلك الحل المعماري لما تمكن من التغطية بالقبو، ولو استطاع سوف تصبح أقبيته ضحلة قابلة للسقوط والتهدم سريعاً.

ومن الفوائد المعمارية أيضا لهذه البائكات تخفيف الأحمال العلوية لبعض الأرباع السكنية التي وجدت فوق أجزاء من هذه الأسواق المغطاة مثل سوق الرباع القديم.

وهذه التغطية المقبية من شأنها تسهيل إزالة وتصريف مياه الأمطار، والحماية من شمس الصيف، ولكنها عملت أيضا من جهة أخرى على تقليل الإضاءة داخل هذه الأسواق، ولكن

المعمار قام بفتح مجموعة من المناور وهي مساحات مربعة في هذه الأقبية، ثم وضع أعلى هذه المناور فوانيس يفتح بها نوافذ، ومن ثم يستطيع التحكم فيها بالفتح أو بالغلق وهذه الفوانيس تعمل بالتالي على إضاءة وتهوية المكان من جهة أخرى حيث تقوم فتحة الملاقف بتجديد دورة الهواء داخل هذه الأسواق المغطاة ويأتي إغلاق هذه الفوانيس بنوافذ من باب حماية السوق من دخول مياه الأمطار إلى داخل السوق.

وهناك عنصر آخر ساعد على بقاء واستمرار هذه الأقبية وهو أن المعمار كان يدعم هذه الأقبية بمجموعة من العقود المستعرضة في باطن القبو لتعطي له تدعيم فضلاً عن أقبية الحوانيت التي كانت عمودية على القبو الرئيسي ومن ثم تعمل هي الأخرى بدورها على تدعيمه.

وهذه التغطية بصفة عامة من شأنها توفير الجو الملائم لكلا الطرفين التاجر والمشترى وإيجاد مكان آمن طقسياً للقيام بالأنشطة التجارية ومن ثم ضمان استمرار هذا النشاط على مدار العام.

وافتقر المعمار الطرابلسي إلى حنكة المعمار المصري في عدم استغلاله الطابق الأرضي لبعض المنشآت التي تفتح أبوابها على الممر الرئيسي للسوق مما تسبب في ضياع هذه المساحة التي تشرف بها، فضلا عن أنه ساعد بذلك على محاولة الاستغلال من قبل التجار لذلك المكان وذلك كما في واجهة مسجد محمد باشا (شائب العين) والتي حولت النافذة الثالثة على يسار الداخل للمسجد من المدخل الذى يصب في المسجد مباشرة، إلى حانوت وكذلك الحال في مسجد أحمد باشا القره مانللي استغلت بائكته التي يطل بها الرواق الذي يتقدم المدخل، على سوق المشير في عرض البضائع عليها فضلاً عن التعدي على هذا الرواق بإقامة حانوتين في الزاوية الشمالية منه.

هذا بالإضافة إلى اقتصار أجزاء كبيرة من هذه الأسواق على طابق واحد وهو المستغل كحوانيت، وكان من الممكن إنشاء مباني علوية معلقة على هذه الحوانيت كما في العمارة المصرية الإسلامية. وربما يرجع ذلك إلى أن هذا الطراز الذي بنى وفقه هذه الأسواق لم يكن في موطنه يعلوه طوابق علوية، هذا من جهة، ومن جهة أخري أن ظروف مدينة القاهرة القديمة وضيق المساحات المتاحة هي التي فرضت على المعمار هذه المعالجة.

وعند تحليل تخطيط هذه الأسواق نجد أنها خططت على غرار منشآت تركية عثمانية عرفت باسم البادستان والاراستا، أما البادستان فيرجع بداية ظهوره إلى العصر السلجوقي، وقد اشتقت هذه اللفظة من كلمة البز الفارسية الأصل(bez) ولا تزال هذه الكلمة مستخدمة حتى اليوم في تركيا للدلالة على نوع معين من النسيج القطني والصوفي، (وستان) وهى الموضع والمحل والمكان، وعلى ذلك تعنى الكلمة في الأصل البازار أو السوق المخصص لبيع الملابس

وبالتالي ظهر مصطلح بزستان أو بزارستان وتعنى بإزار الملابس وقد حرفت كلمة البزازستان إلى البادستان في القرن 11هـ/17م، وعلى ذلك فإن مصطلح البادستان يطلق على جزء أو قسم من البازاز (السوق) كان يخصص لبيع الملابس، بل أن بعض الخانات التي خصصت للغرض نفسه عرفت أيضا بالبادستان[10]،وتخطيط البادستان يتكون من مساحة مستطيلة لها مداخل محددة معقودة وتغطى هذه المساحة الأروقة المتقاطعة وعبر بائكات بعقود موازية وعمودية مما يسهل إيجاد مساحات مربعة في السقف تسمح بالتغطية بالأقبية (المتقاطعة) أو القباب، ويلتف حول جدران هذه المساحة المستطيلة مجموعة الحوانيت.

ومن أشهر وأبدع هذه النماذج بادستانأدرنة شكل(1) والذي يرجع تاريخ إنشائه إلى عصر جلبي سلطان محمد (816 – 824هـ/1413–1421م) وقد وقف ريعه على المسجد العتيق في أدرنه ويتكون من مساحة مستطيلة مغطاة بـ 14 قبة وقد اصطفت على الجانبين مجموعة الحجرات بواقع 12 حجرة بكل ضلع من الأضلاع الطولية، أما العرضية فيحوى كل ضلع 6 حجرات ويغطى الحجرات أقبية ويلتف حول البادستان من الخارج من الأربع جهات مجموعة الحوانيت ،ويفتح البادستان أربعة أبواب محورية[11]

ويوجد أيضا في استانبول ثلاثة بادستانات أقيمت خلال عصر السلطان الفاتح (855–886هـ/1451–1481م). وهى البادستان القديم، وصندل بادستان، وجلطة بادستان[12] .

ويتمثل البادستان في أسواق طرابلس في سوق الرباع الجديد (اللفة) ووظيفة هذا السوق الخاصة بيع الملابس.

غير أن المعمار عدّل في التخطيط فلم يجعل المساحة الوسطى المغطاة بالأروقة ذات مساحة أرضية واحدة وإنما جعلها على ثلاثة أقسام ،وحتى يستطيع أن يفتح أكبر عدد من الحوانيت يعوض بها المجموعة التي من المفروض أن تكون على واجهة السوق كما في البادستان التركي والذي دعاه لهذا التعديل أن المساحة المتاحة والتي رغب المنشئ في استغلالها لكونها قريبة من منطقة الأسواق والنشاط التجاري المزدهر ليست ذات واجهات حرة، ومن ثم كانت هذه المعالجة والتي تمثلت في أن ينشئ مجموعة حوانيت مستديرة في الوسط والتي من شأنها زيادة عدد الحوانيت ،وأيضاً تقليل المساحة المغطاة بالأقبية ،وفتح ممرات تصل بين هذه الأروقة الثلاث.

غير أن عناصر البادستان واضحة وهى الأوجه المتقاطعة المغطاة بالأقبية المتقاطعة التي ترتكز على البائكات الجانبية التي تحمل عقود موازية وعمودية، وكذلك توجد أربعة مداخل صريحة ومحورية. وقسم من حوانيت الواجهة يشرف بها على سوق الصياغة.

أي أنه يمكن القول في هذه المعالجة بأن المعمار جمع فيها بنى البادستان وبنى الآراستا التي سيأتي الحديث عنها ،وذلك في اصطفاف الحوانيت الداخلية. وبذلك فقد أخذ الأروقة المتقاطعة من البادستان واصطفاف الحوانيت بشكل مستقيم من الآراستا.

أما الآراستا فذات طراز مختلف وقد تبنى من الحجر، أو من الآجر ،وغالباً ما تسقف بالأقبية ،وأحيانا بالقباب ،وفي أحيانا أخرى تبنى بالخشب وفي هذه الحالة يكون الشارع الذي يتوسط الحوانيت يترك مكشوفاً، وقد تبنى مستقلة أو تلحق بغيرها من العمائر، من أبدع النماذج الباقية تلك الملحقة بالمجمعات المعمارية، ومن أمثلتها مجمع سوكللو محمد باشا في لولى بورغار 956هـ/ 1549م، وشارعها أو الممر الرئيسي ينتمي إلى النوع غير المسقوف والقسم الأكبر منها يمتد على خط مستقيم[13]، وهى محصورة بين المدرسة والجامع وبين الخان[14].ومنها الآراستا الملحقة بمجمع السلطان مراد الثالث بأدرنه 982-1004هـ/1574-1595م[15]، والآراستا الملحقة بمجمع السليمية في أدرنة شكل (2)

أما الآراستا الملحقة بمجمع الوالدة الجديد في استانبول الشكل(3) فتعد أبدع وأروع النماذج الباقية، وقد اشتهرت منذ أواخر ق 11هـ/17م باسم السوق المصري، وجاء تخطيطها على هيئة حرف (L) ،وتشتمل على أربعة مداخل كبيرة رئيسة ومدخلين فرعيين ،والشارع الذي يتوسطها اتخذ نفس هيئتها وهو مسقوف بسقف مقبى يرتفع فوق مستوى الجدران، تصطف على الجانبين الحوانيت والتي يبلغ عددها 82 حانوتاً إضافة لـ 18 حانوت توجد على جزء من واجهته أيضاً، وتشتمل هذه الآرستا على مربعة الصلاة عند نقطة اتصال الشارعين ببعضهما[16] ومن النماذج الملحقة بالخانات آراستا غازي خسروبك في سراييفو حوالى 947هـ/1540م الملحقة بخان **TASLI**شكل(4) وتتكون من الحوانيت المصطفة على جانبي الممر الرئيسي أو الشارع بالإضافة لحوانيت الواجهة،[17] ونصل إلى الداخل عبر المداخل التي فتحت بالضلع الطولي والعرضي.

ومن النماذج المستقلة آراستا أدرنه المعروفة ببازار على باشا 977هـ/1569م وقد بناها قوجه معمار سنان ويبلغ طولها 300م وتشتمل على 6 مداخل تفضي إلى الممر الرئيسي الذي تصطف على جانبيه الحوانيت[18]شكل (5)

وتتمثل الآراستا في أسواق طرابلس في سوق الترك ،والعطارة ،والرباع القديم، الصياغة، والحلقة ،والطباخة والحرير ،والمشير والقزدارة أي جميع الأسواق التي تتكون من ممر رئيسي أو شارع مكشوف أو مغطى ،وتصطف على جانبيه الحوانيت بشكل منتظم، ويدلنا هذا التخطيط المتفق مع نظيره التركي العثماني على أن هذا الطراز وافد على العمارة الليبية في هذه الفترة أي أن واضع التصميم هو مهندس تركي ،أو أكثر، أما الذى قام بعملية البناء فكان من المعماريين المحليين الذى بني وفق طراز بيئته وما تحويها من مواد لازمة لعملية البناء والتشييد.

وعلى ضوء المقارنة بين تخطيط وطراز المساجد العثمانية في تلك المدينة والتي ترجع لنفس الفترة مثل جامع أحمد باشا القره ماناللي ومحمد باشا شائب العين نجدها تتبع طراز المساجد العثمانية في مدينة بورصة، أي أن من وضع تصميمها هو الآخر مهندس تركي. ومن هنا نلاحظ اتجاه الولاة العثمانيين إلى الطراز السائد في مقر الخلافة ،وتنفيذه في الأقطار المولين عليها.

ثانيا: الفنادق

عرفت الأقطار الإسلامية نمط من العمائر المتعلقة بالنشاط الاقتصادي وهو النزل ،أو مقر إقامة التجار وبضائعهم، وتلك المنشآت أقيمت في محط الرحال والأماكن الخاصة بمرور القوافل، أي أنها كانت بمثابة محطات تجارية سواء خارج المدن أو داخلها.

غير أن هذا النوع من المنشآت قد عرف بأسماء مختلفة في مختلف البلدان ،ومن أبرزها مصطلح خان، قيسارية، فندق، تيم، دار التجار، دار البطيخ، كروان سراي، وغيرها[19] .

وقد تنبه المقدسي إلى أن مسميات المنشآت التجارية هي من الأشياء التي يختلف فيها أهل الأقاليم، فذكر منها في مقدمة كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "فندق، خان، تيم، دار التجار" علاوة على ما أورده في ثنايا كتابه من مصطلحات أخرى[20].

ومن ثم فهي منشآت تتفق في وظيفتها ،وهى كونها مكان ينزله التجار للإقامة ،وأيضا لعرض بضائعهم الخاصة، وأيضا تتفق في الوحدات المعمارية التي يقوم عليها تخطيط الفندق والتي سأعرضها لاحقاً.

وهذا الأمر تعكسه كتابات الرحالة فضلاً عن النصوص الأثرية الباقية.

أما الأمر الأول وهو الكتابات والتي تعد أحد المنابع والمصادر الهامة في شتى المجالات التاريخية والحضارية ،والتي ضمت مشاهدات عامة تشمل كل ما يمكن أن يقال عن البلد المزار من سائر نواحيه العمرانية والجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وقد تضمنت هذه الكتابات العديد من المصطلحات الخاصة بغالبية أنماط العمارة والعمران في الأقطار الإسلامية المختلفة، والتي من بينها المنشآت التجارية ،والتي وردت بمصطلحات مختلفة.

ومما له دلالته في هذا الصدد أيضا أن هذه المصطلحات تكاد تكون متطابقة ،لاسيما إذا كان الرحالة مشرقي ويقوم بزيارة لأقطار المغرب العربي فنجده يصف هذه المنشآت وفق المصطلحات المشرقية، والعكس عندما يكون الرحال مغربي يصف هذه المنشآت وفقاً للمصطلح المغربي السائد في بلده.

لم يقتصر الأمر على ذلك بل أنه في أحيان كثيرة كان الرحالة لا يكتفي بالإشارة إلى المصطلح المتداول والشائع في بلده فحسب ،وإنما كان يشير أيضاً إلى ما يقابله في البلاد

الأخرى أثناء زيارته لها سواء كان متفقاً معه أو مختلفاً عنه أو مرادفاً له؛ ومنها الرحالة المغربي ابن بطوطة حيث يذكر" وبكل منزل– أي مرحلة - منها فندق وهم يسمونه الخان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه لنفسه ودابته".

ويستدل من هذا النص على أن مصطلح الفندق الذى كان ولا يزال شائعاً ومتداولاً في المغرب يرادفه ويقابله في مصر مصطلح الخان الذى كان متداولاً بمصر في وقت زيارة ابن بطوطة لها في عام 726هـ/1325م.، وهو ما يتفق مع ما ورد في النصوص التأسيسية للمنشآت التجارية التي ترجع إلى هذه الفترة ،ومن أبرزها منشأة قوصون بشارع الجمالية قرب باب النصر، والتي لم يتبق منها سوى مدخلها الرئيسي المسجل عليه اسم هذه المنشأة بصيغة "أمر بإنشاء هذا الخان المبارك" ويؤرخ هذا الخان بعام 736هـ/1335م أي بعد زيارة ابن بطوطة بما يقرب من عشر سنوات[21]أي أن الخان في المشرق الإسلامي يعادل كلمة الفندق في المغرب الإسلامي[22] هذا ما ورد في كتابات الرحالة، وهو ما تؤكده المصادر التاريخية فضلاً عن النصوص التأسيسية الباقية، فنجد فندق القرقني 1273هـ/1856م، والذي يقع في سوق الصياغة ،أي داخل أسوار مدينة طرابلس نقش بنصه التأسيسي مصطلح الخان "فإن مررت بهذا الخان..." ، وفندق الهنشيري 1301هـ/83–1884م نجد نصه التأسيسي ينعت المنشأة بمصطلح فندق.. أقام هذا الفندق..." وهو يقع بسوق الترك أي داخل أسوار المدينة أيضاً.

وبما أن كلا المنشأتين لهما نفس التخطيط بعناصره التقليدية، فلا فرق بين المصطلحين فيما يتعلق بمنشآت طرابلس في هذه الفترتين العثمانيتين لاسيما وأن الفارق الزمني ليس كبير بينهما، غير أن هذا المصطلح الأخير لم يكن له صفة الانتشار في المغرب بقدر ما كانت له في المشرق.

وجاء موقع هذه الفنادق في مواقع مناسبة للقيام بوظيفتها الأساسية، فجاءت داخل أسوار المدينة القديمة بجوار الأسواق الرئيسة بل وتفتح مداخلها عليها، من هنا سهل على التجار الإقامة في مكان قريب من الحوانيت المخصصة لعرض بضائع الحوانيت ،فضلاً عن استخدام بعض الحواصل في هذه الفنادق لتخزين البضائع، وهي في ذات الوقت قريبة من الميناء الرئيسي لطرابلس، أي قريبة من البحر، ومن ثم تسهل عملية نقل التجارلبضائعهم القادمة من البحر وتخزينها لبضائعهم لحين عرضها.

وظيفة الفندق:

من المعروف أن طرابلس كانت منذ القدم نقطة انطلاق هامة في مجال التجارة نحو أفريقيا ،ولموقعها أهمية عظمى بوصفها أقصر الطرق باتجاه السودان ودواخل أفريقيا ،ولذا من الطبيعي أن تصبح المدينة من أكبر المستودعات للبضائع التي تجلبها القوافل كالعاج ،وريش

النعام ،والجلود ،والبخور، وبعض المنسوجات ليعاد تصديرها عن طريق البحر إلى أوروبا ،وفي الوقت نفسه تقوم طرابلس أيضاً بتصدير البضائع المستوردة من أوروبا إلى أفريقيا ،ولاسيما المنسوجات القطنية، والملابس الصوفية ،والمناديل الحريرية ،والشاي ،والقهوة ،والسكر، والمرايا...الخ[23] .

ولما كانت طرابلس هي همزة الوصل الطبيعية بين أوروبا وأفريقيا[24]فمن البديهي أن تحظى المدينة بفنادق كبيرة لتخزين البضائع ،أو بيعها ،والتي تنقل إليها بواسطة السفن عن طريق البحر، أو عن طريق قوافل الجمال وقد ترك لنا الرحالة الألماني المشهور هنريشبارث"HeinrichBarth" خلال رحلته التي قام بها من المغرب إلى مصر سنة1263هـ/ 1846م وصفاً لإحدى القوافل القادمة من غدامس وكانت المدينة قد استعدت لاستقبالها قبل ساعات ،وهى تتألف من ألف جمل محملة بالتبر ،واللؤلؤ ،والزعفران ،والتوابل ،وريش النعام والعبيد والعاج ،وقد سدت هذه القافلة كل طرق المدينة لبضع ساعات[25].

ويتضح من مذكرات الأوربيين الذين زاروا طرابلس وغيرها من ولايات الدولة العثمانية في أوقات مختلفة بأن جميع السفن والقوافل التجارية التي تقصد المدينة توزع حمولتها على الفنادق بعد استيفاء الرسوم المقررة من قبل دائرة الجمارك الواقعة خارج أسوار المدينة[26].

ويجئ اختيار الفندق على حسب نوع البضائع التي يحملها التاجر، أي وفق التخصص، لأن بعض الفنادق متخصصة ببيع نوع واحد من البضائع كفندق الزهر الذى كانت تجمع فيه الأحمال الثمينة الفواحة من الزهور وتبعث إلى استانبول لاستخلاص عطرها[27] وفندق الحصر الذي كان يودع فيه تجار تاورغاء وتاجوراء الصناعات الشعبية من الحصائر[28] والمضفورات[29] فضلاً عن مجموعة أخرى اشتهرت بتجميع وتسويق السلع والمنتجات كالزيوت والسمن والأردية[30] .

ويفضل بعض تجار القوافل امتلاك أحد فنادق المدينة على سبيل الاستثمار، أو لتخزين بضاعة وسلع التجار الآخرين ،ومن أهم فنادق طرابلس التي تحمل أسماء ملاكها من تجار القوافل فندق زميت (الضفايري)[31]، أو على أساس عرقي كفندق علي القره ماناللي الذى أصبح في وقت من الأوقات خاص بالبنادقة، وكذلك فندق الدروز الذي اختص بإيواء الجند الدروز ممن أحضرتهم الإدارة التركية في العصر العثماني الثاني[32] .

وقد شملت وظيفة الفندق النواحي المهنية ،والتجارية ،والسكنية ،فمعظمها يقوم مقام النزل والسوق التجارية في آن واحد، حيث يكون الطابق الأرضي معد لنزول القوافل، فيتسع لجميع البضائع، أما الطابق العلوى فيستخدم عادة لسكن المسافرين والتجار يقيمون فيه إلى حين تصريف البضائع التي تعرض على تجار المدينة بوساطة السماسرة والدلالين، الذين لهم دور كبير في ترويجها، وهناك طريقة أخرى لعرض البضائع وبيعها بالجملة بسوق الترك

المتخصص بالأقمشة والملابس قدمها لنا الرحالة كاوبرعام1313هـ/ 1895م "وحين يجرى المزاد العلني فإن المشهد يكون مثير للاهتمام "إذ يركض النساجون في السوق، وهم يحملون (البرقان) الجرود على أكتافهم ،ويصرخون معلنين آخر العطاءات".

وبعيدا عن التجارة أقام الأتراك في القرن السابع عشر الميلادي عدة فنادق خاصة بإيواء جيش الإنكشارية.

وتفتقر فنادق طرابلس إلى الخدمات الضرورية بسبب خلو غرفها من الأثاث سواء كانت موائد، وأسرة، أو كراسي، ومقاعد "فحين يصل المسافر الغريب ينفض رجل من أهل البلد الغبار عن أرض الغرفة، ثم يفرد حصيراً وهي الأثاث الوحيد، ثم ينصرف وتصبح الغرفة تحت تصرف ذلك القادم الغريب."

ومن المعتقد أن بعض النزلاء في هذه الحالة يضطرون إلى جلب فرشهم معهم وما يحتاجونه من لوازم تعينهم على الإقامة ،كما هي الحال في أغلب فنادق المدن التي دارت في فلك الإمبراطورية العثمانية كبغداد والموصل وحلب[33].

وهذه الملاحظة تنطبق على العديد من المدن في الشمال الإفريقي، ومنها مدينة فاس التي وصفها الحسن بن محمد الوزان بأنها تحتوى على مائتي فندق بنيانها في غاية الإتقان، إلا أنها تمثل سكنا كريهاً لخلوها من الأسرة والفرش فصاحب الفندق لا يقدم للشخص المستأجر سوى غطاء وحصيره ينام عليها[34].

ومن البديهيُ أن يكون للخان أو الفندق نظام يفرض من قبل الإدارة التي يشرف عليها عادة القيّم[35]وتسمية بعض المصادر العربية بالخاني[36](حصراً على الخان) ويكون مسؤولاً على سلامة التجار وحماية البضائع، وفي بعض الأحيان يكون مسؤولا على حفظ الأموال لا سيما في الخانات التي توافرت فيها أماكن لإنجاز بعض الأعمال المصرفية حيث يودع التجار أموالهم كما هى الحال في خانات مصر،[37]وسماسرة صنعاء[38] .

ولما كانت معظم الفنادق في المدينة العربية ملكا للولاة والحكام أو التجار ذوي النفوذ وأن يكون للفندق أو الخان متولي مسؤولاً عن حساباته بوصفه وكيلاً شرعياً ينوب عن صاحبه الأصلي، وفي حالة كون الفندق وقفاً على مؤسسة دينية أو مدنية فإن وظيفة المتولي هو توزيع ربح الفندق بموجب ما جاء في نص الوقفية ويبدو أن للمتولي مهمة أخرى هى مراقبة المبنى والمحافظة عليه فهو المسؤول عن ترميمه وصيانته وهو الآمر بالصرف بعد موافقة الجهات المعنية طبعا[39] .

ومن الطبيعي أيضاً أن يكون للفندق حارس أو بواب يسهر على حماية النزلاء وبضائع التجار من اللصوص والمحتالين ويحكم غلق الأبواب ليلاً ولا يسمح بالدخول إلى الفندق قبل آذان المغرب كما لا يسمح منه قبل آذان الفجر[40] ، لذلك فهو ينتظر ممن ينزلون في غرفة أن

يتركوا لـه عنـد المغادرة بعض الهدايا أو النقود[41] ويقوم الحـارس أو كما يسميه الطرابلسيون (عساس الفندق) بمطالبة النزيل بأجرة الكراء عند مغادرته الفندق[42] .

ومادمت أتحدث عن الوظيفة لابد من الإشارة إلى أن فنادق طرابلس قد تغير استعمالها ابتداء من أوائل القرن العشرين بسبب توسع النشاط التجاري الذي تطلب أسواقا جديدة تفي باحتياجات التجار فضلا عن الرغبة في الإقامة بالفنادق الحديثة بوصفها تؤدى خدمات متميزة فشغلت حجراتها وأروقتها وصحونها بالحاكة والخياطين، وبعضها اختص بصياغة المعادن الثمينة والأحجار الكريمة[43] ، ليس هذا فقط بل أصبحت بعض الفنادق خلال فترة الاحتلال الإيطالي مدارس لتعليم الحرف والصناعات المحلية وبعضها تحول إلى مقاهي ومحلات تجارية متنوعة ،وبعضها تحول إلى أماكن لوضع النفايات[44] .

ومهما يكن من أمر فقد قدر الباحثون45 عدد الفنادق القائمة في مدينة طرابلس في أواخر العصر العثماني بخمسين فندقاً، ولا عجب في ذلك إذا صدقنا المعلومات الواردة في تقرير أحمد راسم باشا(1299-1314هـ/1881-1896م) بخصوص أحوال ولاية طرابلس والمرفوع إلى الأستانة عام (1309هـ/1891 م) وقد استعرض فيه أهم الإنجازات العمرانية في عهده ،ومنها عشرين فندقا شيدت من قبل الأهالي والتجار[46] ويبدو أن الكثير منها قد زال أثناء الاحتلال الإيطالي نتيجة لتوسيع الشوارع ،وفتح أخرى جديدة ،والإهمال، ومشاريع الإملاء الحضري علاوة على التقادم وكوارث الطبيعة، مع ذلك يستطيع الزائر مشاهدة أمثلة مازالت شاخصة في المدينة القديمة يربو عددها على خمسة عشر فندقا معظمها شيد في 12-13هـ/18-19م، غير أن هذه النماذج لم تكن بمنأى عن أعمال التجديد والإضافة والتخريب التي غيرت معالمها الأصلية كلاً أو جزءاً.

تخطيط الفنادق:

وجاء تخطيط هذه المنشآت التجارية بشكل يسمح معه بحرية الانتقال والتحرك داخل المبنى فضلا عن القيام بوظيفته الأساسية وهى السكن وإقامة التجار سواء من أهل البلاد أو التجار الأجانب، وأيضا سهولة تخزين البضائع الواردة إليه وعرضها ،وكذلك الاتساع الذي يتناسب مع عدد التجار القاطنين في هالة هذا الفندق، وإضافة للمترددين عليهم من الدلالين والسماسرة أو وسطاء البيع والشراء.

وبناء على هذا التخطيط الذى يخدم تلك المتطلبات يمكن تقسيم فنادق مدينة طرابلس والتي عرضنا لها من حيث الوظيفة إلى قسمين أو نمطين، قسم مخصص للسكنى والإقامة فقط ،وقسم مخصص للسكن والتجارة.

أما القسم الأول فاتسمت وحداته بالقصور على الناحية العملية فقط من حيث تأديته لهذه الوظيفة، فجاءت المداخل صغيرة مباشرة، ويغلق على هذه المداخل أبواب خشبية صغيرة من دلفتين وهى مرتبطة بالوظيفة القاصرة على دخول وخروج أشخاص فقط. وتفتح على دهاليز طويلة ضيقة. ثم جاءت الصحون بالرواق المحيط بها والبائكة، ومن خلف الرواق توجد المساكن والتي تتسم بأن مداخلها يجاورها نوافذ لاسيما المساكن التي ليس لها أشراف على الواجهات الخاصة بالفندق وتقتصر هذه المساكن أحيانا على طابق واحد كفندق مادي حسان.
غير أن هناك بعض الفنادق التي وجد لها مداخل منكسرة ومن ثم فهي دهاليز وليست دركاوات كفندق أبو دلغوسة وذلك لأن هذا الفندق كان مخصص فقط لإقامة التجار في الطابقين الأرضي والعلوي وهو ما تؤكده النوافذ التي تجاور مداخل مساكن الطابق الأرضي التي تفصح عن وظيفة هذه الحجرات.

أما بالنسبة للدهليز المنكسر الموجود في فندق بعيشو والهنشيري فلا يمكن الترجيح أنها كانت لنفس السبب السابق، وذلك لكون هذان الفندقان قد أصابهما الكثير من التعديلات التي غيرت تخطيطها لاسيما مدخلهما ومن ثم هذا الانكسار لا يعود لفترة الإنشاء. وإن كنت أرجح أن وظيفتهم اقتصرت على السكن والإقامة فقط وذلك لصغر حجمهما، ويندرج فندق الطولوني في القسم الأول ،الذي اختزل فيه المعمار الرواق المحيط بالصحن لصغره وكذلك قام بإضافة صحن ثاني آخر إلى الخلف من الأول، وذلك حتى يقوم بعمل واجهات جديدة داخلية لمساكن هذا الفندق لكونه محاط بالأبنية من جهتيه الطوليتين ومن ثم نجد أن مساكن الطابق الأرضي أغلبها يوجد بها نوافذ بجوار مداخلها.

وأيضا اختزل هذا الرواق الأرضي في فندق الغدامسي لصغر مساحة الصحن، ونفس الأمر في فندق سيالة.
وهذه الاختزالات لعنصر الرواق الأرضي ببائكته وهو أحد العناصر الإنشائية الهامة في تخطيط الفنادق جعل المعمار يفكر في حلول معمارية بديلة لتأدية نفس وظيفة هذا العنصر المختزل، فما كان منه إلا أن جعل الممشى العلوي مقتطع من المساحة المخصصة للمساكن ومن ثم جعل واجهته المشرفة على الصحن بالبائكة تأتي على حافة جدران الصحن الأربع وذلك كما في فندق أبو دلغوسة، أو أن يقوم بعمل ممشى علوي يرتكز على أعمدة خشبية بسيطة كما في فندق سيالة، أو أن يجعل هذا الممشى معلق بين ضلعين بحيث يمكّنه من أداء وظيفته، وهى الوصول إلى المساكن العلوية، وذلك هو الذى نفذه في فندق الغدامسي.
أما القسم الثاني وهو المخصص للسكن والتجارة فيتميز بمداخل كبيرة متسعة ميزها المعمار بأن جعلها معقودة بعقود نصف دائرية كبيرة ويهتم بواجهتها فيزخرفها بزخارف مختلفة ومداخل هذا القسم تتميز بأنها تكاد تتفق في هذه الهيئة المعمارية.

ويغلق على هذه المداخل أبواب خشبية ضخمة والتي من شأنها زيادة تحصين المكان وقت إغلاقه لتأمين ساكنيه وما يوجد به من البضائع، ومن ثم تتسم بالصلابة، حيث تصنع من كتل خشبية قطع واحدة تشد إلى بعضها البعض عبر عوارض خشبية داخلية، ويخلو هذا النوع من الأبواب عادة من الإطار الخشبي الذي تغلق عليه الظلفتين، ويغلق كل من المصراعين أو الظلفتين بكلاليب حديد خاصة تصنع محلياً لهذا الغرض يثبت احدهما بطرف المصراع من جهة الجدار والآخر على شكل حلقات مثبتة في البناء ،والكلاليب تعمل عمل المفاصل التي بواسطتها يتم تحريك المصراعان.

وظهر عنصر الخوخة وهو الباب الصغير في أحد مصراعي هذا النمط من الأبواب، وكان يستخدم وقت إغلاق الباب الكبير والذي يصعب فتحه وغلقه كلما أراد أحد أن يدخل أو يخرج للفندق، لذلك وجد هذا العنصر في كل أبواب فنادق هذا القسم الخاص بالسكن والتجارة، وهذا العنصر من شأنه أيضا التحكم في دخول ومرور الأشخاص لكونه يسمح بمرور شخص واحد ،ومن ثم التعرف على هويته، ووجهته ،ومتطلباته قبل الدخول إلى الفندق.

وارتبط بكتلة المدخل غرفة تفتح مدخلها على دركاه الدخول وكانت مخصصة للحارس أو الشخص الذي يقوم بمراقبة المكان ومن ثم يكون قريباً من مدخل الفندق حتى يسهل عليه القيام بهذه المهمة. وكذلك وجد بالدركاه الدرج الصاعد الذى يؤدى للطابق العلوى كما في فندق الزهر وزميت (الضفايري) والحواص والفوانيس.

ومن ثم أضحت هذه المداخل الضخمة التسعة والمعقودة من جهة أخرى، علماً على وظيفة الفندق الجامعة على الإقامة والتجارة متمثلة في التخزين والعرض والقيام بعمليات البيع والشراء، عكس لو كانت هذه المداخل ضيقة وتفتح على دهاليز طويلة، ومن ثم تصبح هذه الفنادق مخصصة للإقامة والسكن فقط ،حيث لا تتسع مداخلها إلا للأشخاص دون الدواب التي تحمل البضائع.

وتفتح هذه المداخل على دركاوات مستطيلة متسعة وذات أسقف مرتفعة تغطى بأقبية حتى تتحمل الأدوار العلوية نتيجة لاتساعها. كما يفتح بهذه الدركاه أيضاً مدخل بسلم صاعد للطابق العلوي حتى يسهل للمترددين أو القاطنين الطابق العلوى بسهولة الدخول والخروج دون إعاقة هؤلاء من الشاغلين للطابق الأرضي.

وتفضي هذه الدركاه إلى صحن الفندق، وهو صحن كبير حتى تتسع لدواب القوافل وتسهل مهمتها في انزال حمولتها، ونتيجة لاتساع هذه الصحون وجدت العناصر المعمارية المرتبطة به، وهو الرواق الداير، وواجهته المتمثلة في البائكة ،ومن وراء هذا الرواق توجد الحجرات التي أصبحت هنا كحواصل للتخزين، أو حواصل للتجارة ،ومن ثم لزم جعلها في هذا الطابق. وتتسم

حواصل الطابق الأرضي بوجود مداخل فقط لكونها تستخدم للتجارة وأحياناً تأتي طاقة صغيرة أعلى مداخلها للتهوية، من فنادق هذا القسم فندق القرقني والزهر وزميت والخواص والطوبجية، وهذا التقسيم يؤكده هذا الاتفاق المعماري– لاسيما– في المداخل وأيضا في التخطيط وتوزيع الوحدات ومعالجة توزيعها داخل المنشأة وهو ما نراه في فندق زميت، وفندق الزهر، حيث التشابه إلى حد كبير في التخطيط ،وهو تشابه يحمل معه ترجيح بأن يكون المهندس الذي وضع التصميم واحد، وهو تصميم معد وملائم لتلك الوظيفة.

وكذلك تشابه التخطيط والعناصر المعمارية بين فندق القرقني والزهر، ويرجح أيضاً أن يكون واضع التصميم واحد، فالتخطيط والعناصر المعمارية لهذا القسم من الفنادق والخاص بالإقامة والتجارة يكاد يكون موحد صالح لتأدية الوظيفة المنوط بها.

ويمكن إجمال التخطيط العام في اشتمال الفندق على طابقين وواجهة بسيطة يفتح بها في المستوى السفلى مجموعة من الحوانيت التي تستغل ريعها مع الدخل الناتج من عملية استئجار التجار للمساكن في الصرف على المنشأة وصيانتها، ورواتب العاملين بها.

وبالواجهة مدخل معقود يفضي لدركاه هي مغطاة بقبو متقاطع أو نصف دائري، وعلى أحد جوانب الدركاه يوجد الدرج الصاعد للطابق العلوي، وعلى جانب الدركاه كانت توجد حجرة أو اثنين تستغل إحداهما لإقامة حارس الفندق والقائمين على إدارته ،والأخرى تستغل لغرض وظيفي داخل الفندق كبيت للقهوة.

وتفضي الدركاه للصحن الأوسط المكشوف الذي يعتبر هو محور التخطيط والذى اتخذ في الغالب الشكل المستطيل ويتوسط بعضها فسقية أو فوارة لاسيما في فنادق السكن فقط.

ويحيط بهذا الصحن من ثلاث أو أربع جهات رواق يشرف على الصحن ببائكه معقودة بعقود نصف دائرية أو حدوية. وتوجد خلف الرواق الحواصل في الطابق الأرضي والتي لها مداخل تفتح على الرواق؛ وهى حواصل مقبية سهلة المراقبة والغلق والتهوية[47] .

أما الطابق العلوي فتردد للأرضي، حيث استغل سقف الرواق كأرضية للرواق العلوي الذي تطل عليه مساكن هذا الطابق، والذي يطل رواقه على الصحن أيضا ببائكة معقودة بعقود نصف دائرية، وتفتح مساكن هذا الطابق على الداخل بمداخل ويجاورها نوافذ وأحيانا كانت تفتح هذه النوافذ على الواجهات. وكان يغلق عليها حجاب معدني خارجياً، ومصراعين من الخشب داخلياً.

كما اشتمل الفندق على المرافق الرئيسة والضرورية مثل بيوت الخلاء، وأحياناً حمامات صغيرة في بعضها، وذلك لكون هذه الفنادق توجد بالقرب من الحمامات العامة في المدينة. وجاء تخطيط بعض هذه الحمامات الملحقة بالفنادق بتخطيط مصغر للحمامات العامة، حيث

نجد الثلاث وحدات –البارد والدافئ والساخن– تتفرع من بعضها البعض، وذلك كما هو الحال في فندق سيالة والطوبجية، والبعض الآخر جاء تخطيطها بسيط.

أما عن مصدر المياه داخل هذه الفنادق فكانت هي الآبار الجوفية فضلاً عن بعض الأحواض والصهاريج الصغيرة.

ويلحق بها كذلك مطابخ ولكن لا يوجد نص عن كيفية تقديم الطعام للقاطنين في فنادق طرابلس، وربما كان يسمح للساكن أن يطهو لنفسه ما يريد أو أن هناك من يعد له الطعام مقابل أجر أو أن يشتري هو الطعام ويقدمه للطباخ كما في بعض فنادق مدينة فاس[48]

كذلك وجد في هذه الفنادق بيوت للقهوة صغيرة، كانت تشغل حيزاً من المجاز و جانباً من الصحن[49] .أما فيما يتعلق بإصطبلات الدواب من الجمال والجياد فلم يظهر بتخطيطها مساحة خصصت لهذه الوظيفة، ومن المحتمل كان لها أماكن خاصة بها خارج منطقة الأسواق وذلك حتى لا يتأذى من مخلفاتها قاطني الخان، لاسيما وأنه يقع بداخل المدينة.

وأصول تخطيط الفنادق في المغرب والأندلس شرقية[50] ،وهى مقتبسة من تخطيط الخان المشرقي والذى كان يبنى في خارج المدينة أو داخلها،[51] وكان يدعم بأبراج في واجهاته وله مدخل وحيد، ويتكون المبنى في الداخل من عدة طوابق تلتف حول صحن أوسط مكشوف والطابق الأرضي عادة يتكون من حواصل لحفظ وتخزين التجارة، في حين خصصت الطوابق العلوية لإقامة التجار، وكان يلحق به مسجد أو مصلى[52].

وأبرز نماذج هذه الخانات ما بني في الأناضول في عصر السلاجقة، وهذه الخانات بنيت على مراحل الطرق في أواسط آسيا من شرق العالم الإسلامي حتى الأناضول، أي طريق الجزء الذى ربط شرق آسيا بالبحر المتوسط.

ومن أبرز نماذج هذه الخانات ما بني في الأناضول في عصر سلاجقة الروم، وعرفت في بداية الأمر باسم الربط لكونها محط الرحال، وأماكن لمرابط دواب القوافل، ثم ساد مصطلح خان وتنقسم خانات الأناضول إلى نمط بسيط من وحدة واحدة، يتكون من صحن مكشوف ويلتف من حول الصحن ظلة ذات بائكة والأضلاع الداخلية للرواق توجد للحجرات ولها سقف مقبى مثل خان إغدير، وخان ماهي وألارا[53].

أما النمط السائد فهو المركب المكون من وحدتين وحدة صغيرة مغطاة، وحدة أكبر مكشوفة بها الصحن، وحوله الرواق والحجرات، ومنه خان كرتلوتبه شهر[54]وقره طاى خان، وسراي خان، خان السلطان بقيصريه، وارتق خان، وآق خان وخانون خان وغيرهم[55].

واستمرت هذه الخانات أيضاً في الأناضول في العصر العثماني، ولم يخرج تخطيطها عن الطراز التقليدي وتشتمل غالبا على طابقين أرضي وعلوي ،والأرضي يتوسطه صحن مكشوف تلتف حوله الأروقة غالباً وبدونها أحياناً، وتشغل الأضلاع الداخلية لتلك الأروقة الحجرات التي

تغطى بالقباب أو الأقبية، ويتقدم غرف الطابق العلوي رواق لذلك [56]، ومن أشهر هذه الخانات الوالدة خان في استانبول شكل (6) وهو خان مركب من ثلاثة أقسام[57]، وخان رستم باشا بأدرنه[58].

وقد عرف أهل الشام هذه المنشآت باسم الخان،[59]وذلك قبل ق 5 هـ/11م على حد قول ابن بطوطه وابن جبير، وانتشرت هذه التسمية هناك بينما يذكر ابن منظور في قاموسه "أن الفندق في مصر عند أهل الشام يساوى الخان"، وهو فارسي معرب ،والتي ينزلها التجار والتي توجد في الطرق والمدائن"[60]. وأورد ابن جبير العديد من أسماء هذه الخانات في رحلته[61] .

كما عرف الشام أيضاً مصطلح آخر للمنشآت التجارية وهي القيساريات[62] ، وهي من المنشآت التجارية التي من المرجح أنها تشبه في تخطيطها الفندق .

فقد ذكر ابن جبير أن قيساريات الموصل كانت كبيرة كالخان العظيم ، تحتوي على مداخل عدة عليها أبواب حديد تغلق ليلاً وفي داخلها أسواق فرعية، وفي ظاهرها محلات تجارية وفيها بيوت للسكن [63].

كما أشار ابن دقماق الي قياسر الفسطاط أنها تشبه الخانات أو الفنادق من حيث التصميم فتخطيطها مربع ،أو مستطيل موزع على طابقين ، بني الطابق الأرضي على شكل حوانيت متجاورة تفتح على صحن واسع، ولها حوانيت أخرى في ظاهرها تنفتح على الأسواق المجاورة ويشغل صحن القيسارية في بعض الأحيان بمصاطب يستخدمها أصحاب المهن الخدمية البسيطة كالخياطين أو غيرهم ، أما الطابق العلوي فيكون في العادة مخصصاً لسكن التجار الغرباء [64] .

و عرفت أيضاً هذه المنشآت التجارية في مشرق العالم الإسلامي مصطلح (تيم)، والتي تعني خان التجار بلغة أهل خراسان[65] ، ومن أشهر المنشآت التي عرفت بهذا المصطلح خان مرجان في بغداد والذي يقع بجوار المدرسة المرجانية وإنشائه أمين الدين مرجان منشىء المدرسة و تم تشييده في سنة 760هـ/ 1358م وجاء نصه التأسيسي بصيغة" أمر بإنشاء هذا التيم المبارك والدكاكين........."[66] ، وتخطيطه هو تخطيط الخانات والفنادق باستثناء أنه مغطى لذلك عرف باسم خان الارتمة وتعني الخان المسقوف، ويتألف من طابقين،[67] غير أنه لا يوجد به الرواق الأرضي.

وعرفت هذه المنشآت التجارية في إيران باسم كرفان سراي (أوكروانسراي) ومن نماذجها كرفان سراي عباسي في أصفهان[68].،

ثم عبرت إلى غرب العالم الإسلامي بالشمال الأفريقي والأندلس ،وكان الفندق في الأندلس بناء لإقامة التجار الغرباء، فضلاً عن تخزين بضائعهم وبيعها وكان يسمى بأسماء ما يباع فيه من بضائع أو باسم صاحبه. وتخطيطه يتكون من مبنى مستطيل أو مربع، يتوسطه صحن

مكشوف، يلتف من حوله بالأربع جهات بلاطة، أو ممر تطل على الصحن ببائكة معقودة ومحمولة على أعمدة أو دعامات[69]، وأحيانا أوتار خشبية دون العقود وتتوزع غرف الفندق من وراء هذه الممرات أو الأروقة، ويخصص الطابق الأدنى من الفندق للمخازن والإصطبلات، أما العلوى فيشتمل على مساكن الإقامة . ويمكن الصعود للطابق العلوي من درجتين وجدران الفندق الخارجية خالية من أي منفذ وذلك لتجنب السرقات[70] .

أما المدخل فكان يتخذ شكل عقد حدوة فرس أو منكسر ويزخرف واجهة المدخل، ويلي المدخل دركاه تعلوها غرفة الفندقي وهي غرفة مزودة بنافذة تطل على المدخل حتى يستطيع هذا الشخص أن يراقب منها عملية نقل البضائع[71] .

ولم يكن بفنادق الأندلس أسرّة للنوم، بل كان النزلاء ينامون على حصر يمدهم بها الفندقي، كما يمدهم بالأغطية اللازمة، وكان على النزلاء أن يشتروا طعامهم من الخارج[72]، ولم يتبق من فنادق الأندلس سوى فندق واحد هو المعروف بفندق الفحم بغرناطة[73]

ومن ثم لا يوجد فرق كبير بين فنادق الأندلس وبين طرابلس ،والتي تعتبر الأخيرة امتداد لها، وتسير على نفس التخطيط بوحداته المعمارية الثابتة.

أما المغرب فقد عرف هذا النوع من المنشآت ويذكر حسن الوزان أن مدينة فاس تحوي مائتي فندق فخمة البنيان، فبعضها يكون فسيح جداً مثل التي تقع بجوار الجامع الكبير، وتتألف كلاهما من ثلاثة طوابق ويحوي بعضها مائة وعشرين غرفة، والبعض الآخر أكثر من ذلك وتتجهز كلها ببرك ماء ،وبمراحيض مع بالوعاتها لتفريغ الأقذار[74] .

ومن هذا الوصف يتضح أن فنادق المغرب لا تخرج عن تخطيط فندق الفحم الأندلسي والذى يرجع بناءه إلى النصف الأول من ق 8 هـ/ 14م بناء على مقارنته بالفنادق المعاصرة له بالمغرب كما يوجد في الفنادق المرينية في فاس [75] مثل فندق التطرانييى بفاس، وفندق اسكور بسلا[76]، وبذلك يكون التخطيط واحد.

ومن ثم جاءت فنادق طرابلس وفق التخطيط العام لهذه المنشآت التجارية في المغرب والأندلس، ولكن بعناصر معمارية وزخرفية تعكس سمات عمارة طرابلس في العصر العثماني.

وإن كان هناك العديد من الوحدات التي تعتبر استمرار لنظيرتها الأندلسية في عمارة المغرب لكون العلاقات بينهم وثيقة الصلة طوال العهد الإسلامي فبدأت التأثيرات الأندلسية تتسلل إلى بلاد المغرب الأقصى، ثم أخذت تشتد في عهد ملوك الطوائف ودولتي المرابطين والموحدين، وشملت كل بلاد المغرب، وانتهت هذه التأثيرات بسقوط غرناطة حيث هاجر عدد كبير من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب واستقروا في مدن يعمرونها ويغرسون فيها بذور حضارتهم الأصيلة[76].

وهذه التأثيرات تتجلى في عقود حدوة الفرس كعقد المدخل الخاص بفندق الطوبجية وعقود المساكن التي تفتح على الأروقة الأمامية في بعض الفنادق مثل فندق ميزران والزهر.

وتعكس التأثيرات المغربية الأندلسية أيضا الكسوة الخزفية ببلاطات الزليج والذي انتشر استخدامه في الشمال الإفريقي بشكل كبير لاسيما في العصر العثماني.

أما في مصر قلب ووسط العالم الإسلامي فقد عرفت مصطلح الخان كما سبق الذكر غير أن المصطلح الذى ساد وانتشر فهو مصطلح وكالة ،وهو لقب اختصت به مصر فقط[77] ، والوكالة جاءت من وكيل الرجل الذى يقوم بأمره واستخدم هذا اللفظ في مصر مرادفاً لكلمات القيسارية أو الفندق أو الوكالة والخان والوكاله عبارة عن مباني محاطة بأسوار كبيرة منيعة وفيها حجرات كثيرة صغيرة لسكن التجار ومخازن للبضاعة[78] وهو ما تؤكده كتب المصادر التاريخية مثل المقريزي الذي نص على ذلك في خططه "أن وكالة قوصون في معنى الفندق أو الخان"[79].

ومنها نص المحبي والذى أمدنا بنص على قدر كبير من الأهمية "والوكالة اسم للخان كما هو المعروف في عرف المصريين..."

وعرفت مصر بناء الوكالات منذ فترة مبكرة ،وكثر بنائها في العصر المملوكي لازدهار حركة التجارة. وأشهر أمثلة ذلك العصر وكالة السلطان الغوري والتي تمثل الأساليب المعمارية لبناء تلك المنشآت في ذلك العصر،[80] حيث تتكون من خمسة طوابق ،وصحن مكشوف مستطيل محاط برواق معقود يشرف على الصحن ببائكة، وهذه البائكة تستوعب طابقين ويصعد للطابق الثاني عبر ممر خشبي معلق عند بداية أرجل العقود ومن الطابقين يمثلا حواصل البضائع ،أما الطوابق الثلاثة الباقية فتشتمل على مساكن التجار.

وزادت أعداد الوكالات في العصر العثماني ويكفي أن ندلل على ذلك بوجود عشر وكالات من هذا العصر، أي في ق 10 - 12 هـ/16–18م. ومنها من يتبع تخطيط وكالة الغوري، ومنها من يتبع التخطيط البسيط من صحن وحواصل في الطابق الأرضي ومساكن يتقدمها شرفة معلقة على كوابيل كما في وكالة جمال الدين الذهبي[81]شكل(7) .

وعرفت مصر أيضاً مصطلح الفندق منذ وقت بعيد ابتداء من العصر المغولي حتى نهاية العصر العثماني، فنجد الخلافة الفاطمية في مصر قد وافقت للتجار الأوربيين وخاصة الإيطاليين منهم أن ينشئوا فنادق لهم[82] .

ويذكر الرحالة ابن جبير أسماء ثلاثة فنادق كان قد نزل بهم بمصر أثناء رحلته إلى الحجاز، الأول فندق الصغار بالإسكندرية، والثاني فندق ابن الثناء بمصر القديمة ،والثالث فندق ابن العجمي بقوص ،وفي العصر المملوكي كثرت تلك الفنادق في الثغور المصرية دمياط والإسكندرية ،وقوص، وطريف الحج ،وأصبحت الفنادق أكثر تخصصاً لسلعة بعينها وبلغ عدد الفنادق بمصر 41 فندق تقريباً[83] .

ووجد لكل جالية أجنبية فندق بالإسكندرية، كما نصت على ذلك المعاهدات والاتفاقيات التجارية التي أبرمت مع السلطة المملوكية.

وقد وصفت المصادر الفنادق بالوكالات ومن ذلك فندق الوكالة بالروضة، وفندق قوصون وهي المنشأة التي عرفت بالثلاثة مصطلحات أكثر انتشاراً لهذه المنشآت التجارية فنصها التأسيسي نعتها باسم الخان ،ثم اشتهرت بعد ذلك باسم وكالة قوصون، ويؤيد ذلك ما أورده المؤرخ المقريزي في خططه بقوله: "هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات..."[84]ثم ذكرها ابن دقماق باسم فندق قوصون، والذى كان ينزل فيه التجار الشاميون ببضائعهم[85] .

وفي ضوء ذلك فالفندق أيضا هو مرادف للوكالة المصرية، وهو ما يؤكده التشابه في التخطيط والوحدات المعمارية على الفنادق المغربية والطرابلسية خاصة والوكالات المصرية.

وهذا التشابه يتضح في العصر العثماني، والذي شهد ازدهاراً تجارياً ملحوظاً بين مدن الشمال الأفريقي والتي من بينها مصر . ومن ثم كانت هناك علاقات حضارية مختلفة بين البلدين وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى قرب المسافة، فضلا عن عامل هام أخر وهو استقرار العديد من الجاليات القادمة من الشمال الافريقي بمصر في تلك الفترة ،لاسيما في مدن الساحل مثل الإسكندرية، ورشيد، وفوه ،ودمياط ،حيث كونت تنظيمات داخلية، وعاشوا حياة أشبه بتلك التي عاشوها في بلادهم.

ومن ثم كان هناك العديد من أوجه التلاقي بين مصر، والشمال الافريقي والتي من بينها مدينة طرابلس، وهذه الوجوه متعددة منها الاجتماعي والثقافي والسياسي غير أن ما يعنينا هو أوجه التشابه من النواحي الحضارية والأثرية ، وهو ما ينعكس في تلك المنشآت التجارية و المتمثلة في الوكالات ، حيث وجدت وكالات عديدة سيطرعليها المغاربة سيطرة كاملة سوء أفراد أم جماعات ،وأصبح البعض منها ينسب إلى تجار المغاربة، وأبرز الأمثلة للدلالة على ذلك وكالة الزيت بحي بولاق، والتي كانت بمثابة منظمة متكاملة لتصنيع الزيت وتجارته.

وهناك نموذج آخر يتمثل في وكالة الماوردي بخط الفحامين لكونها ضمت مجموعة كبيره من تجار المغاربه مثل الخواجة محمد الكهن، والخواجة الحاج أحمد الدهوني، كما سميت بعض الوكالات بأسماء أصحابها أو تجار بها وهم من المغاربه مثل وكالة الشرايبي بالغورية والمراكشي بشارع مرجوش كما كانت هناك وكالة المغاربه بخط طولون[86]

غير أن ما يعنينا هو تلك الوكالات التي قام بإنشائها التجار المغاربة في مصر وأطلقت عليها الوثائق الخاصة بها فضلاً عن النصوص التأسيسية مصطلح الوكالة برغم أن منشئها من الجالية المغربية، ومن ثم لا فرق بين المنشأتين ،وإنما هو اختلاف مصطلح ويتأكد ذلك في ضوء المقارنة بين تخطيط المنشأتين وأسوق مثالاً على ذلك بوكالة عبد الباقي جوربجي

بالإسكندرية 1171هـ/1758م، والتي تندمج مع جامعه المعلق على قسم من حواصل هذه الوكالة.

وعند عقد مقارنة بين تخطيط هذه الوكالة وبين الفندق بعناصره التي عرضتها في النماذج الباقية بطرابلس، أجد التقارب الشديد والمتمثل في التخطيط العام فضلاً عن توزيع بعض الوحدات. فالوكالة تتكون من طابقين ولها واجهة واحدة أستغل قسمها السفلي شكل(8) في عمل حوانيت ،أما العلوي كنوافذ لمساكن الطابق العلوي، ولها مدخل معقود بالعقد النصف دائري، والذي يغلق عليه المصراعان الخشبيان ،ويتسم الأيمن منهما بوجود خوخه، ثم يفضي المدخل إلى دركاه مستطيلة، قسم سقفها إلى مساحتين عبر عقد وسطى يرتكز على كتفين بارزين في الجانبين ويغطى كل مساحة قبو متقاطع[87]

وكان يفتح على الدركاة مدخل يتوصل منه إلى السلم الصاعد للطابق العلوي غير أن هذا المدخل سد حالياً وحول الى حانوت يقع على يسار المدخل إلى مدخل بسلم صاعد. في حين أن النص الوثائقي يحدد الوصول إلى هذه البيوت كان عبر باب يقع بدهليز الوكالة[88].

ثم تفضى الدركاه إلى الصحن المستطيل المكشوف والذى يلتف من حوله رواق يشرف عليه من خلال بائكه معقودة بعقود مدببة ترتكز على أعمدة ،ويغطي سقف الرواق أقبية متقاطعة ومن خلف الرواق توجد الحواصل المستطيلة والتي غطيت بأقبية [89]،وبالنسبة للحواصل الموجودة بالأركان فكانت معالجته لمداخلها أيضا متشابهة وذلك عبر دهاليز.

أما الطابق العلوي فتخطيطه جاء تردد للطابق الأرضي كما في الفنادق من حيث وجود الرواق المشرف على الصحن ببائكه ،والذي يوجد من وراءه المساكن الخاصة بالإقامة شكل (9)

أما من حيث تخطيط المسكن فجاء مختلف عن نظيره في الفنادق، وذلك لكونه يتبع نظام الطبقة السكنية وفق الطراز المصري والتي تتكون من دركاته ،وأبواب ،وملحق ،وحجرات، ويفتح على الدركاة بيت خلاء ،وسلم صاعد للطابق الثالث.

وهو نظام الطبقة السكنية الذى وجد في تخطيط الوكالات في العصر المملوكي، وأيضاً في طبقات المتصوفة في العصر المملوكي الجركسي.

ولم يقتصر الأمر في هذه الوكالة على هذا التخطيط ،وإنما حدث لها إضافة في فترة لاحقة تتمثل في إضافة صحن ثان تلتف حوله رواق من ثلاث جهات، يشرف على الصحن ببائكة ومن ورائها الحواصل، ثم الطابق العلوي والذي تطل بنوافذها على هذا الصحن الثاني، أما مداخل مساكن الطابق العلوى فتفتح على دهليز خلفي يلتف من ورائها.

ومن ثم أصبح لهذه الوكالة صحنان، وهي بذلك تشبه نفس المعالجة في فندق الطولوني وهي إيجاد صحن ثان لزيادة عدد المساكن وذلك في حالة الرغبة في توسعة الوكالة، ومن ثم زيادة دخل الفندق أو الوكالة للصرف من ريعه.

ونفس التخطيط تقريباً وجد في أحد الوكالات المندثرة، والتي أثارت وثيقة الوقف الخاصة بها لتخطيطها ،وهى وكالة الحاج إبراهيم تربانه بالإسكندرية[90].

فضلاً عن أنه يمكن مقارنة ازدهار مدينة طرابلس الساحلية في العصر العثماني بنظيره الذى وجد في مدينة رشيد المصرية الساحلية، لاسيما في الازدهار الذي حظيت به المدينة في النشاط التجاري والذي انعكس هو الآخر على المنشآت فكثرت الوكالات والبيوت والتي استغلت طوابقها السفلية أيضا كوكالات ، ولكن هذه البيوت كان أشرافها على الخارج وليس على الداخل مثل الفنادق.

ولقد شهدت مدينة رشيد تزاوجاً عظيما بين الفنون العثمانية والمصرية والمغربية ،وذلك لأنها كانت الميناء الأقرب إلى استانبول ، وأن الثراء الفني والمعماري لهذه المدينة يدل دلالة واضحة على مدى التطور الاقتصادي والفني والمعماري في العصر العثماني[91].

ولم يقتصر الأمر في التشابه بين المنشآت التجارية المصرية في العصر العثماني والتي اشتهرت وعرفت باسم الوكالات على تلك الوكالات التي وجدت بأماكن تجمع للجالية المغربية كالإسكندرية، أو رشيد ،أو دمياط.

وإنما وجد ذلك التشابه أيضاً مع بعض وكالات القاهرة في العصر العثماني مثل وكالة جمال الدين الذهبي والتي يرجع تاريخ إنشائها إلى عام 1045هـ/1635م وتتكون من ثلاثة طوابق ،وملحق بها سبيل ومكتب للسبيل.

ويفتح بالواجهة المطلة على شارع المقاصيص المتفرع من شارع المعز لدين الله حانوتين ،بالإَضافة للمدخل المعقود بالعقد الموتور، والذي يغلق عليه المصراعان الخشبيان والأيمن به الخوخه، ثم الدركاه المقسمة من حيث التسقيف، فهو قبو نصف اسطواني متقاطع ومنها إلى الصحن المستطيل، ونقل المدخل المؤدي لدرج الطابق الثاني من الدركاه إلى الزاوية الجنوبية من الصحن، ويلتف حول الصحن الحواصل، ثم الطابق الثاني والذي تفتح مساكنه على ممشى علوي معلق على كوابيل حجرية ويحيط بالممشى سياج خشبي[92] .

وهي بذلك التخطيط تقترب من الفنادق الصغيرة مثل فندق الغدامسي وأيضًا من حيث معالجة الممشى العلوي الذى يتقدم المساكن وجعله معلق. وكذلك الأمر في فندق سيالة.

وليس معنى انتشار مصطلح وكالة اختفاء لمصطلح خان كماوجد في النصوص التأسيسية لبعض المنشآت التجارية في صعيد مصر مثل خان الشناقرة 1264هـ/1847م[93] .

فهذه المصطلحات المختلفة هي علم على منشأة واحدة ،وهي المنشأة التجارية المعدة لنزل التجار وبضائعهم وهو ما أكدته النصوص التاريخية والأثرية الباقية.
وأكدت الوثائق أيضا تطابق المصطلحات، فمنها وثيقة ذكرت " ويعرف هذا الفندق الآن بخان بهادر..."[94] ومن ثم بها اختلاف بين هذه المصطلحات فكلها يقصد بها تلك المنشأة التجارية الخاصة بإقامة التجار وبضائعهم.
وارتبطت الفنادق بالأسواق، ومن ثم كثرت مع ازدهار وانتعاش النشاط التجاري في منطقة الأسواق، وذلك لسد حاجة أعداد التجار المتزايدة على هذا السوق فالعلاقة بين الأسواق والفنادق علاقة مترابطة ومتداخلة كلاهما تعتمد وظيفته على الآخر.
وكان من نتيجة كثرة الفنادق بمدينة طرابلس أن كان هناك تأثير من تخطيطها على تخطيط المنازل ،فجاء تخطيطها معتمداً على صحن مكشوف يلتف من حوله الرواق المطل على الصحن ببائكة، ومن ورائه توجد الحجرات والملاحق ،وكذلك الطابق العلوي شكل (10)[95].
كذلك وجد صدى لهذا التخطيط في تخطيط المدارس مثل مدرسة عثمان باشا، وأحمد باشا القره ماناللى[96]وإن كان هذا الطراز هو ذاته الموجود في تركيا شكل (11). أى هناك وحدة في التخطيط بين المنشآت التي تقوم بوظيفة السكنى.

ويقترب كذلك تخطيط الزوايا المشيدة في ليبيا خلال العصر العثماني من فنادقها لأنها تؤدي في بعض الأحيان الوظيفية نفسها، إذ شملت وظيفة الزاوية النواحي الدينية والتعليمية والسكنية ،وأصبحت في العصور المتأخرة تتكون من مبان واسعة موزعة حول الصحن ،منها المسجد وأروقة، وقاعات للدرس، وقراءة الأذكار، وخلاوي يسكنه الطلاب مزودة بجميع المستلزمات الضرورية من فرش ،وأدوات ،فضلاً عن المخازن لحفظ المؤن والأثاث .
وتلحق ببعض الزوايا دور للضيافة مفتوحة على الدوام لاستقبال الزوار والفقراء وأبناء السبيل دون أي أجر ، بل يقوم بتقديم الطعام الذي يأتي عن طريق واردات الوقف وتبرعات المحسنين وعادة ما تتوفر في هذه الأبنية مرافق أخرى مكملة كالميضأة والحمامات، وتحفر في صحونها آبار وصهاريج " مواجن ، لتخزين مياه الأمطار والأمثلة على وجود الزوايا في ليبيا كثيرة جداً
ولما كانت فنادق مدينة طرابلس قديمة قدم الأسواق والتجارة فإن تأثيرها قد امتد إلى المدارس سواء المستقلة كمدرسة عثمان باشا الساقزلي المبنية عام1046هـ/ 1653 م أو المدارس الملحقة بالمجمعات المعمارية مثل مجمع أحمد باشا القرمانلي1150هـ/ 1737 م ومجمع قورجي1249هـ/ 1833 والأخيرة تخطيطها يعتمد على صحن مربع الشكل محاط برواق ينفتح على الصحن بعقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة حجرية ذات تيجان جميلة ومن الملاحظ أن الرواق الذي يحيط بالصحن مسقوف بأقبية نصف دائرية وقد شغلت زواياه الأربعة قباب

صغيرة وخلف الرواق من الجهات الأربعة حجرات من طابقين ذات أبعاد مختلفة بعضها استخدم للدرس وبعضها خلاوي لاعتكاف الطلاب وهي مسقفة بأقبية.

وتقرب هذه النهضة المعمارية التي حدثت في طرابلس في العصر العثماني بنظيرتها التي حدثت في نفس العصر في مدينة دمشق ،والتي شيدت في ذلك العصر خانات كثيرة بسبب تزايد النشاط التجاري وانتظام قوافل الحج القادمة إلى دمشق ولقد أحدث فيها هذا الموسم نشاطاً اقتصادياً ملحوظاً وكان يستعد له أهل التجارة والمهن طوال العام، وأكثر الخانات التي توجد حاليا من آثار العصر العثماني ،وهي موزعة داخل المدينة القديمة في المركز التجاري المحصور بين أسواق مدحت باشا والبزورية والحرير والقلبقجية والخياطين[97] .

ومن أشهر هذه الخانات خان الخياطين ، والحرير ، وسليمان باشا، والمرادية، والحرمين، والزيت وغيرها[98]، غير أن أشهرها هو خان أسعد باشا وسط سوق البزورية الشهير، والذى يقع جنوب الجامع الأموي [99]، وتخطيطه يشبه تخطيط الفنادق من حيث الصحن والحواصل والرواق المطل بالبائكة[100] .

هذا بالإضافة لتشابهها أيضا مع طرابلس في الأسواق المكشوفة والمغطاة منها علي سبيل المثال سوق الحميدية والسليمانية والسلاح والخياطين وسوق مدحت باشا و الحرير[101].

الأشكال:

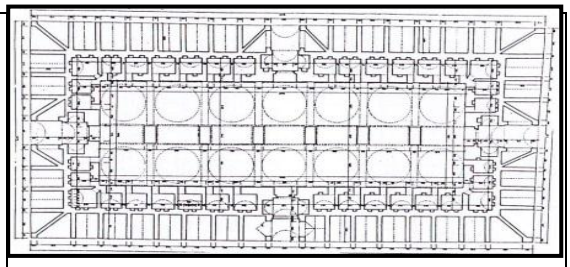

شكل (1) مسقط افقي لبادستان ادرنه(عن الحداد، العمارة الإسلامية)

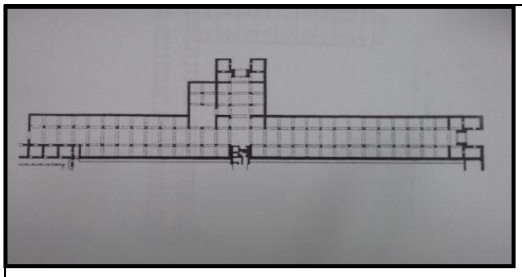

شكل (2)مسقط افقي للآراستا الملحقة بمجمع السليمية في أدرنة (عن الحداد، العمارة الإسلامية)

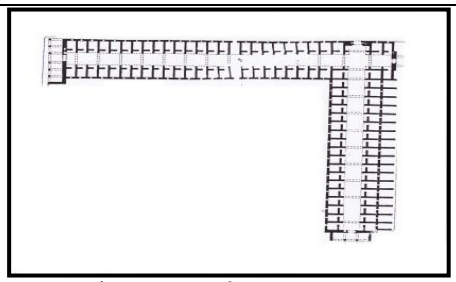

شكل (3) مسقط افقي للآراستا الملحقة بمجمع الوالدة الجديد بإستنبول (عن Goodwin)

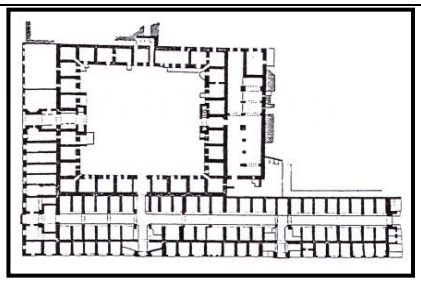

شكل (4) مسقط افقي للآراستا غازي خسرو بك الملحقة بخان TASLI في سراييفو(عن الحداد، العمارة الإسلامية)

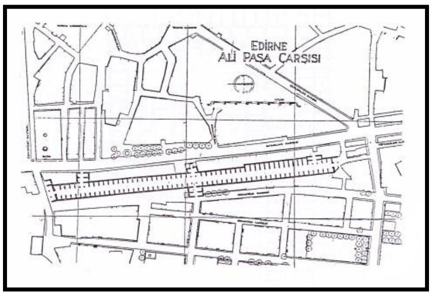 **شكل(5) مسقط افقي للآراستا أدرنة المعروفة ببازار علي باشا(عن الحداد، العمارة الإسلامية)**	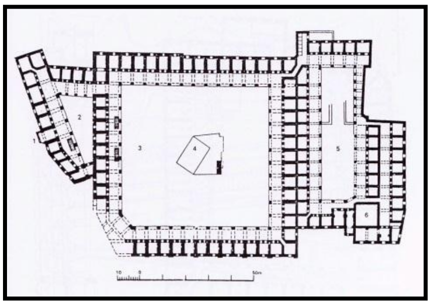 **شكل (6) مسقط افقي للوالدة خان في إستنبول (عن Goodwin)**

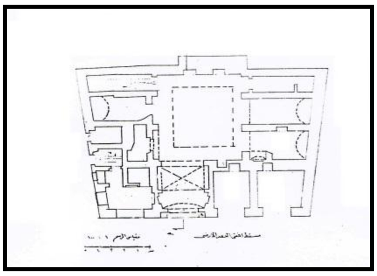 **شكل (7) مسقط افقي للطابق الأرضي بوكالة جمال الدين الذهبي بالقاهرة (عن موسى)**	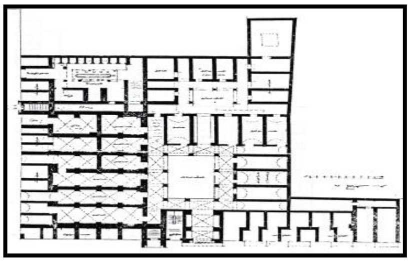 **شكل (8) مسقط افقى للطابق الأرضى بوكالة عبدالباقىجوربجى بالإسكندرية ، نقلا عن الأمام**
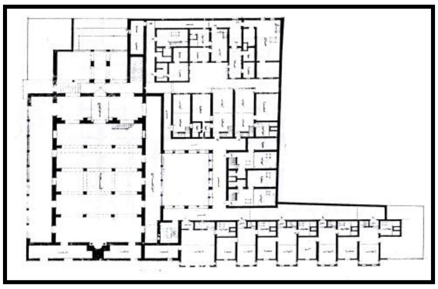	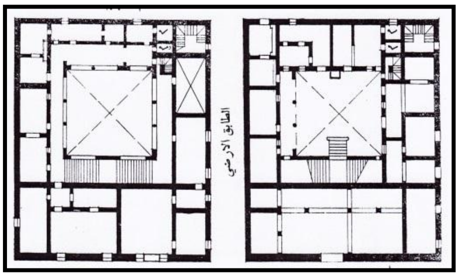 **شكل (10) مسقط أفقي للتخطيط العام للطابق الأرضي**

شكل (9) مسقط أفقي للطابق العلوي بوكالة عبد الباقي جوربجي بالأسكندرية (عن الإمام)	والعلوي لطرز البيت في إطرابلس (عن غاسبري ميسانا)

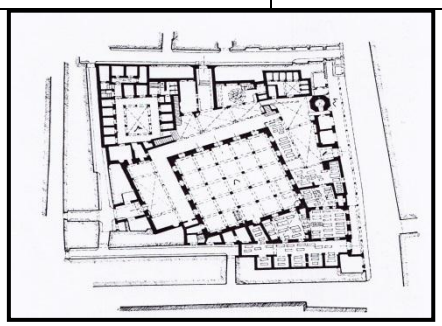

شكل (11) مسقط أفقي لجامع أحمد باشا القره مانلي (عن غاسبري ميسانا)

الحواشي:

[1] عبد الحى، عاطف عبد الدايم، شارع تحت الربع منذ نشأته وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى 19/13م دراسة أثرية حضارية رسالة ماجستير ،كلية الآثار ، جامعة القاهرة 1997م، صص 113-114.

[2] عبد الحى، شارع تحت الربع، ص 114.

[3] جبران، الأسواق، ص 115.

[4] نفسه.

[5] طه، جمال أحمد، مراقبة الأسواق الافريقية وتنظيمها وطرق التعامل المختلفة بها خلال العصر الاغلبى 184هـ/800م – 297هـ/909م، مجلة العصور، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ذو القعدة 1425هـ/يناير 2005م. ص 57.

[6] يقصد به سوق القيروان ودكاكينه المتلاصقة (طه، الأسواقالأفريقية، هامش (2) ص 55).

[7] طه، الأسواق ا لأفريقية، ص 55.

[8] المرجع نفسه، ص 58.

[9] نفسه.

[10] الحداد، محمد حمزة إسماعيل، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية مطبوعات مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت 1423هـ/2002م، ص 260-261.

[11] الحداد، العمارة الاسلامية، صص 262-263.

[12] الحداد ، العمارة الاسلامية، ص ص266 – 267.

[13] الحداد، العمارة الاسلامية، شكل 117.

[14] Goodwin. G., A history of Ottoman Architecture, London, 1971. Plan. 287. P. 297.

[15] الحداد، العمارة الاسلامية، ص 267 .

[16] الحداد، العمارة الإسلامية، ص 268 .

-Goodwin, Ottoman Architecture, Plan. 340, p. 341.

[17] الحداد، العمارة الإسلامية، ص 266، شكل 172

[18] الحداد، العمارة الإسلامية، ص 266، شكل 173

[19] الحداد، محمد حمزة، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الاسلامية (في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الاثرية والوثائقية والتاريخية، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1996م،ص 20.

[20] الحداد، المصطلحات، ص 25.

[21] الحداد، المصطلحات، ص ص 25–26.

[22] الطايش، على أحمد، القاهرة كما رآها ابن بطوطه، مجلة كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط، العدد 16، يونيو 1994م. ص 234

[23] الدجانى، ليبيا قبل الاحتلال الايطالى ، ص 249

[24] تود، أسرار طرابلس، ص 152.

[25] التليسى، خليفة محمد، حكاية مدينة، ص 152.

[26] كاوبر، مرتفعات آلهات الجمال، ص 20.

[27] كورو، فنادق طرابلس، ص 88.

[28] تعتمد صناعة الحصر في ليبيا خلال العصر العثمانى على نبات الصبار الذى ينبت عادة في المياه الراكدة وبعضها ينسج بخيوط القنب والبعض الآخر بحبال الحلفا الرفيعة وقد بلغت صادرات الولاية منها في نهاية القرن التاسع عشر أكثر من مائتان وأربعون ألف في السنة (ناجى، طرابلس الغرب، ص 51).

[29] كورو، فنادق طرابلس، ص 88.

[30] عمورة، على الميلودى، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، طرابلس 1993، ص 304.

[31] كورو، فنادق طرابلس، ص 85.

[32] جبران، الفنادق، ص 8

– من المفيد ذكره أن تجار القوافل في ليبيا وبلاد السودان كانوا يحملون معهم أثناء السفر سريراً مصنوعا من الخشب ونسيج الحبال يعرف بالعنقريب، وهو من الأثاث المستخدم قديما في الواحات الصحراوية وربما استفاد هؤلاء منه خلال إقامتهم في فنادق طرابلس فخلوها من الأسرة، بازرمة، محمد مصطفي، تاريخ برقة في العهد العثمانىالثانى، الحوار الثقافي العربيالأوربى، قبرص 1994 ج2 ص 61– 259.

[33] الدراجى، سعدى إبراهيم، خانات بغداد في العصر العثمانى، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد عام 1998م، ص 40.

[34] الوزان، وصف أفريقيا، ص 232.

[35] جاءت هذه اللفظة كاسم وظيفة على بعض الآثار العربية بدلالات مختلفة وإن كانت متقاربة من حيث المعنى لاسيما في المؤسسات العامة كالمساجد والمدارس والحمامات والمشاهد ويكون مسؤولا عن الخدمة فيه والمحافظة عليه، الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، 1966 ج2، ص 898.

[36] ابن الجوزى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، (ت 597هـ – 1200م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة التعليم العالى والبحث، الموصل، 1990، ج 10، ص 35.

[37] المقريزى، الخطط، ص 92.

[38] Serjeant, Rand, Lewcok, R: p 278.

[39] الدراجى، خانات بغداد ، ص 41.

[40] توللى، عشرة أعوام، ص 151.

[41] نفسه.

[42] حسن، ص 588.

[43] Nachtigal. G., Sahara and Sudau. London. 1977, p. 119

[44]. كورو، فنادق طرابلس، ص85.

– شلابى، معالم المدينة البيضاء، ص 148.

[45] كورو، فنادق طرابلس، ص 87.

[46] الوثائق العثمانية، المجموعة الأولى، ترجمة محمد الأسطى، منشورات مركز جهاد الليبين، طرابلس 1990م ، ص 132، وثيقة رقم 34.

[47] العمرى، آمال، أضواء على المنشآت التجارية في مصرالمملوكية، مجلة كلية الآثار، الكتاب الذهبى ، ج2، القاهرة 1978م، ص 68..

[48] الوزان، وصف افريقيا، ص 230.

[49]Nachtigal, Sahara and Sudau.P 12

[50] عبد النعيم، أسامة طلعت، العمارة الإسلامية في الاندلس، 2000م ، ص 97.

[51] العمرى، أضواء على المنشآت التجارية في مصر المملوكية، ص 68.

[52] موسى، الوكالات والبيوت، ص 27.

[53] Erdmann. K., Das AnatolischeKaravansaray des 13. Jahrhunderts. Vol. I Text., Berlin 196. Beilag e Blatt 8. Fig. 1-4, Vol. II, Tafel. XXXII. Fig. 1, Tafel. XXIX.

– آصلان آبا، اوقطاى، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد عيسى، استانبول 1987، ص 29.

[54] أصلان آبا، فنون الترك، ص 20.

[55] Erdmann, AnatolischKaravanSaray, vol. II, Tafel. XXI, XVIII, XXI, XVII

[56] الحداد ، العمارة الإسلامية، ص269

[57] Goodwin, ottoman Architecture, PL. 359. p.360

[58] Yerasimos .S., Constantinople de Byzance à Istanbul, Paris, 2000.P. 186.

و للمزيد عن الخانات العثمانية راجع،

- Hillenbrand. R., Islamic Architecture, Cairo, 1994.P.353 – 354

[59] وللمزيد عنها في هذه المنطقة راجع،

- لوبيغر ،بيير، خانات الطرق في الشرق الاوسط من القرن التاسع حتى القرن التاسع عشر (بلورة رأى- اكتشاف لغة) ،ترجمة هزار عمران ،الحوليات الاثرية العربية السورية ،المجلد الثانى و الاربعون ، دمشق 1996م .ص ص181-190

[60] موسى، البيوت والوكالات ص 27، 29.

[61] بن جبير، ابن الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير "اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، سلسلة ذاكرة الكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 1999، ص 211، 212، 215، 216.

[62] القيسارية أو القيصرية (Qaysariyya) كلمة مشتقة من (قيبساريون) الرومانية ومعناها السوق الأمبراطورية أو سوق قيصر، بمعنى أنها للقيصر أو للحكومة، ثم صارت الكلمة اسماً علماً على المنشأت المماثلة في العهد الإسلامي (مصطفي ، شاكر ، المدن الأسلامية حتي نهاية العصر العثماني ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ،ج2 (1988) ، ص298)

[63] ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614 هـ) ، رحلة ابن جبير، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (1384هـ - 1964) ، ص210 .

[64] ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت809هـ) ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميرية، مصر ، (1309هـ) جـ، ص38 .

[65] جواد ، مصطفي وسوسه، أحمد، دليل خارطة بغداد قديما وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقى، بغداد 1958، ص 221.

[66] الحديثى، عطا، خان مرجان وصيانته ، مجلة سومر ، المجلد الثلاثون، الجزء الأول والثاني 1974م. ص 163، 166

[67] عبد الوهاب، حسن ، بغداد وآثارها الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد العشرون، محرم 1378هـ/ أغسطس 1958 م . ص 89.

[68] الحداد ، المجمل ، شكل (355)

[69] عبد النعيم، العمارة الإسلامية، ص 97-98، شكل 29.

[70] سالم، عبد العزيز، العمارة المدنية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب، العدد 64، 1959 ص 144.

[71] سالم، العمارة المدنية، ص 144.

[72] نفسه.

[73] عبد النعيم، العمارة الاسلامية، ص 98.

[74] الوزان، أبو الحسن بن محمد، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، طبعة مكتبة الأسرة 2005م ، ص 236-237.

[75] زكى ،عبد الرحمن، غرناطة و آثارها الفاتنة ،المكتبة الثقافية، العدد 276، الهيئةالمصرية العامة للتأليف و النشر 1971م ،ص101.

[76] سالم، عبد العزيز، التأثيرات المعمارية في الاندلس، دائرة معارف الشعب، كتاب الشعب، العدد 64، 1959م، ص 162.

[77] العمرى، اضواء على المنشآت التجارية ، ص 69.

[78] موسى، البيوت والوكالات، ص 52 – 53.

[79] المقريزى، الخطط، جـ2، ص 93.

[80] موسى، الوكالات والبيوت، ص 61، شكل 6-7 ص ص 57-59.

[81] المرجع نفسه، ص 61-62.

[82] المرجع نفسه، ص 45.

[83] المرجع نفسه، ، ص 47

[84] المقريـزى، تقـى الـدين أحمـد بـن علـى (ت 845هـ/1441م)، المـواعظ والاعتبـار بـذكر الخطـط والآثـار المعروف بالخطط المقريزية، جـ2، طـ2، القاهرة 1987م. ص 93.

[85] ابن دقماق، ابـراهيم محمد بـن ايدمرالفدائى (ت 809هـ/1406م) الانتصـار بواسطة عقد الامصـار، القـاهرة، جـ4، ص 40.

87 الرطيل، عماد عبد الرؤوف ، القاهرة العثمانية ووكالاتها التجارية ، كتاب الجمهورية، يونيو 2003 ص 26.

[87] الإمام، عوض عوض محمد، وكالـة الحـاج عبد الباقىجوربجبالاسكندرية 1171هـ – 1758م. دراسـة اثريـة وثائقية، مجلة كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط، العدد 16، يونيو 1994م. شكل (1)، ص 373.

[88] الإمام ، وكالة الحاج عبد الباقى، ص 371.

[89] المرجع نفسه،ص 364.

[90] الإمام، عوض عوض محمد، وكالة جديدة في ضوء وثيقة الحـاج إبراهيم بن عبيد المسراتى مع دراسة ونشر وتحقيق لهما. مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط، العدد 16، يونيو 1994م ، ص ص 499-565.

[91] درويش ، محمود أحمد ، عجائز مدينة رشيد وما بها من التحف الخشبية في العصر العثماني ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار – جامعة القاهرة 1989م ص 18

[92] موسى، الوكالات والبيوت، ص 113-163.

[93] نور، حسن محمد، النقوش الكتابيـة على العمـائر الأثريـة بمدينـة إسنا "دراسـة تسـجيلية تحليليـة"، مجلـة كليـة الآداب بسوهاج –جاعة أسيوط، العدد 16، يونيو 1994م، ص 450-451.

[94] موسى، الوكالات والبيوت، ص 36.

[95] ميسانا ، المعمار الإسلامي في ليبيا ، ص 250

[96] رشوان العمارة الدينة في طرابلس ، ص ص 155 – 164

[97] الريحاوي، عبد القادر ، خانات مدينة دمشق ، الحوليات الأثرية العربية السورية ،المجلد الخامس والعشرون ، الجزء الأول والثاني دمشق 1975 ص ص 58 – 59 .

[98] للمزيد راجع، الريحاوي ، خانات مدينة دمشق، ص 58 – 64

[99] الريحاوي ، خانات مدينة دمشق، ص 64 – 69 ، لوحة 3 – 5 ، 7 ، 10

[100] خير، غرام مدحت، خان أسعد باشا .. هدية الماضي إلى الحاضر ، مجلة العصور ، المجلد الرابع عشر، الجزء الثاني، جمادي الأولي ، 1425هـ يوليو 2004م ، ص ص 149 – 169

- Degeorge.G., Damascus , Translated from French by David Radzinowicz, Paris 2004.PP.193-197.

[101] الريحاوي ، خانات مدينة دمشق لوحة (6)

دراسة أضرار أثر أشكال التجوية الفيزيائية على مواد بناء المدينة القديمة بطرابلس

أبوراوي مصطفى المرخية
جامعة المرقب – ليبيا
Email/ aborawi 1977@ gmail. com

الملخص:

يهدف هذا البحث الى دراسة احدى أنواع التجوية الفيزيائية التي تسبب أضرار في مواد البناء بشكل عام و المباني الأثرية بشكل خاص، والتي تعرف بالتجوية الفيزيائية او (الميكانيكية)، وقد تم دراسة هذا النوع من التجوية على مواد بناء مباني مدينه طرابلس القديمة، والمتمثلة في الكتل الحجرية ذات المنشئ الطبيعي، وكذلك تحديد العوامل المساعدة مثل (التقشر و التذبذب الحراري و تأثير ألوان الصخور) في حدوث مثل هذا النوع من التجوية، هذا بالإضافة الى تصنيف أنواع هذه الأضرار وفق تصنيف (فزنر 2004/2002) وتوثيقها بالصور والخرائط من خلال الزيارات الميدانية داخل المدينة القديمة، وتحديد مدى انتشار هذه الاضرار بأنواعها المختلفة ،و درجه شدتها وضعفها على جميع الصخور التي تم استخدامها كمواد بناء في جدران المباني المختلفة داخل المدينة.

مقدمة:

تعد مدينه طرابلس القديمة من أهم المعالم الأثرية الباقية لنا كشاهد على العديد من الحضارات المختلفة التي مرت على ليبيا، والتي تبدا من العهد الفينيقي وتنتهي بالعهد الإيطالي، وقد شهدت مدينه طرابلس القديمة العديد من التغيرات، والتي شملت طريقه البناء و التخطيط و استخدام مواد البناء.

تعتبر هذه المدينة المرآة التي تعكس لنا مدى التطور الحاصل في العمارة بشكل عام والعمارة الإسلامية بشكل خاص، باعتبار اغلب المباني الموجودة حالياً داخل سور المدينة هي إسلامية ثم بناؤها في الفترة العثمانية، استخدمت فيها مواد بناء اغلبها محلية ذات تكوينات الطبيعية، مثل الصخور وخلطات المونة (المادة اللحمة)، ونتيجة لطول الفترة الزمنية على انشاء هذه المدينة من الطبيعي ان تتعرض جميع المباني الى العديد من عوامل التلف سواء كانت طبيعية أم بشرية. الذي يهمنا في هذا البحث الاضرار الطبيعية وتحديدا التجوية الفيزيائية(الميكانيكية)، والتي لها تأثير مباشر او غير مباشر على مواد بناء المدينة والتي سوف نتحدث عن اسباب حدوثها، وانواعها ومدى انتشارها داخل المدينة القديمة.

أهداف الدراسة:

تُركز الدراسة الحالية على تحقيق جملة من الأهداف، تتمثل بتشخيص عوامل التلف الناتجة من التجوية الفزيائية(الميكانيكية) والتي شملت عوامل التجوية التابعة لتصنيف (Fitzner–2002/2004) وكما يلي:

1. تحديد العوامل المساعدة للتجوية الفيزيائية (الميكانيكية)
2. تقدير شدة آثار تلف التجوية الفيزيائية.
3. تصنيف آثار التلف الناتج من التجوية الفيزيائية.

الطرق العلمية المستخدمة في الدراسة:

وتتلخص الطرق والأساليب العلمية التي استخدمت ضمن مجال هذه الدراسة في الآتي:

1. **نظام الألوان القياسي** (Munsell colour system)

تعتمد هذه الطريقة في وصف ألوان القطع الصخرية الطبيعية، كأحجار وصخور مواد بناء المدينة.

الطريقة المستخدمة في الدراسة الحالية هي طريقة استخدام مخطط الألوان القياسي الذي قدمته الجمعية الجيولوجية الأمريكية والمستند على نظام ألوان (Munel Colours System) لسنة 1991م معتمدة على دراسات لأكثر من (1300) عينة صخرية مختارة جمعت من الولايات

المتحدة وتم طباعة ألوان هذه الصخور على مخططات منسل التي استخدمت كأساس لاختيار الألوان[1] شكل (1).

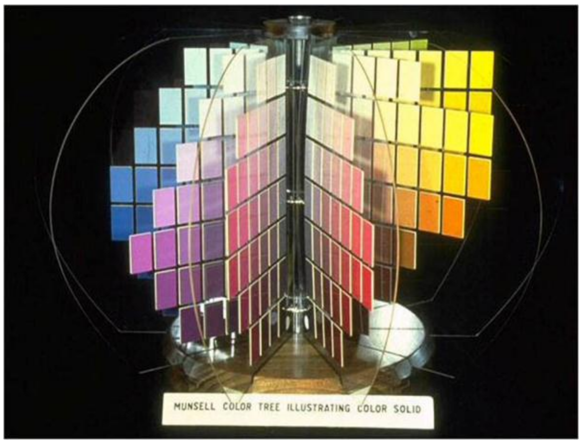

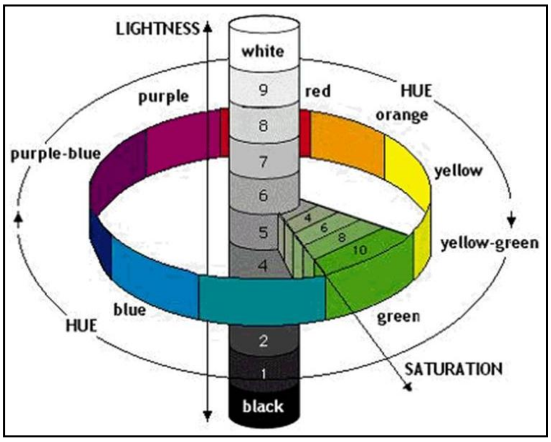

شكل (1) مخطط منسل موضحا عليه اتجاهات زيادة التشبع اللوني والإضاءة وهو الأساس الذي من خلاله يتم تصنيف لون الصخور (الموسوعة العربية العالمية)، وذلك من خلال مقارنة ألوان المخطط مع لون الصخرة المدروسة شكل (2) بغية تحديد رتبتها اللونية.

تستند الخطوة الأولى لقياس الألوان على تحديد درجة الصخور اللونية من حيث شدة الإضاءة، ولكل درجة لونية عشرة درجات لونية ثانوية ويأخذ قيم هذه الدرجات اللونية الثانوية تغيراً في معدل التشبع اللوني باتجاه موازي لاتجاه عقارب الساعة ليعبر رقم (1) على اللون الداكن، والرقم (9) على اللون الفاتح، وعندما لا يكون هناك تغيراً في الدرجات اللونية الثانوية سيكون التعامل مباشرة بالألوان الأبيض والأسود، ويتضمن مقياس الألوان القياسي (الكر وما– Chroma) الذي يمثل درجة التشبع اللوني، وهذه تتراوح ما بين درجة (0–6) لمعظم الألوان الشائعة، وبالتالي سيكون الوصف اللوني على أساس مخطط الألوان القياسي مستند على معدل التشبع اللوني وشدة الإضاءة[2].

لقد تم استخدام هذا المخطط ألواني لمنسل في وصف الطبيعة اللونية لعينات مختارة من الصخور المستخدمة كمواد بناء داخل مدينة طرابلس القديمة، من خلال المقارنة الميدانية المستمرة بين لون كل نموذج شُوهد على المباني المستهدفة شكل (2) في الدراسة الحالية مع مخطط ألوان منسل، كما في الشكل (1).

شكل (2) تحديد الرتبة اللونية للكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء في المدينة القديمة عبر مقارنتها مع مخطط منسل للألوان، ومن ثم تحديد شدة الاضاءة والتشبع اللوني لكل عينة من العينات المدروسة.

الزيارات الحقلية: تعددت الزيارات الميدانية التي استهدفت العديد من المباني داخل المدينة القديمة ومحاولة تحديد الرتب اللونية للصخور من خلال النظر مباشرة الى ألوان الصخور المستخدمة في الجدران الخارجية للمباني الى جانب استخدام مخطط منسل كما ذكرنا سابقاً: خارطة شكل (3).

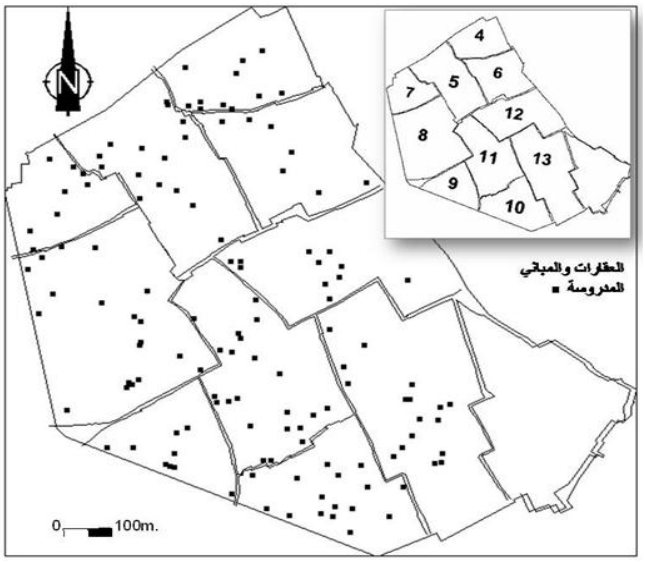

شكل (3) خارطة لمباني والعقارات المدروسة ضمن حدود المدينة القديمة بطرابلس (عمل الباحث باستخدام برنامج Surfer8).

العوامل المساعدة للتجوية الفيزيائية (الميكانيكية):

تختلف وتتنوع أضرار المباني الأثرية الناتجة من التجوية بشكل عام باختلاف الظروف التي توجد بها أو تقع تحت تأثيرها هذه المباني. تنقسم العوامل المسببة لظهور الأضرار على المباني الأثرية إلى عوامل خارجية وداخلية، والمتمثلة بالتجوية التي من ضمنها التجوية الفيزيائية (الميكانيكية)، والتي عرفت بتعريفات عدة من بينها التعريف الذي يقول بانها، عبارة عن عملية تحطيم وتفتيت الصخور بدون إحداث أي تغير كيميائي بها [3]، وقد ارتبطت هذه العملية الطبيعية بعدة عوامل أخرى مساعدة وهي التذبذب الحراري والتقشر واختلاف ألوان الصخور (أوما يعرف بالتغير اللوني) وهي على النحو الآتي:

التذبذب الحراري

تتعرض أسطح الصخور الخارجية المستخدمة في بناء جدران مدينة طرابلس الأثرية القديمة لتأثيرات الطقس ولأشعة الشمس المباشرة، والتي بسببها تمتص وتختزن طاقة حرارية عالية بفعل الأشعة تحت الحمراء نتيجة لعجز مواد البناء بصفة عامة عن التوصيل الحراري، ويؤدي اختزان هذه الطاقة الحرارية العالية إلى ارتفاع ملحوظ في درجة حرارتها، غير أنه وعلى مدار ساعات النهار يتسرب جزء كبير من الحرارة المختزنة إلى أسطح الطبقات الخارجية لهذه الأسطح وببطء إلى الداخل، وعندما يأتي الليل وينقطع المصدر الحراري المتمثل بالشمس تنخفض درجة حرارة أسطح صخور البناء الخارجية لتصبح أبرد من الداخل لكونها تفقد حرارتها سريعاً نتيجة لاتصالها المباشر بالهواء البارد . وعلى هذا النحو تظهر بوضوح استجابة أسطح صخور البناء الخارجية المستخدمة في الجدران من حيث إنها تختلف كثيراً عما هو عليه الحال مع داخل الصخور المستخدمة في البناء [4].

ويترتب على تعرض المباني الأثرية لعامل التذبذب الحراري لفترات زمنية طويلة كما هو الحال في مدينة طرابلس القديمة إلى تكوين أضرار مختلفة على أسطح المباني الأثرية تتمثل بما يلي:

أ. الضعف الشديد بين ترابط الحبيبات المعدنية المكونة للسطوح الخارجية لأسطح الصخور المستخدمة في بناء جدران منازل المدينة القديمة؛ نتيجة لاختلاف مكوناتها المعدنية في تعاملها الحراري بارتفاع أو انخفاض درجة حرارة السطح، ويترتب على ذلك تفكك هذه الحبيبات المعدنية، بفعل التمدد والانكماش الذي يصاحب الارتفاع والانخفاض في درجة الحرارة، ومن ثم تعريتها بفعل عوامل أخرى كالرياح والعواصف [5].

ب. ضعف درجة التماسك بين أسطح صخور الجدران الخارجية للمدينة القديمة والجزء الداخلي من الصخور ذاتها، نتيجة للتباين العالي لاختزان الطاقة الحرارية بين الليل والنهار، حيث

يترتب على ذلك انفصال الأسطح واحدة تلو الأخرى، وقد يؤدي تكرار حدوث هذا النمط من التلف لفترات زمنية طويلة ليس فقط إلى تشويه أسطح المباني الأثرية وضياع ما قد يكون عليها من نقوش وكتابات، بل ربما إلى اختلال توازن الوحدات المعمارية ذاتها [6].

ج. ضعف التماسك بين ملاط الحوائط وخاصة إذا كان من النوع المصقول والملون قليل المسامية، وبين أسطح الجدران المكشوفة نتيجة لاختزانه لطاقة حرارية عالية، حيث يترتب على ذلك انفصال كتل من الملاط عن أسطح الجدران إما على هيئة كتل كبيرة الحجم إما على هيئة قشور تنفصل تباعاً مع مرور الزمن [7].

د. تشقق وتقشر الطبقات الخارجية للأسطح المكشوفة من جراء حدوث تحولات طورية للحبيبات المعدنية المكونة لهذه الأسطح؛ للارتفاع الكبير في درجة حرارتها نتيجة لتعرضها لأشعة الشمس المباشرة ويحدث هذا النمط من التلف عادة في الأحجار النارية والمتحولة وفي ملاط الحوائط [8].

التقشر

يقصد بتقشر الصخور انفصال الأجزاء الخارجية من الصخور المستخدمة في جدران مباني المدينة على شكل قشور، ويرجع سبب التقشر لعمليات التمدد والانكماش، ودرجة التجانس في التركيب المعدني، ويزداد هذا التمدد على الأسطح الخارجية للمباني الأثرية لتعرضها المباشر للشمس، كما يحدث التقشر عندما يقل ضغط الحمل المسلط على المباني السفلية التي تتكون من طابقين أوأكثر، وبتالي تزداد عمليات التقشر [9]، وهذا ما لوحظ في مباني مدينة طرابلس القديمة التي كانت قبل انهيارها مكونة من طابقين أو ثلاث طوابق فتظهر عليها بعد انهيارها أضرار واضحة ناتجة من التقشر كما إن إعادة استخدام قطع من مواد البناء الأثرية في المدينة القديمة التي سبق وان تعرضت إلى إجهاد سيعرضها حين استخدامها في مباني ذات الطابق الواحد إلى عدم إطالة عمر المبنى حيث ستظهر أضرار التقشر في وقت سريع على تلك القطع المعاد استخدامها كونها قد سبق وتعرضت إلى إجهاد كبير.

مما سبق ستظهر عمليات التقشر كإحدى عوامل التجوية الفيزيائية المتمثلة بالعامل الحراري الذي يعرّض أسطح المباني الأثرية لفعل التسخين والتبريد المتواليين، فعندما تتعرض أسطح المباني لحرارة مرتفعة تباعاً لسقوط أشعة الشمس الشديدة عليها أثناء النهار ، ثم تتعرض للبرودة السريعة أثناء الليل ينتج عن ذلك تكوين شقوق على أسطح المباني وخاصة في المناطق الضعيفة، وباستمرار حدوث هذه العملية يوماً بعد يوم تتجزأ الصخور المبنية منها جدران المباني وتتفتت إلى أجزاء صغيرة، ونتيجة لتوالي حدوث التسخين والتبريد على أسطح المباني يتفتت

السطح على هيئة قشور سطحية تتآكل فيها الحجارة من أعلى إلى أسفل بالتدريج، ويشتد أثر هذه العملية عندما يتميز مناخ المنطقة بارتفاع المدى الحراري اليومي والفصلي[10].

تأثير المعادن المكونة للصخور:

إن ألوان الصخور هو نتاج ألوان المعادن المكونة لها والنسيج الذي ينظمها والعوامل التي تعرضت لها، كما أن لون المعدن هو نتاج التركيب الكيميائي والبيئة التي يتكون فيها، وأن لهذه المعادن ألوان مختلفة، منها ما هو داكن اللون، ومنها ما هو عكس ذلك، وعلى ضوء هذا نلاحظ أن الصخور ذات المعادن القاتمة تمتص الحرارة بصورة أسرع من المعادن الباهتة، وربما يساعد هذا على وجود اختلاف في تمدد أجزاء الصخور المستخدمة في جدران المباني داخل المدينة باعتبار أن المعادن تختلف عن بعضها من حيث التركيب والنشأة واللون وعامل التمدد والانكماش، مما يؤدي إلى تكوين ضغوطات صغيرة داخل الصخور، ومن ثم تحدث كسور دقيقة في الجدار، من المحتمل أن يصاحب ذلك تفتت حبيبي[11].وهذا ما تمت ملاحظته على الصخور المستخدمة كمواد بناء في المباني الأثرية داخل المدينة شكل (4).

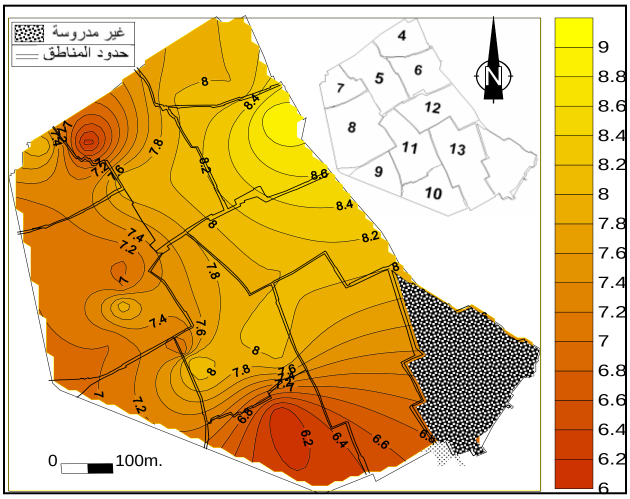

شكل (4) خارطة توضح توزيع الرتب اللونية حسب الشدة والضعف في تركيز الألوان الصخور.

بعد أن تم التعرف على التجوية الفيزيائية والعوامل المساعدة لها وميكانيكيتها أصبح من الضروري معرفة أنواع ضرر هذا النوع من التجوية والوقوف على انتشاره، وشدته الظاهرة على المباني الأثرية في مناطق مدينة طرابلس القديمة، وقد تم تصنيف أضرار التجوية الفيزيائية على المباني إلى عدة أنواع، وذلك حسب تصنيف (Fiznar) لسنة 2002ف[12] على النحو الآتي:

1. الفقدان الرقائقي (Back weathering due to loss scales)

عُرف هذا النوع بالتجوية الخلفية الناتجة بسبب فقدان قشرة الصخور على هيئة قشور تم مشاهدتها [13] على بعض أجزاء المباني المعرضة لعوامل التلف الفيزيائية، حيث إن درجة الضرر من هذا النوع يتراوح إجمالاً ما بين الشديد والمعتدل. شكل (5).

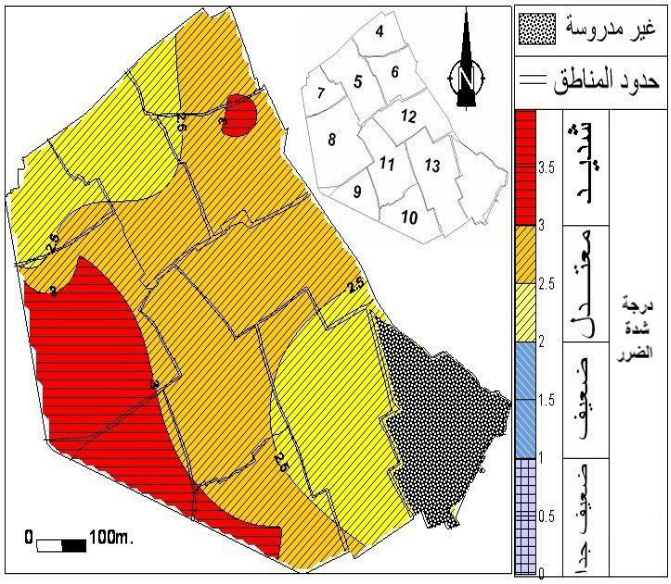

شكل (5) خارطة توضح توزيعات أضرار التجوية الخلفية الداخلية والناتجة من فقدان الأجزاء القشرية للكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء، أكثر الأضرار شدة تنحصر في الجزء الجنوبي الغربي وأقلها تنحصر بالشمال الشرقي.

من الخارطة السابقة في شكل (5) يتضح أن الضرر منتشر في بعض مباني المدينة وخاصة على الأسطح الخارجية للمباني حيث أنها معرضة لعوامل التلف الطبيعية المتمثلة بالتجوية الفيزيائية أكثر من الجدران الداخلية للمباني، كما أن هناك مناطق في المدينة لم يلاحظ فيها وجود أضرار من هذا النوع شكل (6).

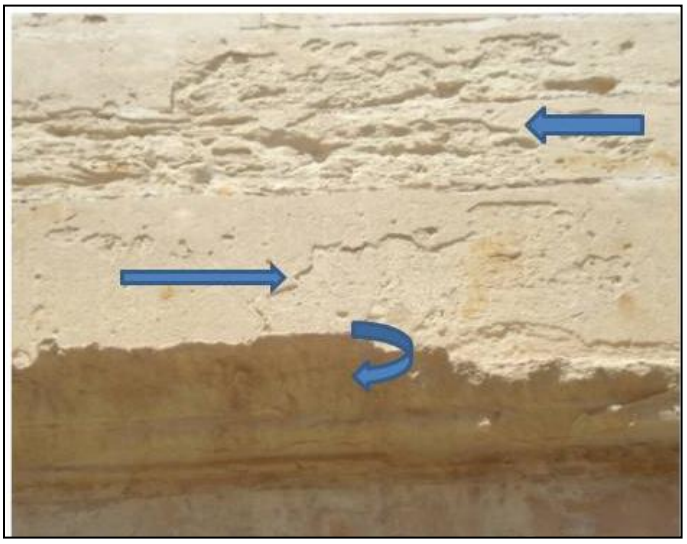

شكل (6) مشاهدات من أثر التجوية الفيزيائية على واجهة أحد مباني المدينة القديمة بطرابلس، وهي الفقد الرقائقي، (تصوير الباحث).

لم يرتبط ضرر التجوية الخلفية بتركيب صخري معين؛ ولهذا السبب لوحظ في أنواع مختلفة ومتنوعة من صخور المدينة، فقد لوحظ على صخور المدينة الجيرية والجيرية الفتاتية وكذلك على صخور الرخام (Marble) المميزة لقوس ماركوس، ومما تجدر الإشارة إليه شيوع هذا النوع من الأضرار في الحجر الجيري الفتاتي، والعائد لمكاشف صخور تكوين قرقارش، الشائع الانتشار قرب المدينة وعلى طول ساحل البحر القريب من المدينة القديمة. يلاحظ من الخارطة شكل (5) أن أكثر الأضرار شدة تتركز في الجانب الغربي والجنوبي الغربي من المدينة، حيث مناطق (9 ،8) والجزء الجنوبي الغربي من المنطقة (10) والجزء الشمالي من المنطقة (6) في حين تجد أقل الأضرار شدة تنحصر في المنطقة الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية، أما الأضرار المعتدلة الشدة فقد توزعت في المنطقة الوسطي والشرقية والشمالية الشرقية شاملة المناطق (12،11،6،5،) وأجزاء من مناطق (10 ،4 ،8).

2. التشظي والتفتت (Back Weathering due to loos of crumbs/ splinbers)

يعرف هذا النوع من التجوية بأنها فقدان في الفتات أو الشظايا في الصخور، وتحديداً تلك المعرضة للتجوية الفيزيائية على أسطح المباني الموزعة داخل المدينة القديمة بكل مناطقها الإدارية، حيث إن درجة الضرر من هذا النوع من التجوية يتراوح إجمالاً ما بين الشديد والمعتدل شكل (7).

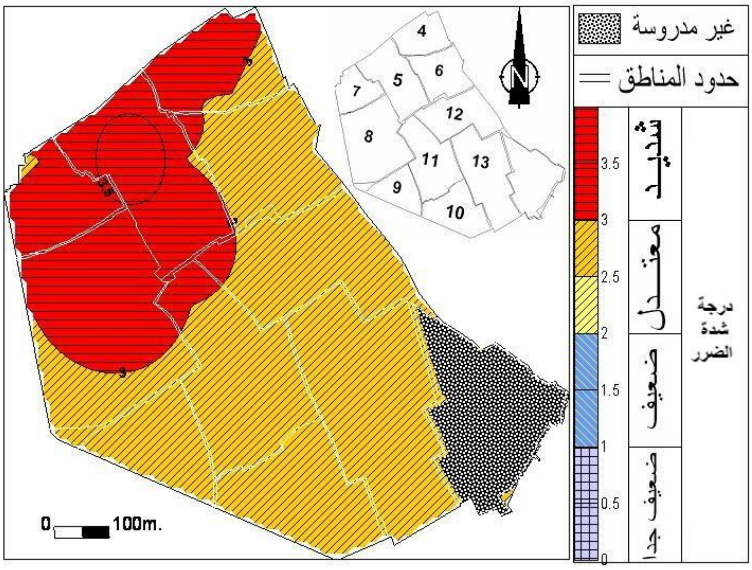

شكل (7) خارطة توضح توزيعات أضرار شدة التجوية الخلفية الناتجة من تفتت وتشظي السطح الخارجي للكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء في المدينة.

بالنظر في الخارطة شكل (7) نجد أن هذا الضرر منتشر في الجزء الشمالي بشكل كبير على الأسطح الخارجية لتلك المباني أكثر مما هو عليه الحال في الأسطح الداخلية لها، وربما يكون السبب في ذلك هو أن الجدران الخارجية للمباني هي الأسطح الأكثر عرضة للجو ولأشعة الشمس المباشرة أكثر من الأسطح الداخلية وخاصة في المباني المسقوفة. تنحصر أكثر الأضرار شدة في الجزء الشمالي والشمالي الغربي واجراء من الوسط وأقلها بالجنوب، شكل (8).

شكل (8) واجهة أحد جدران المباني الخارجية حيث يلاحظ أثر التجوية الفيزيائية بالتشظي والتفتت (تصوير الباحث).

يلاحظ من الخارطة في شكل (7) أن اضرار التجوية الفيزيائية بالتشظي والتفتت لم يشمل نوع معين من الصخور المستخدمة في المدينة كمواد بناء للمباني ولذلك نجده منتشر في أغلب مناطق المدينة حيث لوحظ أثره على الصخور الجيرية الفتاتية والصخور الجيرية واللذان يعتبران من أكثر الصخور استخداماً في مباني الأثرية داخل المدينة وخاصة في منطقة رقم (5) وقد تركز هذا النوع من التجوية بشكل ملحوظ على المبنى التاريخي المعروف باسم (حوش روزاريو). تتركز أكثر الأضرار شدة لهذا النوع من التلف في الجزء الشمالي والشمالي الغربي من المدينة القديمة حيث المناطق (5 ، 7) وجزء كبير من المناطق (4،8)وبعض الأجزاء من المنطقة رقم (11)في حين نجد أقل الأضرار شدة تنحصر في الجزء الأوسط، والجنوبي من المدينة، وقليلاً من الجزء الشمالي الشرقي، حيث المنطقة (6) والجزء الجنوبي، والجنوبي الغربي شاملة الجنوبي الشرقي من المنطقة (4)، وبذلك انفرد هذا النوع من الضرر على المباني السكنية الواقعة في الجزء الشمالي من صخور دور المدينة، وكذلك الحال في الجزء

الشمالي الغربي من السور الخارجي للمدينة والمحاذي لمنطقتي (7، 8) وهي تعتبر أكثر المناطق عرضة للعوامل الطبيعية المتمثلة بارتفاع وانخفاض درجات الحرارة.

3. فقدان قشرة السطح الخارجي للصخور (Back weathering due to loss of crusts)

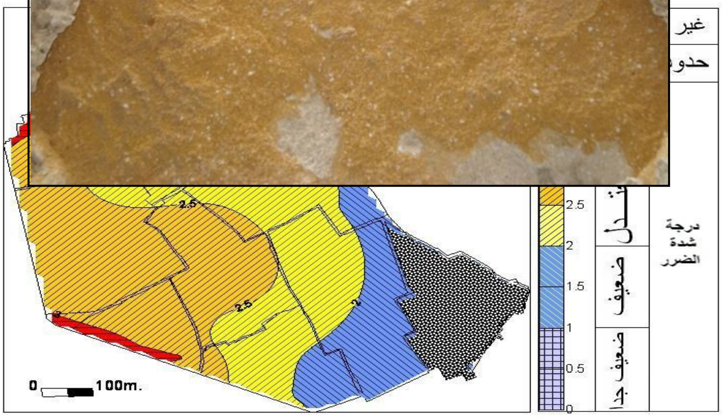

انتشر هذا النوع من الضرر على كافة مناطق المدينة القديمة بنسب متفاوتة من حيث الشدة والضعف من جهة، ومن منطقة إلى منطقة من جهة أخرى، حيث نشاهد أن أثر هذا الضرر يزداد على أسطح المباني الخارجية، المعرضة للشمس المباشرة أكثر فترة ممكنة سواء كانت هذه الشمس يومية أو فصلية، على عكس من المناطق المغطاة أو الواقعة في الظلال فنجد الضرر ضعيف وضعيف جداً، خارطة شكل (9).

شكل (9) خارطة توضح توزيعات شدة التجوية الخلفية الناتجة من فقدان القشور من السطح الخارجي للكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء في المدينة.

تزداد شدة ضرار التجوية الفيزيائية المتمثلة في فقدان قشرة السطح الخارجي للصخور نحو الشمال الغربي والجنوب الغربي. لم يرتبط هذا النوع من الضرر بنوع معين من الصخور المستخدمة كمواد بناء في جدران المباني الأثرية داخل المدينة، شكل (10).

شكل (10) فقدان قشرة السطح الخارجي على واجهة أحد المباني المدينة القديمة بطرابلس الناتجة من إثر التجوية الفيزيائية وهي (تصوير الباحث).

نجد أن أكثر الأضرار شدة تنحصر في الجانب الشمالي الغربي والجنوبي الغربي من المدينة حيث شغل جزء من منطقة (7) والجزء منطقة (9)، في حين نجد ان الأضرار المعتدلة انحصرت في معظم مناطق المدينة كما الحال في الجزء الشمالي والجنوبي شاملة مناطق (4، 5، 6، 8، 11، 12) وجزء كبير من منطقة (9، 7) أما عن المناطق التي كان فيها شدة الضرر ضعيفة فانحصرت في الجزء الجنوبي الشرقي شاملة أجزاء من مناطق (10، 12، 13).

من خلال المشاهدات الحقلية نلاحظ أن أقل الأضرار كانت منحصرة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، وربما السبب في ذلك أن هذه المناطق تعتبر أكثر المناطق اهتماما حيث توجد فيها عدد كبير من المساجد والمحلات التجارية فضلاً على أنها تعتبر أكثر مساحة مغطاة وخاصة الازقة بين المحلات التجارية، ومثل هذه المناطق تتلقي الكثير من الصيانة والاهتمام القاضي بإضعاف أضرار التجوية فيها.

4. التثلم والتكوير (Rounding and notching)

يعرف هذا النوع من الضرر أحياناً بالشحذ أو الصقل حيث تم ملاحظته على أسطح المباني الأثرية داخل المدينة القديمة وقد تراوحت درجة الضرر إجمالاً ما بين شديد وضعيف، خارطة شكل (11).

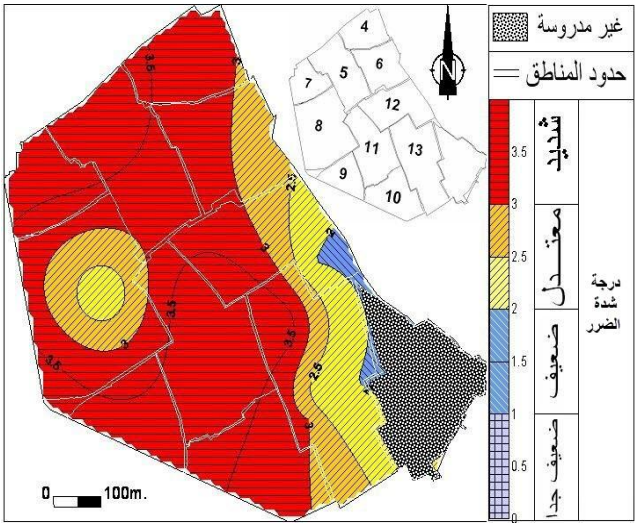

شكل (11) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية والناتجة من تثلم وتكور السطح الخارجي للكتل الصخرية المستخدمة كمواد.

لقد ظهر أثر هذا الضرر على معظم مناطق المدينة القديمة، وقد لوحظ بشكل واضح على أسطح المباني بمختلف أنواعها، شكل (12).

شكل (12) التثلم والتكوير الناتج من أثر التجوية الفيزيائية والدي يلاحظ بشكل واضح على جدار أحد المباني المدينة القديمة بطرابلس (تصوير الباحث)

بالنظر في الخارطة شكل (11) نلاحظ ان أكثر الأضرار شدة تركزت في معظم مناطق المدينة من الشمال إلى الجنوب قد شملت مناطق (4،5، 7، 9، 11) في حين نجد أقل الأضرار شدة وهي المعتدلة تنحصر في الجزء الشمالي الشرقي شاملة أجزاء من مناطق (12، 13) وجزء كبير من منطقة (6)، كما نجد أن أقل الأضرار شدة والذي وهو الضعيف، منحصر في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة حيث منطقة (12،13).

من خلال ملاحظة هذا النوع من الضرر نجد أنه كلما اتجهنا نحو الشرق يقل الضرر **وقد يكون** السبب في هذا عدم تعرض هذا الجزء إلى أشعة الشمس الشديدة بعكس الجهة الغربية للمدينة التي تكون معرضة لأشعة الشمس في أغلب ساعات النهار.

5. التجوية السنخية (الشبيه بخلايا النحل) (Alveolar Weathering)

عُرف Rothert، وآخرون هذا النوع من التجوية الفيزيائية (بالتجوية السنخية) وهي على شكل خلايا النحل، ونلاحظ هذا النوع من الضرر على الصخور في بداية الأمر عبارة عن تمركزات لبقع ملحية، والتي بدورها ستسلط ضغوط تسبب في تفتت السطح القريب منها مع تقادم الزمن، لتزداد شدة تركيز هذه الأملاح في الطور الخامس، وهو ما ستصل إليه الكتل الصخرية، شكل (13).

شكل (13) نموذج يوضح ميكانيكية التجوية الفيزيائية على الصخور بأطوارها الخمس
(E. ROTHERT Stone properties and weathering induced by)

إن سبب هذا النوع من الضرر يرجع إلى تشقق أو الفقدان الجزئي لغلاف الخارجي للصخور نتيجة للإجهاد الميكانيكي الناتج من ارتفاع وانخفاض أشعة الشمس، والذي ينتج عنه تمدد

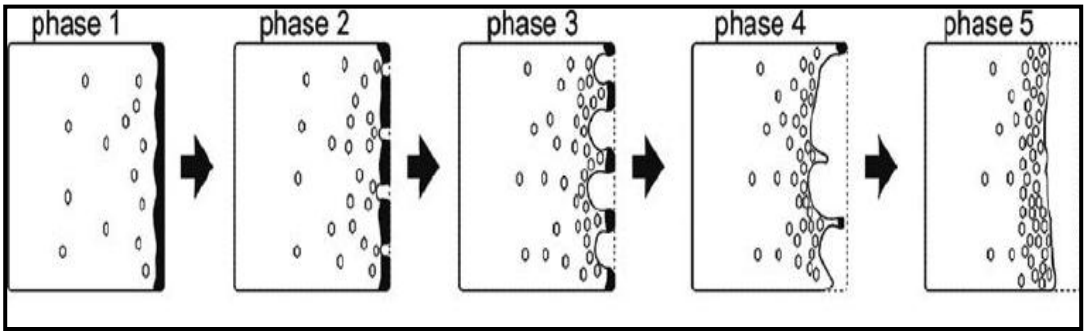

وانكماش المعادن الموجودة في الصخور [14]، حيث إن درجة شدة هذا النوع من الضرر على أسطح المباني والسور الغربي من الداخل والخارج للمدينة يتراوح إجمالاً ما بين الشديد والمعتدل، خارطة شكل (14).

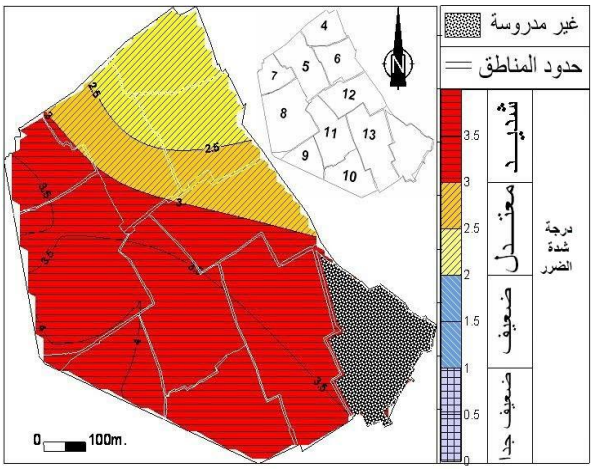

شكل (14) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الشبيهة بخلايا النحل، والظاهرة على أسطح الكتل المستخدمة كمواد بناء يلاحظ انخفاض درجة شدة هذا الضرر كلما توجهنا باتجاه الشمال الشرقي من المدينة القديمة.

من الملاحظات الميدانية بمنطقة الدراسة يتضح جلينا أن ضرر التجوية الفيزيائية الشبيه بخلايا النحل قد أثر على أسطح الجدران التي تكون فيها الصخور مكشوفة لأشعة الشمس المباشرة دون وجود حاجز مثل الملاط أو غيره يمنع وصول حرارة الشمس إلى داخل هذه الصخور، شكل (15).

شكل (15) يوضح أثر التجوية الشبيه بخلايا النحل على مواد بناء لبعض المباني بالمدينة القديمة (تصوير الباحث).

كما نلاحظ أن أثر هذا الضرر اقتصر على نوع معين من الصخور المستخدمة كمواد بناء في جدران المباني داخل المدينة، وخاصة السور الغربي الخارجي للمدينة، على عكس الأضرار السابقة التي نلاحظها على أنواع مختلفة من الصخور وبدرجات مختلفة، حيث تمثل هذا النوع بصخور الكالكرنيت التي تعكس النوع الأكثر استخداما وشيوعا في المدينة القديمة، والتي تعود إلى صخور مكاشف تكوين قرقارش ، حيث تركزت أكثر الأضرار شدة في الجانب الشمالي الغربي وأكثر من النصف الجنوبي للمدينة، حيث المناطق (7، 8، 9، 10، 11، 13) وأجزاء بسيطة من المناطق الجنوبية (5،12) في حين نجد أقل الأضرار وهي المعتدلة مركزة في الجانب الشمالي للمدينة شاملة لمناطق (4، 6) وأجزاء كبيرة من مناطق (5،12).

5. التجوية المعتمدة على تركيبة الصخر الأصلي (Weathering out dependent on stone structure)

عُرف هذا النوع من التجوية على أنها التجوية الخارجية المعتمدة على تركيبة الحجر (Fitzner 2004) [15]، وتحديداً تلك المعرضة للتجوية الفيزيائية، والتي نلاحظها منتشرة على أسطح جدران المباني داخل المدينة القديمة. شكل (16).

شكل (16) يوضح أثر التجوية الفيزيائية على جدار أحد المباني وهي التجوية المعتمدة على تركيبة الصخر الأصلي (تصوير الباحث).

بالنظر في خارطة شكل (17) نلاحظ أن درجة الضرر من هذا النوع يتراوح إجمالاً ما بين الشديد والمعتدل، خارطة شكل (17).

نلاحظ ان أثر هذا الضرر متركز في النصف الشمالي من المدينة القديمة أكثر من النصف الجنوبي الذي نلاحظ فيه الأضرار المعتدلة والضعيفة، كما أن هذا النوع من الضرر لم يشمل نوع معين من الصخور المستخدمة في جدران المباني الأثرية داخل المدينة ولذلك نجده موزع في مناطق مختلفة داخل المدينة القديمة.

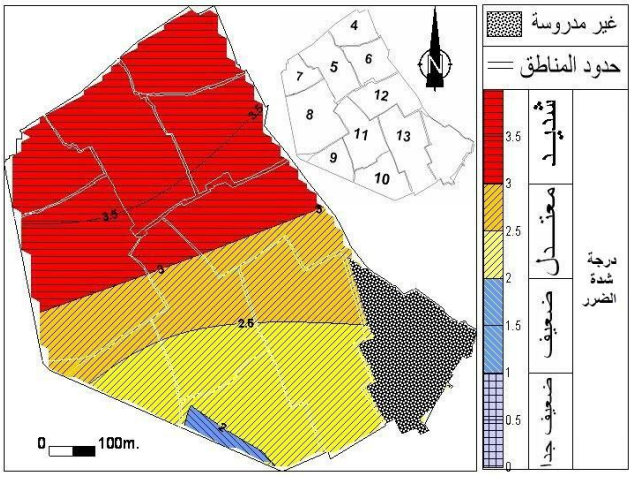

شكل (17) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الخارجية المرتبطة بما تحتويه الكتل المستخدمة كمواد بناء من تراكيب وبني رسوبية، والتي تزداد شدتها شمالا.

تتركز الأضرار الشديدة في النصف الشمالي من المدينة حيث المناطق "4، 5، 6، 7" والأجزاء الشمالية من مناطق (11،12، 8)، أما عن الأضرار المعتدلة فكانت في النصف الجنوبي شاملة المناطق (9، 10، 13) والأجزاء الجنوبية من منطقتي (11، 12) كما نلاحظ أثراً للأضرار الضعيفة في الجزء الجنوبي الشرقي من منطقة (10). ومن خلال انتشار هذا الضرر داخل المدينة القديمة، والذي انحصر في جزئيين شمالي وجنوبي، نلاحظ أن المناطق الشمالية تكاد تكون مفتوحة من الجهة الشرقية المطلة على البحر مباشرة، حيث تأتي إليها الرياح القوية، والشمالية الغربية تكون معرضة لأشعة الشمس الشديدة أغلب أوقات النهار، وهذان العاملان الرياح والشمس لهما التأثير المباشر على أسطح المباني الأثرية، بعكس النصف الجنوبي من المدينة الذي يحميه من جهة الشرق جزء من السرايا الحمراء وبعض المباني الحديثة، أما من جهة الجنوب الشرقي فتوجد المحلات التجارية و اغلبها مسقوفة الممرات، ولهذا فإن احتمال تأثير الضرر الناتج من التجوية الفيزيائية يضمحل تحت هذه السقوف فيما نجده على أشده في أسطح هذه الأبنية .

6. تجوية مكونات الصخر الغير المقاومة للتجوية (Weathering out of stone components)

وهي إحدى أشكال التجوية الفيزيائية التشكيلية او التضاريسية (Relief_weathering) وفيها تتشكل كتل البناء الحجرية بالمدينة بسبب فعل عمليات التجوية التفاضلية (Selective weathering) على المكونات الصخرية الأقل مقاومة لعوامل التجوية مثل وجود العقد الصخرية بمختلف أنواعها ضمن الكتل الصخرية لمواد البناء المستخدمة يلاحظ أن جميع الأضرار بدرجاتها الشديدة والمعتدلة والضعيفة انتشرت في اتجاهات مختلفة من المدينة القديمة، وإن درجة الضرر من هذا النوع تتراوح إجمالاً ما بين الشديد والمعتدل والضعيف، خارطة شكل (18).

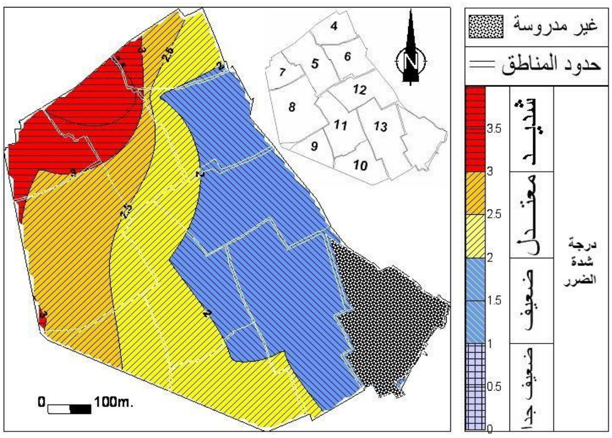

شكل (18) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الخارجية المرتبطة بالتركيب الصخري للكتل الحجرية المستخدمة كمواد بناء بالمدينة القديمة.

من الخارطة شكل (18) نلاحظ أن هذا الضرر لم يشمل نوع معين من الصخور المستخدمة كمواد بناء في جدران المدينة القديمة، وبذلك نجده بدرجات متفاوتة في بعض مناطق المدينة القديمة، حيث نجد إن أكثر الأضرار شدة انحصرت في الجزء الشمالي والشمالي الغربي شاملة منطقتي (5، 7)، وأجزاء بسيطة من منطقتي (4)، في جهة الغرب و (8) من جهة الجنوب الغربي.

أما الأضرارالمعتدلة فنجدها انحصرت في الجزء الغربي من المدينة القديمة حيث المناطق (8، 9)، وأجزاء كبيرة من منطقة (4، 10، 11)، أما بالنسبة عن للمناطق (6، 12) فكان الضرر محصور في أجزاء بسيطة من ناحية الغرب في حين نجد الأضرار الضعيفة متركزة في جهة الشرق من المدينة شاملة منطقة رقم (13) وأجزاء كبيرة من منطقتي (6، 12) ونصف منطقة (11) تقريباً، وكما ذكرنا سابقاً تعتبر المنطقة الشرقية والشرقية الجنوبية أكثر جهة من المدينة القديمة حماية من عوامل التلف الطبيعية مثل الشمس والرياح. شكل (19).

شكل (19) أثر التجوية الفيزيائية على أحد الصخور المستخدمة في السور الغربي في المدينة القديمة بطرابلس وهي تجوية مكونات الصخر الغير المقاومة للتجوية (تصوير الباحث).

7. إزالة لمكونات الصخرية (clearing out of stone components)

يعتبر هذا الضرر احدى اشكال التجوية الفيزيائية المتمثلة في فقدان مادة الصخر وهو أحد اشكال التجوية التشكيلية او التضاريسية أيضا (weathering Relief) حيث يتشكل بواسطة الصخر على هيئة مكونات صخرية متراصة بارزة الى الخارج مثل حبيبات الحصى وقطع المتحجرات وكذلك العقد الصخرية وذلك نتيجة لفعل عمليات التجوية التفاضلية (Fitzner et alg2004) شكل (20).

شكل (20) يوضح أثر التجوية الفيزيائية وهي إزالة لمكونات الصخرية على جدار أحد المباني على يسار الشكل وعمود من الرخام من قوس ماركس على يمين الشكل بالمدينة القديمة بطرابلس (تصوير الباحث).

من خلال ملاحظة هذا النوع من الضرر بمختلف مناطق المدينة القديمة تم رصد هذه الأضرار من حيث الشدة والضعف من جهة وتحديد أماكنها من جهة أخرى، هذا بالإضافة إلى أن هناك مناطق أيضاً ضمن مساحة المدينة لم تلاحظ فيها أي ضرر من هذا النوع، خارطة شكل (21).

بالنظر الى الخارطة شكل (21) نلاحظ ان أكثر الأضرار شدة تنحصر في الجزء الشمالي من المنطقة (5)، وأجزاء من منطقتي (7، 8) في حين الأضرار المعتدلة كانت منتشرة في أغلب مناطق المدينة من الشمال وحتى الجنوب، شاملة بذلك مناطق (10،9، 11، 13) وأجزاء كبيرة في الشمال الغربي من منطقتي (4، 6) أما عن الأضرارالضعيفة نجدها في الجهة الشمالية الشرقية، حيث أجزاء كبيرة الشمالية الشرقية من منطقتي (4، 6) أجزاء صغيرة من مناطق (12، 5، 7).

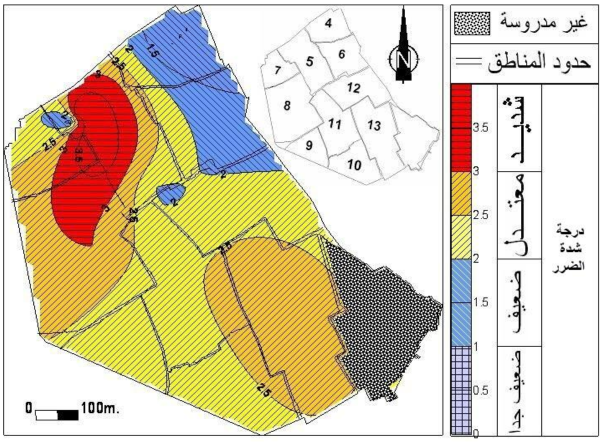

شكل (21) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الخارجية الناتجة من تفتيت وتكسير وإزالة المكونات الخارجية لسطح الكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء بالمدينة القديمة.

8. الانفصال القشري الرقيق (Scale due to tooling of the stone surface)

هذا الضرر يتبع المجموعة الثالثة لأضرار التجوية الفيزيائية من تصنيف (Fitzner et al2004) والتي أطلق عليها مصطلح مجموعة التجوية الانفصالية (Detachment)، هذه

المجموعة من اضرار التجوية الفيزيائية (الانفصالية) تتميز بانفصال قطع صخرية مسطحة كبيرة الحجم في اتجاه موازي لسطح الصخر وليس موازي لاي من أسطح التراكيب المكونة للصخر.
وفي هذا النوع الانفصالي القشري الرقيق يحدث انفصال قشور رقيقة من كتل احجار البناء وكذلك الصخور نتيجة لتجوية سطح الصخر (2004 etal Fitzner).

حيث تراوحت درجة هذا الضرر إجمالاً ما بين الشديد والضعيف، خارطة شكل (22).

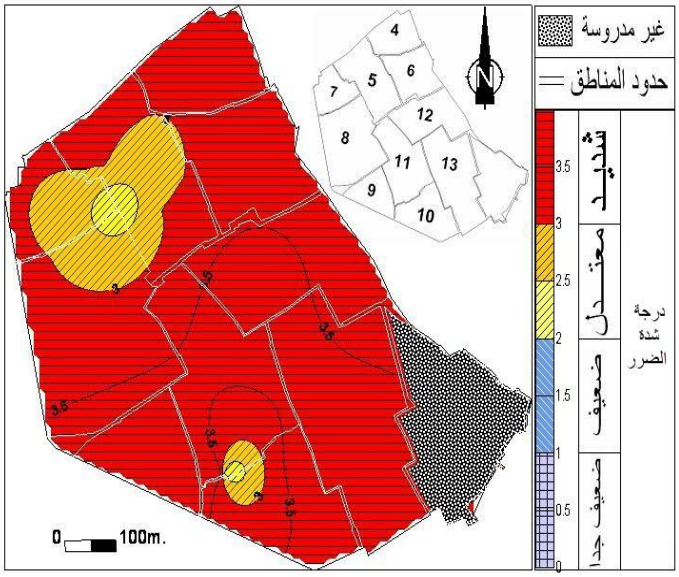

شكل (22) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الناتجة من التقشير لأسباب صناعية، يعود هذا النوع إلى مجموعة أضرار التجوية الثالثة ظهرت هذه الأضرار في أقصى شدتها في كافة مناطق المدينة باستثناء أجزاء من مناطق (5، 8 ،7، 10، 11).

كان أثر هذا الضرر منتشر في جميع مناطق المدينة القديمة بشكل كبير لدرجة ملاحظته على الأسطح الخارجية والداخلية لتلك المباني، شكل (23). هذا النوع من الأضرار لم يشمل نوع معين من الصخور المستخدمة في المباني داخل المدينة بل وجد منتشراً في أغلب المناطق. تركزت أكثر الأضرار شدة في المناطق (4،6، 8، 9، 10، 11، 12، 13) والأجزاء الشمالية من منطقتي (7، 8) أما الأضرار المعتدلة فكانت منحصرة في الجهة الشمالية من المدينة القديمة شاملة الجزء الأوسط من منطقة (5) وأجزاء الشمالية الغربية من مناطق (7،8) و في الجزء الجنوبي من المدينة حيث المناطق (10،11).

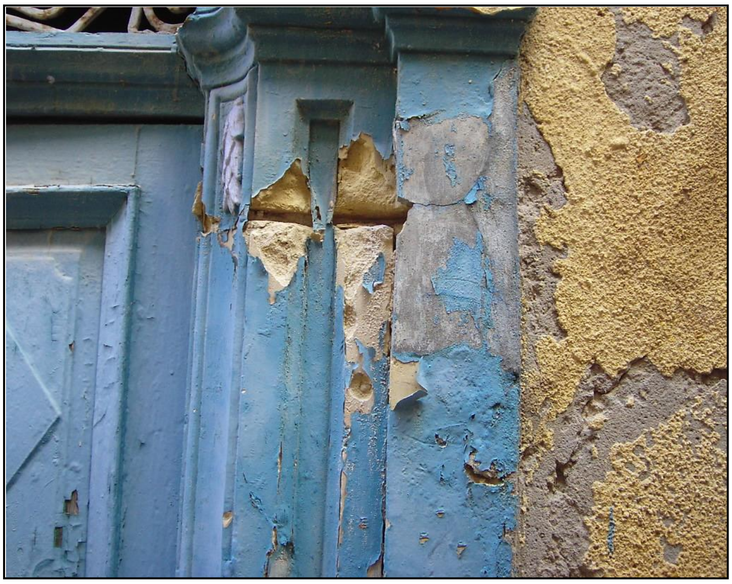

شكل (23) أثر التجوية الفيزيائية على الواجهة الأمامية لأحد المباني داخل المدينة القديمة بطرابلس، وهي الانفصال القشري الرقيق وهو من أكثر الأنواع انتشارا داخل المدينة (تصوير الباحث).

9. التفتت الحبيبي والقشري (Granular disintegration into sand to single flakes) وهو يتبع ايضاً المجموعة الثالثة الانفصالية من تصنيف (Fitzner et al 2004) وفيه تنفصل الكتل الصخرية سواء الطبيعية في الحقول أم المستخدمة كمواد بناء على هيئة حبيبات في حجم الرمل أو على هيئة رقائق منفردة.

نلاحظ أن أثر هذا الضرر قد انتشر على أسطح المباني الخارجية بالمدينة القديمة والتي تكون معرضة بشكل مباشر لأشعة الشمس والعوامل البيئية الأخرى المباشرة مثل الرياح والامطار دون حاجز من الملاط أو غيره بشكل واضح، وقد تراوحت درجة شدة ضرر هذا النوع من التجوية الفيزيائية ما بين الشديد والمعتدل، خارطة شكل (24).

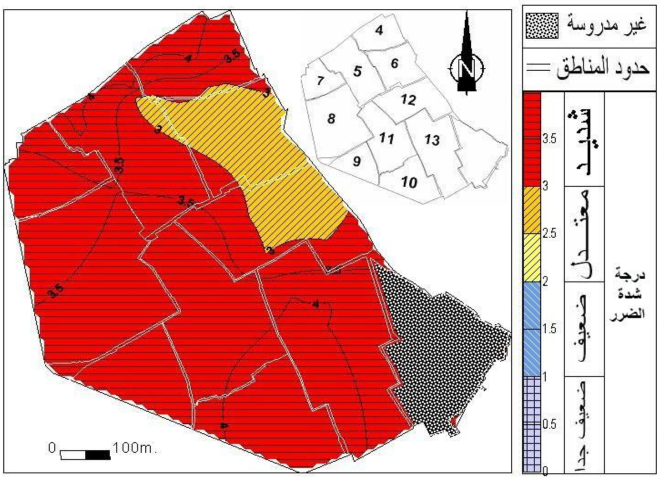

شكل (24) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الناتجة من التفتت والترقق الرملي، والذي يظهر في كافة مناطق المدينة القديمة بطرابلس.

شكل (25) أثر التجوية الفيزيائية على واجهة أحد المباني داخل المدينة القديمة بطرابلس، بواسطة التفتت الحبيبي والقشري (تصوير الباحث).

من خلال الدراسة الميدانية يتضح ان هذا النوع من الضرر قد تركز على نوع واحد من الصخور المستخدمة كمواد ناء في جدران المباني وهي أحجار الاوليت (Oolite)، والتي تسبب في انهيار المباني الأثرية بشكل سريع. شكل (25)، بالنظر في الخارطة شكل (24) نلاحظ الأضرار الشديدة قد انتشرت بشكل كبير في المدينة القديمة شاملة أغلب المناطق، (4،5،7، 8، 9، 10،11،12، 13،) وأجزاء صغيرة من منطقتي (6،12) في حين نجد الأضرار المعتدلة تنحصر في منطقتي (6،12).

10. التفتت الحبيبي المتغير إلى قشور مفردة: Cranular disintegration into grus) to (single flakes

وهو أحد اضرار التجوية الفيزيائية التابع للمجموعة الثالثة من تصنيف (2004 al et Fitzner) ويعتبر كذلك أحد اشكال التجوية التي تتغير فيها الحبيبات الى قشور والتي تنفصل عن الكتل الصخرية لمواد البناء.

لقد انتشر هذا النوع من الضرر في جميع مناطق المدينة القديمة بشكل كبير وبدون استثناء وبنفس درجة الشدة وقد كانت درجة ضرره شديدة. خارطة شكل (26).

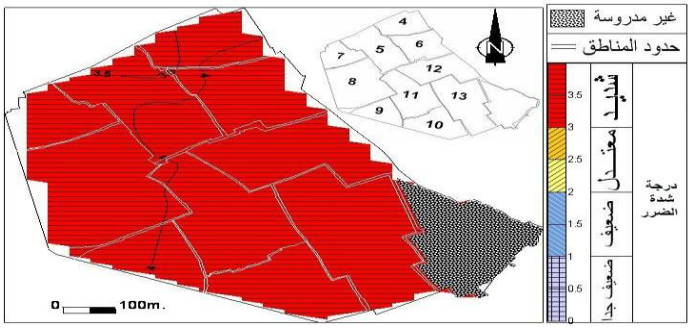

شكل (26) خارطة توضح توزيعات أضرار التجوية الناتجة من انفصال الأسطح المكونة للصخور المستخدمة كمواد بناء في المدينة القديمة، على هيئة حبيبات تتغير الى قشور.

من خلال الدراسات الميدانية يتبين أن هذا الضرر قد أثر بشكل واضح على المباني وخاصة التي لم تحض بأعمال صيانة أم ترميم منذ بنائها شكل (27).

شكل (27) أثر التجوية الفيزيائية على واجهة قوس ماركوس داخل المدينة القديمة بطرابلس وهي التفتت الحبيبي المتغير إلى قشور مفردة (تصوير الباحث).

11. الانهيار او التفتت المتحول إلى تقشرات منفردة (Crumbling to single scale)

وهو أحد أنواع التجوية الانفصالية التابع للمجموعة الثانية من تصنيف (Fitzner et al 2004) وهو ايضاً أحد اشكال التجوية الانهيارية او التفتتية وفيه تنفصل كتل احجار البناء الصخرية في شكل قطع صخرية متراصة كبيرة الحجم وذات اشكال غير منتظمة (Fitzner et al 2004) شكل (28).

شكل (28) أثر التجوية الفيزيائية على واجهة أحد المباني داخل المدينة القديمة بطرابلس وهي الانفصال المتحول إلى تقشرات منفردة (تصوير الباحث)

يلاحظ ان هذا الضرر لم يفرق بين أنواع الصخور المستخدمة في جدران المباني داخل المدينة، وبذلك نجده منتشر في جميع مناطق المدينة والتي تراوح تراوحت درجة شدة ضرره ما بين الشديد والمعتدل، خارطة شكل (29).

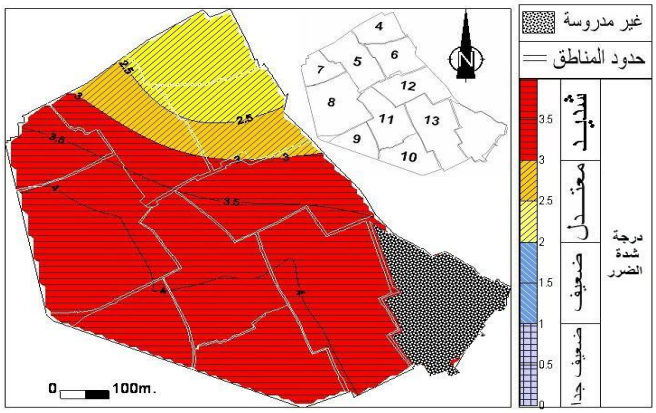

شكل (29) خارطة توضح توزيعات أضرار التجوية الناتجة من تفتت وانفصال قطع الصخور الكبيرة على شكل فتات والتي قد تتحول إلى قشور.

نلاحظ أن هذا الضرر يزداد شدة كلما اتجهنا نحو الغرب والجنوب ومناطق الوسط ويقل من حيث الشدة كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي والشمال، وبذلك تركزت أكثر الأضرار شدة في الغرب ومارة بجميع مناطق المدينة حتى الجنوب حيث المناطق (7، 8، 9، 10، 11، 13)، وأجزاء كبيرة من منطقتي (12،5) في حين نجد الأضرار الأقل شدة وهي المعتدلة قد تركزت في الجزء الشمالي والشمال الشرقي من المدينة حيث المناطق (6،4)، والنصف الشمالي الشرقي من منطقة (5).

12. تجوية الترققات المفردة المتحولة إلى تقشرات مفردة (single flakes to single scales)

وهو أحد اضرار التجوية الفيزيائية الانفصالية من المجموعة الثالثة من تصنيف (Fitzner et al 2004) ويعتبر أحد اشكال التجوية الترقية (Flking)حيث تنفصل منه كتل الصخور على هيئة ترقات صغيرة ونحيفة في اتجاه موازي لسطح الصخر، شكل (30).

شكل (30) أثر التجوية الفيزيائية على واجهة أحد المباني من الأعلى داخل المدينة القديمة بطرابلس، وهي تجوية الترقات المفردة المتحولة إلى تقشرات مفردة (تصوير الباحث).

لم يتم ملاحظة هذا النوع من الضرر بشكل كبير وشديد داخل المدينة القديمة رغم أن هذا النوع من الضرر يمكن تواجده على الصخور الرملية التي تعد أكثر استخداما في مباني المدينة القديمة، (الحجارة الرملية) خارطة شكل (31)، نلاحظ من الخارطة أن هذا النوع من الضرر انقسم إلى قسمين: قسم معتدل يشمل المناطق (4،5، 6، 7، 8)وأجزاء كبيرة من مناطق (9، 11، 12) ، وجزء صغير من منطقة (13)الواقع في الشمال، وقسم ضعيف نلاحظه في الجنوب والجنوب الشرقي من المدينة القديمة بالمناطق (10،13) وأجزاء صغيرة من منطقتي (11، 12) وكذلك في جهة الشمال الشرقي من المدينة في منطقتي (5، 6).

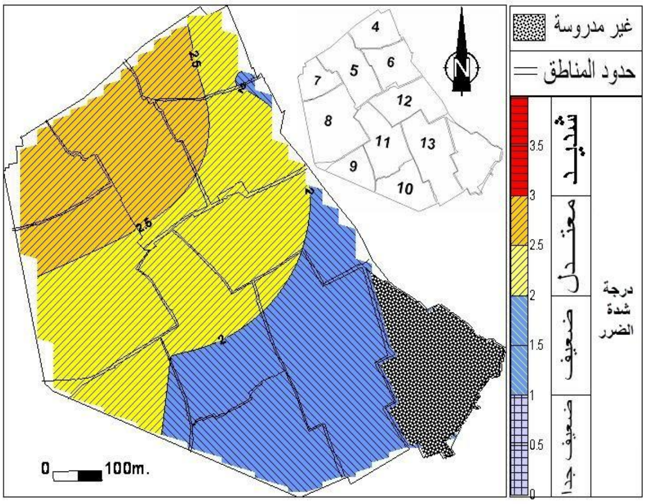

شكل (31) خارطة توضح توزيعات شدة أضرار التجوية الناتجة من انفصال الرقائق المفردة، وبشكل موازي لسطح الصخرة.

13. تجوية الشقوق الغير مرتبطة ببنى الصخر (Fissures independent of stone structure)

تعد تجوية الشقوق الغير مرتبطة ببنية الصخر احد الاضرار التابعة للتجوية الفيزيائية والتي تتبع المجموعة الرابعة للتجوية الفيزيائية حسب تصنيف (Fitzner et al 2004) والتي تعرف بالشقوق (Fissures) في هذا النوع من الضرر نجد أن الشقوق التي تعمل على تجوية الصخر لا تعتمد على الظواهر التركيبية للصخر مثل التطبق والتورق و الالتواء وغيرها يعتبر هذا النوع من الضرر من أخطر الأضرار الناتجة عن التجوية الفيزيائية التي من الضروري أن تستدعي اهتمام القائمين على الصيانة والترميم بحيث تُعطي لها الأولوية عن ما سبق من الأضرار المشاهدة داخل المدينة، وقد تكون هذه الأضرار المتمثلة بالشقوق على درجة من الخطورة قد تؤثر في عمر المبنى وتسبب في انهياره كما هو الحال داخل مدينة طرابلس القديمة، شكل (32) حيث تم مشاهدة هذا النوع من الضرر في أكثر المباني داخل المدينة، وبدرجات متفاوتة من حيث الشدة والضعف.

شكل (32) أثر التجوية الفيزيائية على واجهة أحد المباني من الأعلى، وبعض من الأقواس داخل المدينة القديمة بطرابلس، وهي تجوية الشقوق الغير مرتبطة يبُنى الصخر (تصوير الباحث).

ينتج هذا الضرر على الأسطح الخارجية للمباني هو نتيجة لفرق الهبوط الناتج لحركة المياه تحت الأساسات والميل الشديد أو الالتواء الناجم من إنشاء مبنى عال مجاور أو حفر بدون أساسات والتآكل والتفتت الذي يحدث في الأحجار مع تقدم في عمر المبنى، أو نتيجة الأملاح والرطوبة وعدم صيانة توصيلات الصرف الصحي هذا بالإضافة إلى انهيار مبنى يكون في منتصف مجموعة من المباني مما يؤدي إلى خلخلة المباني المجاورة وضعف الرباط بين الجدران الخارجية لتآكل المباني مما يؤدي إلى ظهور الشقوق على الأسطح الخارجية للمباني، وهذا ما ينطبق على أغلب مباني المدينة القديمة، وتتراوح الأضرار هذا النوع ما بين الشديد والمعتدل، خارطة شكل (33)، وقد تركزت أكثرها شدة في أغلب مناطق المدينة شاملة بذلك مناطق(4، 5، 9،6) في حين نجد الأضرار المعتدلة قد تركزت في بعض المناطق شاملة مناطق (7) ونصف منطقتي (12، 13) وأجزاء قليلة من مناطق (8،10،11) .

من الملاحظ أن هذا النوع لا يفرق بين مبنى قديم وحديث أو نوع معين من الصخور.

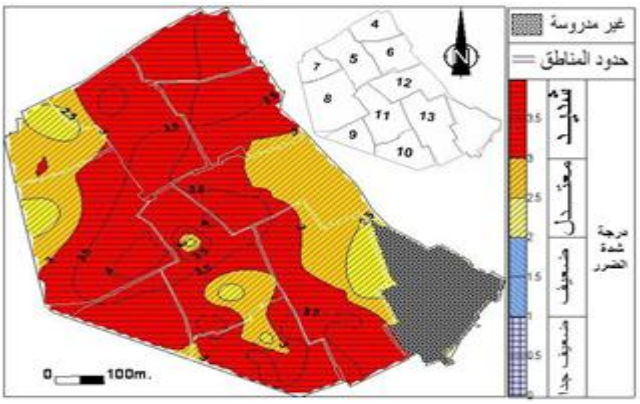

شكل (33) خارطة توضح توزيع الأضرار الناتجة من التشققات الحديثة العهد والغير مرتبطة ببنية الصخر.

14. تجوية التحدب والتقعر (Concave and convex deformations)

يتبع هذا الضرر تجوية الشقوق والتشوه (Fissures difermion) التابعة للمجموعة الرابعة لتصنيف (Fitzner et al 2004)وفيها تنثني شرائح الكتل الحجرية والصخرية للبناء نتيجة عمليات التشوه المرن (Plastic deyormahon) وخاصة على شرائح صخور الرخام(Marble) (Fitzner et al 2004) لاشك وأن جدران المباني الأثرية والمشيدة في أزمان سابقة داخل القديمة كانت تمثل الجزء الكامل من المبنى (إضافة للأساسات الأرضية)، والتي تستلقي فوقها الجوائز الحديدية والسقوف، وكل أجزاء الهيكل الإنشائي للمباني كانت بوضعها الطبيعي الذي يساعدها على القيام بوظيفتها، وظهورها بالمظهر الملائم كوحدة إنشائية منسجمة متلائمة مع ظرفها الاستعمالي والبيئي والاجتماعي، وبسبب عدم وجود البرنامج الصحيح للصيانة الدورية (الوقائية) لهذه المباني فقد تظهر عليها بعض التشوهات والتصدعات، التي يمكن أن تؤدي إلى توقف هذه المباني الأثرية عن القيام بوظيفتها، ومن ضمن هذه التشوهات هي ما تظهر على أسطح الجدران بشكل متحدب وأحياناً مقعر التي يجب أن تكون قائمة على الأرضيات والسقوف. شكل (34).

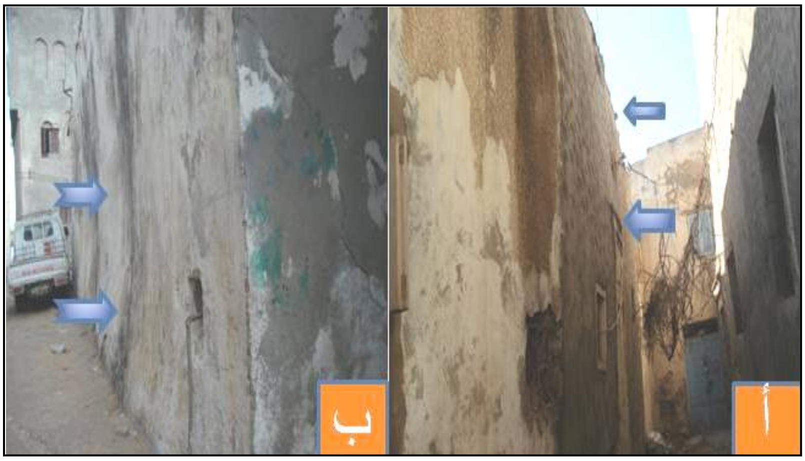

شكل (34) ظاهرة التحدب (أ)، والتقعر(ب)، التي تم مشاهدتها خلال الدراسات الميدانية، (تصوير الباحث).

ومن العوامل التي تساعد على ظهور مثل هذه التشوهات نذكر الاتي:

1- التبدل في نسيج التربة كيميائياً أو فيزيائياً أو إنشائياً مما يولد هبوطاً في بعض أجزاء الجدران في داخل التربة يتبعه تشوه محدباً أو مقعراً في واجهاتها وقد يزداد بمرور الزمن ليؤدي إلى انهيارها.

2- تغير مقدار التحميل (غير المحسوب) عليها، بحيث تكون عرضة لضغوط أعلى مما احتسبت عليه عند الإنشاء.

3- التمدد الحراري لمواد غير متجانسة ضمن نسيج الجدران وهذه تتعرض للتغير في درجات حرارة يومياً وموسمياً تمدداً وانكماشا بشكل غير متوازن، وينتج عن ذلك عدم التجانس بين المادة اللاحمة (الرابطة)، والحجارة المكونة لها، أو بين المكونات الإنشائية للجدران وبين كسوتها.

4- قد تحدث التشوهات بسبب الرطوبة المؤدية إلى التمدد والمحدثة للإجهادات الكبيرة التي تحدث بين جدران المباني الحجرية والأجزاء الداخلية، وبصفة خاصة عند تبلل هذا السطح بالماء.

وتوجد أسباب أخرى تؤديها ظروف المباني المحيطة العالية والتي شيدت في أوقات لاحقة بالقرب من المباني الأثرية تؤدي إلى خلخلة في أرضية المواقع التراثية، وهنالك أسبب أخرى يمكن لمهندس الصيانة دراستها من خلال مراقبة لنتائج الزيارات الدورية، وتسجيل التغيرات والتشوهات التي تحصل على المباني الأثرية وتلافي حدوث انهيارات فيها من خلال الصيانة الوقائية وهي المحبذة في مجال المباني الأثرية، لأن الصيانة العلاجية، قد تبدل من طبيعة المبنى وأصالته، وإضافة مواد لا تمثل شكل وطبيعة المبنى الحقيقي ولا تمثل قيمته التراثية.

لقد ظهر أثر هذه الأضرار واضح على بعض مباني المدينة القديمة والتي تعتبر في غاية الأهمية والخطورة، حيث تراوحت درجة شدتها ما بين الشديد والمعتدل للتشوهات المحدبة، والمقعرة خارطة شكل (35) وخارطة شكل (36) على التوالي.

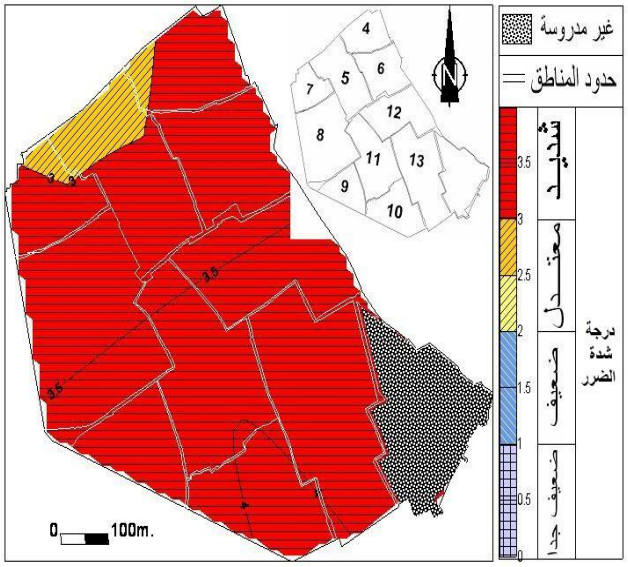

شكل (35) خارطة توضح توزيعات الأضرار الناتجة من الانشاء المحدب الناتج بدوره من التشويه المرن لأسطح جدران الكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء في المدينة القديمة، ويبدو أن معظم المنطقة متضررة.

بالنسبة للأضرار المحدبة تركزت أكثر الأضرار شدة في معظم المناطق بالمدينة في حين انحصرت الأضرار المعتدلة في الأجزاء الشمالية من المناطق (4، 5،7) فقط. أما بالنسبة لأضرار التشوهات المقعرة فقد كان تأثيرها بشكل متكافئ على المدينة بين الشدة والاعتدال خارطة شكل (36)

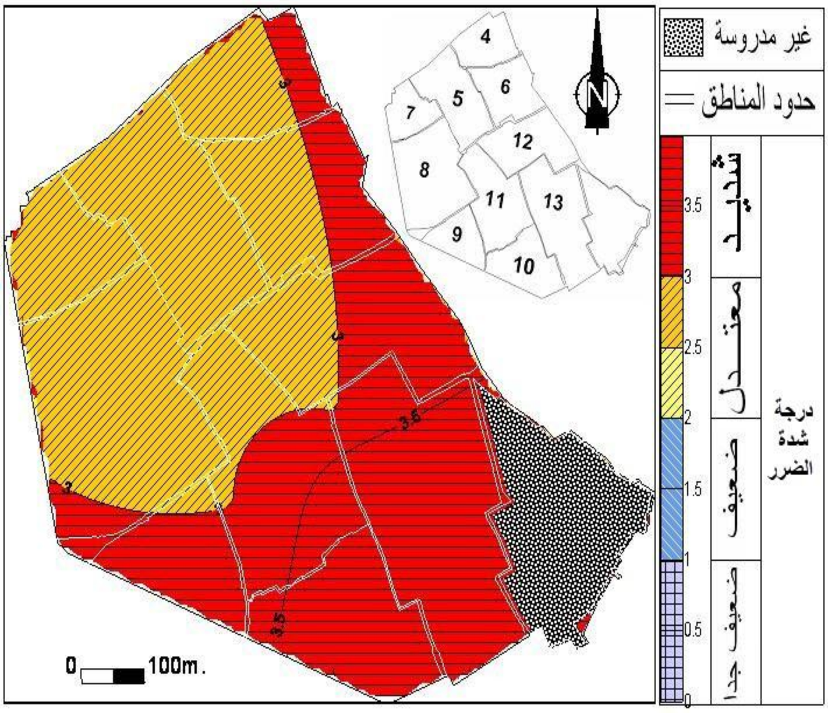

شكل (36) خارطة توضح توزيع الأضرار الناتجة من الانثناء المقعر الناتج بدوره من التشويه المرن لأسطح جدران الكتل الصخرية المستخدمة كمواد بناء في المدينة القديمة، تنخفض هذه الأضرار نحو الشمال والشمال الغربي.

وتركزت الأضرار المقعرة الأكثر شدة في منطقة (13) ونصف منطقة (11) أما عن الأضرار المعتدلة فقد شملت منطقة (7)، ونصف الشمالي من منطقة (11).

الخاتمة:

أسهمت عوامل التلف الميكانيكي في تضرر المباني داخل المدينة، حيث تعد الكسور او الشقوق من أهم اشكال التجوية الفيزيائية الميكانيكية التي تزيد من شدة هذه الاضرار.

أوضحت دراسة تحليلات الرتب اللونية للصخور المستخدمة كمواد بناء داخل المدينة القديمة انخفاض الرتب اللونية، ومن تم اشتداد عتمتها كلما توجهنا غرب المدينة القديمة، والعكس صحيح تجد تركز الألوان الفاتحة في المناطق الشرقية من المدينة، ويترتب على ذلك زيادة امتصاص الحرارة في الجزء الغربي أكثر مما هو الحال في الجزء الشرقي، ينتج عن ذلك احتمالية أنَّ تأثير الحرارة في الجزء الغربي أكثر مما عليه من الجزء الشرقي من المدينة، وهذا التوزيع للرتب اللونية متفق من حيث طبيعة ضرره مع توزيعات الشقوق ،وبالتالي يتجلى لنا شدة تضافر تأثير العوامل المناخية وعوامل التلف الميكانيكي على المناطق الغربية والجنوبية القريبة من المدينة أكثر مما هو عليه الحال من المناطق الشمالية والشمالية الشرقية للمدينة.

التوصيات:

من التوصيات التي يقترحها الباحث من خلال هذه الدراسة:

1. ضرورة التعمق في حسابات التلف الميكانيكي، وذلك من خلال تسليط الضوء على الحد الأقصى المسموح به للاهتزاز طبقاً لحالة المباني الأثرية في المناطق المختلفة من المدينة القديمة، ومن ثم وضع تصور لنظام حماية مقترح لمباني داخل المدينة.
2. إجراء دراسات تفصيلية على الاهتزاز الناتج عن اعمال البناء التي تستخدم الهزازات الميكانيكية لغرض الحفر ولتعميق اساسات الأبنية الحديثة المحيطة بالمدينة القديمة والتي من شأنها خلق اهتزازات في الأرض والأبنية،
3. إجراء الصيانة الدورية للمباني المتشققة ومعالجة تلك الشقوق والفجوات الناتجة من تأثيرات حرارية في فترات متفاوتة لتلافي تفاقم خطورة تلك التشققات والفجوات.
4. محاولة استخدام الألوان التي تعمل على انعكاس اشعة الشمس لطلاء الجدران الخارجية للمباني، وخاصة تلك التي تتعرض لأشعة الشمس لفترات طويلة خلال النهار.

الحواشي

[1] أبوراوي مصطفى المرخية: أثر التجوية في مواد بناء مدينة طرابلس القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الاثار والسياحة،2009م، ص10.

[2] المرجع نفسه

[3] محمد يوسف وآخرون: أساسيات علم الجيولوجيا، دار النشر مركز المكتب الأردني، 1990م، ص208.

[4] عبد المعزشاهين، ترميم وصيانة المباني الأثرية والتاريخية، وزارة الثقافة ،المجلس الأعلى للآثار المصرية، 1994، ص ص 173_174.

[5] المرجع نفسه، ص174.

[6] صالح أحمد صالح ، الأسس العلمية لصناعة الأحجار ، مجموعة من المحاضرات لم تنشر ، جامعة القهرة1999.

[7] عبد المعز شاهين ،المرجع نفسه، ص208.

[8] المرجع نفسه، ص175.

[9] محمد عبدالهادى ،دراسات علمية في ترميم وصيانة الآثار غير عضوية ،مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ،ت ب، ص98.

[10] عطية أحمد ابراهيم ، صيانة المبانى الآثرية ، دار الفجدر للنشر والتوزيع القاهرة ، 2003، ص ص 72-73 .

11Ollier,c.c wearhering. Edited by K.M.clayston.Zndrev impression,.Longman.London,1975,p304.

[12]FITZNER, B,& HEINRICHS,K,Damage diagnosis on stone monuments, weathering forms,. damage categories and damage indices,2002، p.23

[13] يوسف، محمد، مرجع سبق ذكره، ص208.

[14]Rothert, E.Eggers,T:Cassar,J:Ruedrich, J:Fitzner,B:Siegesmund.Sstone properties andWeathering in duced by salt crystulliz. Ation of maitese Globigerine Limestone.2007.p.38.

[15] Op cit.p 28

المخطوطات والوثائق الليبية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي بمالي (الوثائق الغدامسية أنموذجاً)

نصر الدين بشير العربي
جامعة المرقب – ليبيا
Nisser2012@yahoo.com

خالد محمد مرشان
جامعة المرقب – ليبيا
Rmkh1975@yahoo.com

الملخص

إن الوثائق والمخطوطات كيف كان مضمونها ونوعها وحجمها هي التي تحفظ تاريخ الأمم ومعارف الإنسانية، ومن ثم نقلها للأجيال القادمة، واعتبار الأمم بالوثائق والمخطوطات إيذان وعنوان على إدراكها لقيمتها وأهميتها، ومن هنا يأتي الاهتمام بالوثائق القديمة والمحافظة عليها التي لا تزال تحتفظ بتاريخ الأمة ومعارفها.

الوثائق الليبية شأنها في ذلك شأن بقية الوثائق العربية المتواجدة في المكتبات والخزائن في كثير من بلدان العالم، فكان بذلك لتلك الوثائق الليبية " الغدامسية " دورها في نشر العلم والمعرفة في مدن افريقيا فيما وراء الصحراء التي وصلت إليها، كما أسهمت في تشييد صرح مكتبة أحمد بابا التمبكتي بمدينة تمبكتو بدولة مالي.

ومكتبة أحمد بابا التمبكتي واحدة من آلاف الخزائن التي تحتفظ بالوثائق الغدامسية التي كانت تتداول فيما بين تجار مدينة غدامس وتجار مدينة تمبكتو ، ومن خلال الوثائق التي اطلاعنا عليها من مكتبة آل البخاري والمحفوظة في مكتبة أحمد بابا بمدينة تمبكتو ، وما أدلى به الدكتور الدالي الذي زار المكتبة وعاين تلك الوثائق الغدامسية وما تتعرض له من نهب وسلب ، يسلط هذا البحث الضوء على فترة تاريخية مهمة منذ تأسيسها أبان فترة أحمد بابا التمبكتي إلى يومنا هذا، وقد حددت الدراسة إشكالية مفادها من هو مؤسس مكتبة أحمد بابا التمبكتي في مالي ؟ وما هي أهم الوثائق الليبية " الغدامسية " المحفوظة بالمكتبة ؟ وما هي العلاقة التي كانت سائدة بين مدينة تمبكتو وغدامس ؟ وكيف هي وضعية تلك الوثائق بمكتبة أحمد بابا التمبكتي؟

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الوثائق المهمة من أرشيف مكتبة آل البخاري ، وأخرى من أرشيف مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، بالإضافة لبعض المصادر والمراجع المتنوعة مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي وذلك لدراسة مختلف الجوانب حول مكتبة أحمد بابا التمبكتي في تلك الفترة والتغيرات التي رافقتها حتى الوصول إلى أدق وأعم النتائج من خلال استعراضنا لكافة الجوانب لتلك الوثائق.

مقدمة

إن الوثائق والمخطوطات كيف كان مضمونها ونوعها وحجمها هي التي تحفظ تاريخ الأمم ومعارف الإنسانية، ومن ثم نقلها للأجيال القادمة، واعتبار الأمم بالوثائق والمخطوطات إيذان وعنوان على إدراكها لقيمتها وأهميتها، ومن هنا يأتي الاهتمام بالوثائق القديمة والمحافظة عليها التي لا تزال تحتفظ بتاريخ الأمة ومعارفها.

والوثائق الليبية شأنها في ذلك شأن بقية الوثائق العربية المتواجدة في المكتبات والخزائن في كثير من بلدان العالم، فكان بذلك لتلك الوثائق الليبية " الغدامسية " دورها في نشر العلم والمعرفة في مدن أفريقيا فيما وراء الصحراء التي وصلت إليها، كما أسهمت في تشييد صرح مكتبة أحمد بابا التمبكتي بمدينة تمبكتو بدولة مالي.

تحتفظ مكتبة أحمد بابا التمبكتي بآلاف الخزائن التي تحوي عدة وثائق ومخطوطات متعددة المواضيع، ومن أبرز تلك الوثائق، الوثائق الغدامسية التي تكشف عن ما كان يتداول فيما بين تجار مدينة غدامس وتجار مدينة تمبكتو ، ومن خلال الوثائق التي اطلاعنا عليها من مكتبة آل البخاري والمحفوظة في مكتبة أحمد بابا بمدينة تمبكتو ، وما أدلى به الدكتور الهادي الدالي الأستاذ بجامعة الزاوية الذي زار المكتبة وعاين تلك الوثائق الغدامسية وما تتعرض له من نهب وسلب وإهمال، يسلط هذا البحث الضوء على فترة تاريخية مهمة منذ تأسيسها إبان فترة تولي شؤونها أحمد بابا التمبكتي إلى يومنا هذا، وقد حددت الدراسة إشكالية مفادها من هو مؤسس مكتبة أحمد بابا التمبكتي في مالي ؟ وما هي أهم الوثائق الليبية " الغدامسية " المحفوظة بالمكتبة؟ وما هي العلاقة التي كانت سائدة بين مدينة تمبكتو وغدامس؟ وكيف هي وضعية تلك الوثائق بمكتبة أحمد بابا التمبكتي؟ .

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من الوثائق المهمة من أرشيف مكتبة آل البخاري، وأخرى من أرشيف مركز البحوث والدراسات الأفريقية، بالإضافة لبعض المصادر والمراجع المتنوعة. مستخدمين المنهج الوصفي التحليلي وذلك لدراسة مختلف الجوانب حول الوثائق الغدامسية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي في تلك الفترة والتغيرات التي رافقتها حتى الوصول إلى أدق وأعم النتائج من خلال استعراضنا لكافة الجوانب لتلك الوثائق.

اولا: التعريف بمكتبة أحمد بابا التمبكتي ومؤسسها وأحمد بابا وأهم مؤلفاته بالمكتبة:

أ- التعريف بالمكتبة ومؤسسها:

تعود المبادرة الأولى في إنشاء مكتبة أحمد بابا التمبكتي بمدينة تمبكتو [1] إلى العلامة أحمد بن عمر بن محمد أقيت التمبكتي[2]، فهو من أهل تمبكتو وولد بها عام 1456 م وهو جد لأحمد بابا التمبكتي الذي وصفه بأنه :" كان خبيراً فاضلاً خالصاً متورعاً على السنة والمروءة .. فقيها نحوياً لغوياً عروضاً محصلاً بارعاً حافظاً معتنياً بتحصيل العلم ونسخ كتبه، كتب بخطه عدة دواوين كثيرة وجمع كثيراً من الفوائد والتعاليق [3] ، ويتضح من هذا النص أنه كان معاصراً لحكم الأسكيا محمد الكبير[4] ومساهماً في إثراء الحياة الثقافية والفكرية في عهده فهو من أفذاذ العلماء المتمكنين من اللغة العربية والنحو[5] .

أما في مجال العلم، فقد وضح لنا البرتلي صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور هذه الناحية قائلاً : " اعتني بالعلم طوال عمره، فكتب كتباً عديدة بخطه مع فوائد كثيرة وترك نحو سبعمائة مجلداً أخذه عن جده لأمة الفقيه اندغ محمد وعن خاله الفقيه المختار النحوي .. توفي رحمه الله ..عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة عن نحو ثمانين سنة[6] ..".ثم تولى من بعده الإشراف على جمع المخطوطات والوثائق وتصنيفها فيما بعد في مكتبة آل التمبكتي ، أحمد بابا التمبكتي ، والذي نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء عليه وتوضيح أهم مؤلفاته العلمية والتي عرفت فيما بعد هذه المكتبة العلمية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي .

والمكتبة عبارة عن بناء تم تشييده في وسط مدينة تمبكتو وقد تم بناء غرفة كبيرة تحتوي على تسعة آلاف مخطوطة ، من أقدم المخطوطات الموجودة بها ترجع إلى القرن السابع للهجرة[7] والآن تحولت المكتبة إلى مركز أحمد بابا التمبكتي ، الذي أسس عام 1970م ، بمبادرة من "اليونيسكو" ، وشرع في العمل رسمياً عام 1977م بدعم مالي من دولة الكويت ،وقد تحول هذا المركز منذ يوليو عام 1999م ، إلى معهد أحمد بابا للدراسات العليا و البحوث الإسلامية ، فيحتوي اليوم على"18" الفاً مخطوط تقريباً[8] ، ويعد أحد أغنى المراكز و أكبرها من حيث التوثيق في إفريقيا جنوب الصحراء ، فمن هو أحمد بابا التمبكتي ؟

ب – التعريف بأحمد بابا التمبكتي وأهم مؤلفاته :

أحمد بابا التمبكتي هو أحمد بابا بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشت بن تنغير بن جيرالي بن النج بن أبي بكر الصنهاجي المساني السوداني التكروري التمبكتي ، ولد في تمبكتو علم 1556م[9] ، ونشأ فيها ، كان نتاجاً طبيعياً للحركة الثقافية التي انتظمت في عهد الأسكيا محمد الكبير، فقد كان أفراد أسرته من الذين احتضنهم الأسكيا وشملهم برعايته، وينتمي أحمد بابا إلى أسرة

اشتغلت بالعلم والتدريس والقضاء، فتعلم على يد جده الحاج أحمد وأبيه الحاج أحمد بن أحمد، حيث تلقى على أيديهم المبادئ الأولى للعلوم الإسلامية، وقد عرفه السعدي بكونه :" العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فن من فنون العلم.. فجد واجتهد في بداية أمره بخدمة العلم وشهدوا له أشياخه بالعلم ، وفي الغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار الفتوى وكان قاضياً عند الحق ولو كان من أدنى الناس ولا يداهن فيه ولو للأمراء والسلاطين[10] .."

وألف ما يزيد على مائة مؤلف ، وتتلمذ على يديه عدد من الطلاب ، منهم عبد الواحد السجلماسي مفتي مراكش[11] ، و أبو العباس قاضي مكناس[12] ، وأبو القاسم بن النعيم الغاتي قاضي الجماعة بفاس[13] ،كما درس عليه عبد الرحمن السعدي، ومصطفى بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ وغيرهم مكث أحمد بابا سنتين بمدينة مراكش ، ثم غادرها إلى بلاد تمبكتو يوم الأحد الحادي والعشرون من رمضان عام 1004م ، وتوفي أحمد بابا في تمبكتو بعد أن قضى عشرين سنة من حياته في التعليم بعد رجوعه من منفاه وذلك سنة 1627 ، وقيل في سنة 1623 م[14] .

ويتضح من خلال ما ورد ، أن دور أحمد بابا في إرساء جذور الحضارة العربية الإسلامية في السودان الغربي كان فعالاً وإيجابياً وما إطلاق اسمه على مركز الوثائق والمخطوطات الموجودة حالياً في تمبكتو إلا دليلاً على دوره المتميز في إثراء الحياة العلمية والثقافية في مالي ومجتمع السودان الغربي .

كان الشيخ أحمد بابا – كما قدمنا – يغرف في علومه من بحر ، وذلك بفضل ما استفاده من دراسته وتحصيله من العلماء الكبار في مراكش وفاس ومكناس ، ومن ادامته النظر في المراجع والمضان المختلفة طيلة حياته التي وظفها للتوثيق وكتابة المخطوطات والتنقيب والمراجعة ، فكان بهذا التحصيل متنوع المعارف في علوم الآلة وعلوم المقاصد ، متعدد الطاقات والقدرات ، وقد شهد له معاصروه من العلماء في المغرب وأفريقيا ، ومن هذا المنظور نحب أن نعرض آثاره ومؤلفاته والتي من أهمها :

أ– جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة[15] ، اعتمد فيه أحمد بابا على مؤلفات علماء الأندلس والمغرب خاصة وشمال أفريقيا والمشرق العربي عامة، مما يعكس لنا مدى التواصل العلمي بين علماء أفريقيا والعرب المسلمين، وسعة اطلاع المؤلف حيث ألف هذا الكتاب وهو في دولة سنغاي الإسلامية عام 997 هـ – 1588 م .

ب- نيل الابتهاج بتطريز الديباج(16) ، ويعد هذا المخطوط معلمه بيبليوغرافية مهمة لطبقات أعيان المذهب المالكي في جنوب الصحراء الكبرى وشمالها ، فقد ترجم فيه لاثنين وثمانمائة شخصية ، بدأ بإبراهيم بن علي بن فرحون ، وختم بسكر موسى الجرائي .

ج- معراج الصعود إلى نيل مجلوب السود(17) ،كما يسمى أيضا "الكشف والبيان في مجلوب السودان"، فرغ أحمد بابا من تأليفه يوم 9-2- 1615م ، رد فيه المؤلف على رسالة بعثت من توات إلى فقهاء السودان ، بشأن العبيد المجلوبين من بلاد السودان الذي تقرر إسلام أهله وقد استنار أحمد بابا بآراء بعض علماء المذهب المالكي في شمال أفريقيا ليرجح بذلك موقفه من المسألة ، وتمدنا هذه المخطوطة بمعلومات قيمة عن إمبراطورية سنغاي وعن تاريخ اعتناق الإسلام ، كما تفيدنا بالمستوى العلمي و الفقهي الرفيع الذي كان عليه أحمد بابا التمبكتي ، والجدير بالملاحظة أن هذه المخطوطة قد ترجمت جزئياً إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية ، وقد كانت عنواناً لرسالة ماجستير بجامعة الجزائر للطالب رشيد بن عيسى ناقشها عام 1972م(18) .

د- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، توجد عدة نسخ منها متناثرة في العديد من دول العالم : نسختان بالرباط بالخزانة الحسنية تحمل الأولى رقم 5534 وخطها واضح والثانية خطها ردئ و تتكون من 19 ورقة ، في الورقة الواحدة أكثر من 35 سطراً ، أما بالنسبة للخزانة العامة بالرباط فتحمل رقم 1641: د ، وخطها واضح نوعاً ما . وتوجد كذلك نسخة بمركز أحمد بابا التنمبكتي بمدينة تنمبكتو وتتألف المخطوطة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . وللمخطوط أهمية بالغة حيث بين لنا مدى انتشار الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا كما بين المخطوط مدى إسهام علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء في التراث الإسلامي، كما أن اعتماد المؤلف على مصادر مغربية في تأليفه قد تجدر العلاقات الثقافية بين منطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء وشمال إفريقيا .

كما نشير إلى دوره البارز خلال العشر سنوات التي قضاها في المغرب الأقصى حيث خلف نتاجاً علمياً و فكرياً، وتقاطر عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب لحضور دروسه والاستفادة من علومه و أفكاره ، عندما جلس للتدريس في جامع الشرفاء ومن بين الكتب والمدونات التي قام بتدريسها :"مختصر خليل ، وتحفة الحكام ، وجمع الجوامع للسبكي ، وتسهيل ابن مالك ، وألفية العراقي ، وحكم العطائي ، والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ، والصحيحين ، و ازدحم عليه الأعيان و المشايخ و أجاز للكثير منهم ، واشتهر أسمه في العالم الإسلامي ، وانتشر ذكره واعترف له العلماء في مختلف الأمصار بالفضل فأسندت إليه الفتوى فقد كان وقافا عند الحق لا يخاف في ذلك لومة لائم ، كما تخرج على يديه عدد كبير من العلماء نذكر منهم على سبيل المثال :

الرجراجي ، مفتي مدينة فاس ، والقاضي أبا القاسم ابن أبي نعيم الغساني ، وأبا العباس أحمد القاضي صاحب جذوة الاقتباس ، وقد قال فيه تلميذه أبوعبدالله يعقوب المراكشي :" لم ألق بالمغرب أثبت منه و لا أوثق ولا أصدق ، ولا أعرف بطريق العلم[19] " ، أضف إلى ذلك إجازاته لبعض علماء المغرب ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الخطيب أبي زيد بن الوقاد التلمساني الخطيب. بجامع الكبير بتارودانت[20] وغيرها من المؤلفات العلمية الأخرى والتي نذكر منها:-

1. مرآة التعريف	**2.** نيل الأمل	**3.** تحفة الفضلاء
4. الدر النادر	**5.** غاية الإجادة	**6.** التحديث والتأنيس
7. النكت المستجدة	**8. النكت الوفية بشرح الألفية**	**9.** المنهج المبين
10. درر الوشاح	**11.** الإبداء والإعادة	**12.** ترتيب جامع المعيار
13. المقصد الكفيل	**14.** جلب النعمة	**15.** وسيلتي شفيعي
16. اللآليء السندسية	**17.** جواب عن القوانين	**18.** مرواح الرواة
19. إرشاد الواقف	**20.** شرح صغرى السنوسي	**21.** تنوير القلوب
22. المطلب والمأرب	**23.** ضمائل الإزهار	**24. منور الخالك في شرح بيتي ابن مالك**
25. غاية الأمل	**26. فتح المجي في مسألة هي**	**27.** درر السلوك
28. جواب عن القوانين	**29.** تنبيه الواقف	**30.** إمتاع الأسماع
31. فتح الفرد الصمد	**32.** مسائل إلى علماء مصر	**33.** أنفاس العلق
34. أفهام اسمع	**35.** الزند الواري	**36.** فتح الرزاق
37. شرح الصدر	**38.** اللمع في الإشارة	**39.** منن الرب الخليل
40. معراج الصعود	**41.** رسالة في التصوف	**42.** عين الإصابة في حكم طابه
43. نزول الرحمة	**44.** أجوبة الأسئلة الأربعة	**45.** جواب عن ثلاثة أسئلة
46. فتح القدير	**47. المسك الإثم إلى معرفة هلم**	**48.** أجوبة الأسئلة المصرية
49. كفاية المحتاج	**50.** جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة	**51.** رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية
52. نشر العسير	**53.** الدر النظير[21]	

ثانيا: أهم الوثائق الليبية " الغدامسية " بمكتبة أحمد بابا التمبكتي وعلاقة مدينة غدامس[22] بمدينة بتنمبكتو :

أ- أهم الوثائق الغدامسية بمكتبة أحمد بابا :

إذا أراد الباحث الوقوف على أماكن وجود المخطوطات والوثائق في مالي يجدها في مكتبة أحمد بابا التي ازدهرت في مدينة تمبكتو وداع صيتها وأبهرت كنوزها التاريخية العلماء في جميع أرجاء العالم ، وتعد مكتبة أحمد بابا نموذجاً للمكتبات الموجودة في منطقة السودان الغربي بمفهومها التاريخي، حيث توافرت على إرث علمي وكم من المعارف الإنسانية ، لا يزال ينتفع به إلى وقتنا الحاضر، العديد من الباحثين وطلاب العلم ومنها الوثائق الغدامسية التي انتقلت عبر فترات تاريخية مختلفة إلى مختلف مناطق أفريقيا فيما وراء الصحراء ، حيث لا تكاد تخلو خزانة من الخزائن إلا وبها بعضاً من هذه الوثائق بحكم التواصل العلمي والثقافي والتجاري بين مدينة غدامس ومناطق ومدن افريقيا فيما وراء الصحراء وخاصةً مدينة تمبكتو والتي شكلت القوافل التجارية والتجار ، وقوافل الحجيج وتنقل العلماء بين غدامس وتمبكتو روافده الاساسية . وسأعرض عليكم مجموعة الوثائق والرسائل الليبية المحفوظة بمكتبة أحمد بابا التي تضم عدداً من الوثائق والمراسلات لتلك الفترة ، والتي تمكنا من الحصول عليها دون ترتيب ، وذلك بسبب ضياع أوائل وأواخر أغلب الوثائق وتعرضها للتلف نتيجة عوامل البيئة ، وعدم توفر الإمكانيات المناسبة لحفظها وتخزينها .

أ. موضوعات الوثائق الغدامسية بالمكتبة :

تنوعت موضوعات الوثائق الغدامسية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي ، لكن يغلب عليها الوثائق التجارية التي كانت تتداول ما بين تجار غدامس وتنبكتو والتي أخذت موقعاً متقدماً بسبب جهود التجار انجي غلام عيسى بن احميد الغدامسي ، والحاج محمد نجم ، وعثمان محمد بن علي الغدامسي ، والصيت الكبير الذي تركته رسائلهم المتبادلة مع أمير المؤمنين الشيخ سيد أحمد البكاي ، ومولاي جنجي الشريف ، و محمد بن سيد عمر الرقادي ، وصديق بن عثمان ، والمختار الحاج علي بن الحاج محمد عموش البليلي ، وعمر بن نابو ، كما ضمت الخزائن الكثير من الوثائق التجارية الأخرى نظراً لخبرة الغدامسيين في هذا المجال .

ب. أماكن الحفظ :

توزعت الوثائق الغدامسية في خزائن بعض الأشخاص والبيوتات ، لكن أغلب الوثائق الغدامسية توجد في مكتبة أحمد بابا التمبكتي في تمبكتو ، وراجع هذا لأهميتها وكونها هذه الأخيرة عاصمة الثقافة في السودان الغربي لأكثر من ستة قرون ، وكانت تضم جالية كبيرة من الغدامسيين ، وإلى يومنا هذا مازال يوجد حي بمدينة تمبكتو يسمى بحي الغدامسية وقد ذكر لنا الدكتور الدالي حول طريقة حفظها بالمكتبة :" بإنها محفوظة في صناديق حديدية ومهملة ومعرضة للتلف والنهب من قبل الاوروبيين"[23].

ج . **حجم الوثائق الغدامسية :**

أغلب الوثائق الغدامسية في مكتبة أحمد بابا التمبكتي من خلال العينة المدروسة من الحجم الصغير " انظر الملاحق " لأنها في معظمها عبارة عن مراسلات تجارية ، ولهذا جاء جلها في ورقة أو اثنين فقط .

د. **أهم الوثائق الغدامسية بالمكتبة :**

1. وثيقة صادرة من أمير المؤمنين الشيخ سيد أحمد البكاي بن الشيخ محمد الكنتي في التساوي بين الغدامسيين وأهل تمبكتو تحث رقم 1645 .
2. رسالة من مولاي جنجي الشريف إلى انجي غلام عيسى الغدامسي تحث رقم 10331 .
3. رسالة من سيدي محمد بن سيد عمرالرقادي إلى عيسى بن احميد الغدامسي تحث 81833 .
4. رسالة من أحمد البكاي بن عيسى الغدامسي إلى انجي غلام عيسى الغدامسي تحث رقم 10323 .
5. رسالة من مصطفى بن حمد إلى انجي غلام الغدامسي تحث رقم 8381 .
6. رسالة من صديق بن عثمان إلى انجي غلام عيسى الغدامسي تحث رقم 8243.
7. رسالة من أحمد البكاي بن عيسى بن احميد الغدامسي إلى انجي غلام عيسى الغدامسي تحث رقم 8276 .
8. رسالة من أحمد البكاي بن عيسى بن احميد الغدامسي إلى انجي غلام عيسى الغدامسي تحث رقم 10381 .
9. رسالة من أحمد البكاي بن عيسى احميد الغدامسي إلى انجي غلام تحث رقم 8172 .
10. رسالة من المختار الحاج علي بن الحاج محمد عموش البليلي إلى عيسى احميد تحث رقم 8246 .

11. رسالة من محمد متيفا بن الحاج محمد بن موسى البخارى إلى الحاج محمد ناجم – تحث رقم 8248.
12. رسالة من البركة سيد مولاي البخاري بن مولاي عبد الرحمن إلى عيسى بن احميد الغدامسي – تحث رقم 8238 .
13. رسالة من المختار علي بن الحاج محمد عموش البليلي إلى عيسى بن احميد الغدامسي – تحث رقم 8239 .
14. رسالة من عيسى بن احميد في غدامس إلى غلام انجي في تمبكتو .
15. رسالة من أبي بكر بن طالب إلى أخيه السيد عيسى حميد – تحث رقم 8972 .
16. رسالة من محمد بن متيفا بن الحاج محمد البخاري إلى عيسى بن احميد الغدامسي تحث رقم 8237 .
17. رسالة من محمد بن لعبيد بن بلحاج التواتي إلى عيسى بن احميد الغدامسي – تحث رقم 8236 .
18. رسالة من عبد الرحمن الكريم إلى عيسى حميد الغدامسي – تحث رقم 18256.
19. رسالة من عمر بن نابو الى انجي عيسى بن حميد – تحث رقم 8252 .
20. وثيقة وكالة بن احميد بن محمد الشعواني الغدامسي – تحث رقم 11686 .
21. رسالة من عيسى بن احميد إلى عثمان محمد في غدامس – تحث رقم 8262 .
22. رسالة من أبي بكر ابن سيدي محمد طالب إلى عوض عيسى أحمد الشعواني تحث رقم 8256 .
23. رسالة من عثمان بن محمد إلى عيسى بن احميد الغدامسي – تحث رقم 8275.
24. رسالة من قاسم بن متيفا بن أحمد الغدامسي إلى متيفا بن أحمد الغدامسي –تحث رقم 8331 .
25. رسالة من علي عموش بن الحاج أحمد بن الحاج محمد مزي إلى عيسى بن أحمد الغدامسي تحث رقم 8235 .
26. رسالة " أمانة من الحاج عثمان بن محمد بن علي الغدامسي " تحث رقم 8265.
27. رسالة من الحاج محمد الصديق الغدامسي إلى عيسى احميد الغدامسي تحث رقم 8279 .
28. رسالة من الحاج محمد الصغير الحاج عبد الله إلى عيسى بن احميد الغدامسي تحث رقم 8272 .

29. رسالة من علي بن الحاج عموش البليلي إلى عيسى بن احميد الشعواتي تحث رقم 8266 .
30. رسالة من علي بن الحاج عموش البليلي إلى عيسى بن احميد الشعواتي تحث رقم 8271 .
31. رسالة من محمد عبد القادر بن الحاج عيسى بن احميد الغدامسي في تنبكت –تحث رقم 8270 .
32. رسالة من متيفا من غدامس إلى عيسى بن احميد في تمبكت – تحث رقم 8269 .
33. رسالة من عبد القادر بن الحاج التواتي إلى السيد عيسى بن احميد – تحث رقم 8268 .
34. وثيقة من أبي بكر بن طالب إلى أخيه السيد عيسى احميد – تحث رقم 8266 .
35. وثيقة من عيسى بن احميد الغدامسي إلى انجي غلام عيسى – تحث رقم 8271.
36. رسالة من الحاج عبد القادر بن سعيد الحاج محمد بن أب جودة في غدامس إلى عيسى بن احميد الغدامسي في تمبكتو – تحث رقم 11676[24] .

من خلال تتبعنا للوثائق التي كانت تتداول ما بين تجار مدينة غدامس ومدينة تنمبكتو المحفوظة بمكتبة أحمد بابا نلاحظ مدى الارتباط الوثيق بين مدنية غدامس بأفريقيا فيما وراء الصحراء سياسياً واقتصادياً وثقافياً حيث كانت مدينة غدامس الليبية بوابة أفريقيا، وكان اقتصاد مدينة تمبكتو يعتمد اعتماداً كلياً على مدينة غدامس، وكان للأسر الغدامسية أمثال أسر البخاري وأولاد بليل والأنصاري دوراً بارزاً في نهضة تمبكتو وجاو فشيدوا المنارات العلمية والمساجد التي ما زالت إلى يومنا هذا ، و كذلك كانت المصنوعات الغدامسية التي تصدر إلى تنمبكتو قد فاقت نظيراتها في إتقان الصنعة فكانت الجلود الغدامسية من أجود أنواع الجلود في تلك الفترة[25] ويبدو أن تجار طرابلس وغدامس كانوا من أكثر التجار تردداً على مدينة تمبكتو ، حيث كانوا يجلبون السلع من بلادهم ، ومن ثم توزع في الأقاليم الأخرى وتشمل هذه السلع على المنسوجات والأحذية ، ويتم مقايضتها بالذهب والصمغ والعاج وريش النعام والبخور[26] .

وكذلك نستنتج من خلال هذه المراسلات عدة أمور :-

1- إن دور التجار الليبيين و العرب لم يقتصر على مجالات التجارة والأنشطة الاقتصادية فحسب ، بل تعداها إلى التبشير بالدين الإسلامي وتعميق الصلات الثقافية بنشر اللغة العربية .
2- ازدهار العلائق التجارية بين تمبكتو ومدينة غدامس و بين دول الشمال الأفريقي

المعاصرة في أيام الاسكيا محمد الكبير ، قد جعلت اللغة العربية تنتشر – بصورة منتظمة – في هذه المنطقة الإفريقية ، وذلك لأنها أضحت لغة التخاطب في المعاملات التجارية فضلاً عن العادات والدينية(27) .

3- يتضح من هذه الوثائق أن الغدامسيين كانوا قد سيطروا لفترة طويلة على أسواق تجارة

القوافل القادمة من طرابلس والمتجه إلى غات وكانوا إلى توات وتمبكتو الأمر الذي جعل من الغدامسيين من التجار الأغنياء .

4- ظلت غدامس في غاية الأهمية حيث ارتبطت تجارياً بمدينة تمبكتو وجاو وأغادس فصارت محطة مهمة بين طرابلس وبلاد السودان الغربي(28) .

5- جميع المراسلات التجارية التي تمت بين تجار تمبكتو وتجار غدامس كانت تبين مدى الود والمحبة والطمأنينة فيما بينهم .

6- الديباجة التي كانت تكتب بها هذه المراسلات ديباجة إسلامية ، وكلها تبدى بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه السلام .

7- احتوت هذه الرسائل على الأوضاع الاقتصادية لمدينة غدامس ومدينة تمبكتو .

8- وضحت الرسائل نظام التعامل بين التجار من بيع البضائع وأنواعها وتحديد أسعارها .

9- احتواء الرسائل على أمور دينية ونصح وإرشاد اثر في أهالي البلاد مما جعلهم يسيرون على نهجها الإسلامي .

10- بينت المراسلات أهمية حرفة الوراقين ، وكذلك تأليف الكتب الهامة وذلك على نمط ما كان قائماً في مصر والمغرب العربي وقتئذ(29) .

ثالثا: وضعية المخطوطات والوثائق الليبية " الغدامسية " بمكتبة أحمد بابا :

تمثل الوثائق والمخطوطات جزءا كبيراً من الذاكرة الوطنية الليبية ، وتلعب دوراً أساسياً في الحفاظ على الهوية الثقافية الليبية ، وتسهم بشكل كبير في توجيه وإرساء قواعد الدولة الليبية .

وعلى الرغم من أهمية هذه الوثائق والمخطوطات الليبية الموجودة بمكتبة أحمد بابا التمبكتي ، إلا أنها تواجه أوضاعاً صعبة من أتلاف وضياع وسرقة بعضها من قبل ضعاف النفوس من القائمين على هذه المكتبة وبيعها للأوروبيين الذين يصولون ويجولون في بلدان أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ناهيك عن تعرض نسبة كبيرة منها إلى التلف لأسباب طبيعية ، بعود بعضها إلى نوعية الورق الذي يتأثر بالرطوبة وبالحرارة والغبار ، بالإضافة إلى العوامل الطبيعية ، هناك كوارث تتسبب في أتلاف هذه الوثائق والمخطوطات ، كالفيضانات ، والحرائق ، والعواصف ، والحروب ،

والصراعات وتبقى القائمة طويلة ، وحول وضعية هذه الوثائق والمخطوطات يحدثنا الدكتور الدالي الذي زار المكتبة وشاهد الوثائق بقوله :" تمثل هذه الوثائق الليبية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي أهمية كبيرة في حياة الشعب الليبي ، باعتبارها تمثل تاريخ ليبيا وتراثها ، ومن هذا المنطلق فإنها تمثل مادة أساسية للدارسين في مجال التاريخ والآثار ، وهناك وثائق ومخطوطات ليبية وعربية لا تزال محفوظة لدى أشخاص في تمبكتو ، ويخشى أن يساء استخدامها بحيث تصبح في من لا يقدر أهميتها وقيمتها ، من هنا كان لزاماً على المؤسسات العلمية الليبية أن تجري بحثاً مكثفاً للوصول إلى الأشخاص والأسر التي بحوزتها تلك الوثائق والمخطوطات ، والحصول عليها بأي ثمن ، والتي تتحمل المؤسسات العلمية والبحثية والمكتبات ومراكز المعلومات مسؤولية مباشرة للحفاظ على هذه الوثائق والمخطوطات ، ورعايتها وصيانتها بكل الوسائل الممكنة ، كما تتطلب أن تتاح للباحثين والدارسين للاستفادة من هذه الوثائق والمخطوطات في بحوثهم ، كما لا يخفى علينا وجود القراصنة المتخصصين في سرقة الوثائق والمخطوطات وبيعها في السوق السوداء ، و كثيراً ما تفاجأت بعض الدول أن هناك مخطوطات ووثائق تخصها تعرض في مكتبات ومراكز ومتاحف في دول آخري وهذا ما يقوم به الأوروبيين في الدول الأفريقية"[30].

أما عن دلائل الوثائق الغدامسية الموجودة بمكتبة أحمد بابا التنمبكتي فقد تحصلنا من مكتبة آل الدالي بعض الوثائق المنسوخة من مكتبة أحمد بابا والتي تفيد وتؤكد مدى العلاقة التي كانت سائدة فيما بين تجار غدامس وتنمبكتو .

فعلى سبيل المثال هذه الرسالة التجارية لأحد تجار تنبكتو موجه إلى تاجرين من غدامس وهما الحاج محمد بن أحمد ومحمد مغبور يقول لهما :" الحمد لله وصلى الله على محمد وسلم : زمام ما علمنا في غارب عزم فنف ، فأوله ما ذكره الحاج محمد بن با أحمد ومحمد مغبور الغدامسيان ، أربعمائة حجرة ، مائتان حجرة من الحاج محمد بن با أحمد ، ثم مائتا حجرة من محمد مغبور متاعك ، وستقف على براءتهما من العدد الذي لهما ، وأما الذي حملت أنا فأوله عشرين حجر متاع ، وتقوم على ساق الجد والاجتهاد فتطلب لنا فيه الذهب القليل على كل حال ، ثم أيضاً إحدى عشرة حجرة لولدك المختار ، وأما عديلته[31] فمازال مع الباع ، وهذا العدد قبضه من بضاعته التي عند وزن ، ثم أيضاً ستة عشر أحجارا لولدك كورد وهو الذي حصل لي في قيمته تاريته[32] مكتوب عليها أسماؤهم ثم خمسة عشر أحجار لكن قل مكتوب عليه اسمه ، ثم خمسة أحجار تصل بيد زوجتنا ، هم أربعة منها من الباقية في العام الماضي ، والواحدة ... ثم خمسة أحجار متاع ضيفنا أحمد القاطن في بلدة كور[33] تصل بيد عبنا بيد ، ثم أربعة أحجار متاع نقا خادمتنا ، تصل بيد مكتوب

عليها اسم نقا ، ثم ثمانية أحجار متاع ابنتي صحيح ، ثم اثنى عشر أحجار تصل بيد الإمام ، فعن متاع حاولت لمتاع ، ثم أربعة أحجار متاع تان تان[34] بنت هوى تصل بيد مما زوجتنا ، ثم سبعون حجر متاع بيد ، ثم حجرتان[35] مع فندمكوا ابناتي معه[36] ليشتري احدهما بالملاحف[37] ، والأخرى بما ينفعني .

يكشف نص الوثيقة السابقة عن متاجرة لأحد تجار تنمبكتو مع تاجرين من غدامس وهما الحاج محمد أحمد ومحمد مغبور بمادة السكر والذي كان على هيئة قوالب تميل إلى السمراء ويطلق عليه عندهم بالأحجار ، وتوزيع هذه الأحجار فيما بينهم كلاً حسب ما هو مصرح به بالوثيقة باسمه ونصيبه ، ولم ينسى في ذلك الاولاد والزوجة والخدم والضيوف والإمام ، أما الملاحف التي ذكرت في هذه الوثيقة فالمقصود بها الزي المحلي الذي تلبسه النساء في المناطق الصحراوية مثل تنبكتو وجني وأقدز وغيرها .

وبالتمعن اكثر في نص الوثيقة السابقة للتاجر التنبكتي إلى تاجرين من غدامس يتضح لنا عدة أمور منها : أن اللغة التي كتبت بها هي اللغة العربية مع استخدام لبعض المصطلحات الأفريقية التي سببت في غموض المفهوم في الكثير من المناسبات . أن محمد مغبور وهو تاجر غدامسي ، امتهن جل أهله حرفة التجارة في مدينة تنبكتو منذ القرن التاسع الهجري \ الخامس عشر الميلادي ، وان لهم دار في حي الغدامسية بتنبكتو وتعرف إلى يومنا هذا بدار عائلة مغبور ، ويقال أنهم أول من قام ببناء حي الغدامسية هناك ، ولديهم عائلة في مدينة غدامس تعرف إلى يومنا هذا بعائلة مغبور ، وهذا دلالة على قوة التواصل والتقارب والتصاهر والانصهار فيما بين سكان المدينتين – غدامس وتمبكتو – ، وكذلك ذكر أنواع البضائع المتمثلة في الأحجار ، فضلاً عن الأوزان والأحمال للأمتعة التي كانت سائدة ، وأخيراً يتبين من هذه العملية التجارية تحديد قيمة الأحجار للأشخاص المذكورين في الوثيقة كلاً حسب حصته واسمه مرفق بالوثيقة .

وفي مكتبة آل البخاري طائفة صغيرة من المراسلات التجارية والعلمية والشخصية لها دلالاتها وأهميتها لما فيها من معلومات وأحداث ، وما توضحه من علاقات بين غدامس وتمبكتو ، ثما تعرضه فيها من أنواع البضائع المتبادلة ، وصيغ التوثيق .

وهذه احدى هذه الوثائق نعرضها في دراستنا هذه ، والتي تبين جوانب من الصلات التجارية المتينة التي كانت سائدة فترة الدراسة ، وهي رسالة من أبوبكر جنحي الشريف من غدامس إلى انجي غلام عيسى في تنبكت تحت رقم " 10331 " بمكتبة أحمد بابا التمبكتي :

النص :"

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده فإنه من المكرم والفاضل مولاي أبوبكر جنجي الشريف إلى الأخ المكرم والحبيب انجي غلام عيسى حميد الغدامسي ألف سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى جميع الأهل كافة صغيراً وكبيراً أما بعد فموجبه إليك اعلم بأني اطلب منك أن تكن معيناً لهسي في طلب خيار الملح وقضاء حاجته جميعاً وتعجيله إلي عاجلاً بغير ثوان جزاك الله خيراً ثم نبين لك أيضا إذا عزم هسي على السفر إلينا فاجعل معه قوامك أميناً الذي يقبض لك دينك الذي بقى لك عندي ومكن في يده براءتي وليأتيني به معه وأن لم يأتي معه لم ادفع له الدين قط والبراءة أشد علي من الدين ثم اعلم أن الشقة التي اشتريت منك أن كان عندك مثل ذلك تطلبه و ألا فاسئل لي عثمان أن كان عنده يشتريه وما حملني على سؤالكم إلا أني لم أحب أن اشتريه من غيركم لولا هو في هنا شقة كثير ونسلم على هسي ونبين لئن أن لا يربط اسمه قط وان وجد خيار الملح في التبديل فليفعل ذلك ومطلوب منه التعجيل ، كاتبه أحمد سالم يسلم عليك فانه ونهاية وعلي عثمان بن محمد غاية"[38] .

وإذا كان لنا من إضافة فهي أن هذه الوثيقة التي بين أيدينا تعزز العلاقات التجارية وتبادل السلع فيما بين تجار غدامس وتنبكتو ، وتعد دليل واضح على انتعاش تلك الحركة في القرن الخامس عشر ما بين تجار المدينتين .

تطرقت هذه الوثيقة إلى الصلات التي كانت تربط غدامس بتنمكتو ، موضحة لنا الاسلوب الرائع الذي كان سائدا فيما بين التجار وبداية كتابة الرسائل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا بدوره ساعد كثيرا في تسهيل عملية التبادل التجاري بين غدامس وتمبكتو كمدينتين مختلفتين في الإنتاج .

أن الوثيقة المخطوطة وجدت في تنبكتو دليل على صلة كاتبها بهذه البلاد .كذلك وضحت هذه الوثيقة التجارية تجارة الملح التي كانت سائدة والتعامل بالديون فيما بين التجار في المدينتين .

الخاتمة

في نهاية هذا السرد الموجز عن الوثائق والمخطوطات الغدامسية الليبية والعربية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي بمالي والذي لا ندعي فيه الكمال يمكن ذكر النتائج التالية التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة:

1- الوثائق و المخطوطات الموجودة بمكتبة احمد بابا التمبكتي ترجع إلى القرن السابع للهجرة

، وبهذا تعتبر من الكنوز الثمينة بالمكتبة .

2- شخصية احمد بابا تعتبر من الشخصيات العلمية الفذة والذي ساهم في إرساء جذور الحضارة الإسلامية في منطقة السودان الغربي .

3- وجود الوثائق والمخطوطات الليبية بمكتبة أحمد بابا التمبكتي دلالة على التواصل الاقتصادي والتجاري الذي كان سائدا في تلك الفترة ما بين تجار مدينة غدامس وتمبكتو .

4- تعرض أغلب المخطوطات والوثائق للتلف والسرقة والنهب من قبل الاوروبيين ، والذين يحاولون شراء الدمم دون رادع ونقلها إلى دولهم .

5- تفيد هذه الدراسة أن غدامس بموقعها الذي تتمتع به قد أهلها باكراً أن يكون لها دور في تقوية الروابط التجارية بينها وبين تجار مدينة تمبكتو ، وذلك لعدم وجود الفواصل الطبيعية كالمستنقعات أو الجبال بينها وبين تمبكتو ، فالصحراء لم تكن حاجزاً بينهما ابداً .

6- برزت مدينة غدامس كمدينة اقتصادية هامة في ليبيا ، حيث أنها تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي هام ، مكنها من أن تقوم بدور مميز في تجارة القوافل ونقل البضائع وتأمينها .

ولذلك نأمل من الدولة الليبية والدول العربية والإسلامية العمل على :

1- على الدولة العربية والإسلامية دعم مكتبة أحمد بابا التمبكتي والاهتمام بها والمحافظة عليها والعمل على تصنيفها وتحقيقها .

2- ضرورة القراءة العميقة لتاريخ العلاقات التجارية بين غدامس وتنمكتو ، ولذلك فهي بحاجة للمزيد من البحوث والدراسات لمعرفة تاريخ العلاقات التجارية بينهما .

3- أن أغلب الدراسات أغفلت الجانب الاقتصادي وكان تركيزها على الجوانب السياسية والاجتماعية ، وعليه يوصي الباحث المهتمين بدراسة هذه الرقعة الجغرافية أن يولوا هذه المنطقة جانباً كبيراً من اهتماماتهم ، وذلك للكشف عن الكثير من الوثائق والمخطوطات التي تغطي العديد من الثغرات في هذا الصدد ، وذلك لما للجوانب الاقتصادية من أهمية في حياة الشعوب .

4- تزويد مكتبة أحمد بابا للمخطوطات والوثائق بالمعلومات وآلات التقنية الحديثة في مجال العناية بالوثائق والمخطوطات .

5- العمل على التصدي للباحثين الغربيين الذين يقومون بسرقة وشراء المخطوطات الثمينة من مكتبة أحمد بابا بكل الوسائل المتاحة .

6- مساعدة الدول العربية والإسلامية في عملية الترقيم للمخطوطات وإعادتها إلى شكل أقرب إلى أصلها بدون أي إضافات بطريقة فنية لا تؤثر على محتواها العلمي .

7- تشجيع الطلاب والباحثين الليبيين على التعرف على هذه الكنوز الليبية المدفونة وذلك عن طريق ترجمتها وتحقيقها ومعرفة مصطلحاتها .

8- تنظيم لقاءات وندوات حول المخطوط العربي في دول أفريقيا عامة وفي مالي ومكتبة أحمد بابا التمبكتي خاصة .

9- إصدار النشرات العلمية المتخصصة في أخبار المخطوطات العربية في أفريقيا فيما وراء الصحراء .

وأخيراً نقر بأن الظروف الراهنة تلزمنا بكشف النقاب عن هذا التراث الليبي والعربي المخطوط في جمهورية مالي بمكتبة أحمد بابا التمبكتي ، دراسة و تحليلاً، لاستجلاء حقائقه ، حتى نستأنس بها في مكتباتنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلمية . والله ولي التوفيق

نماذج من الوثائق الغدامسية المستخدمة في البحث

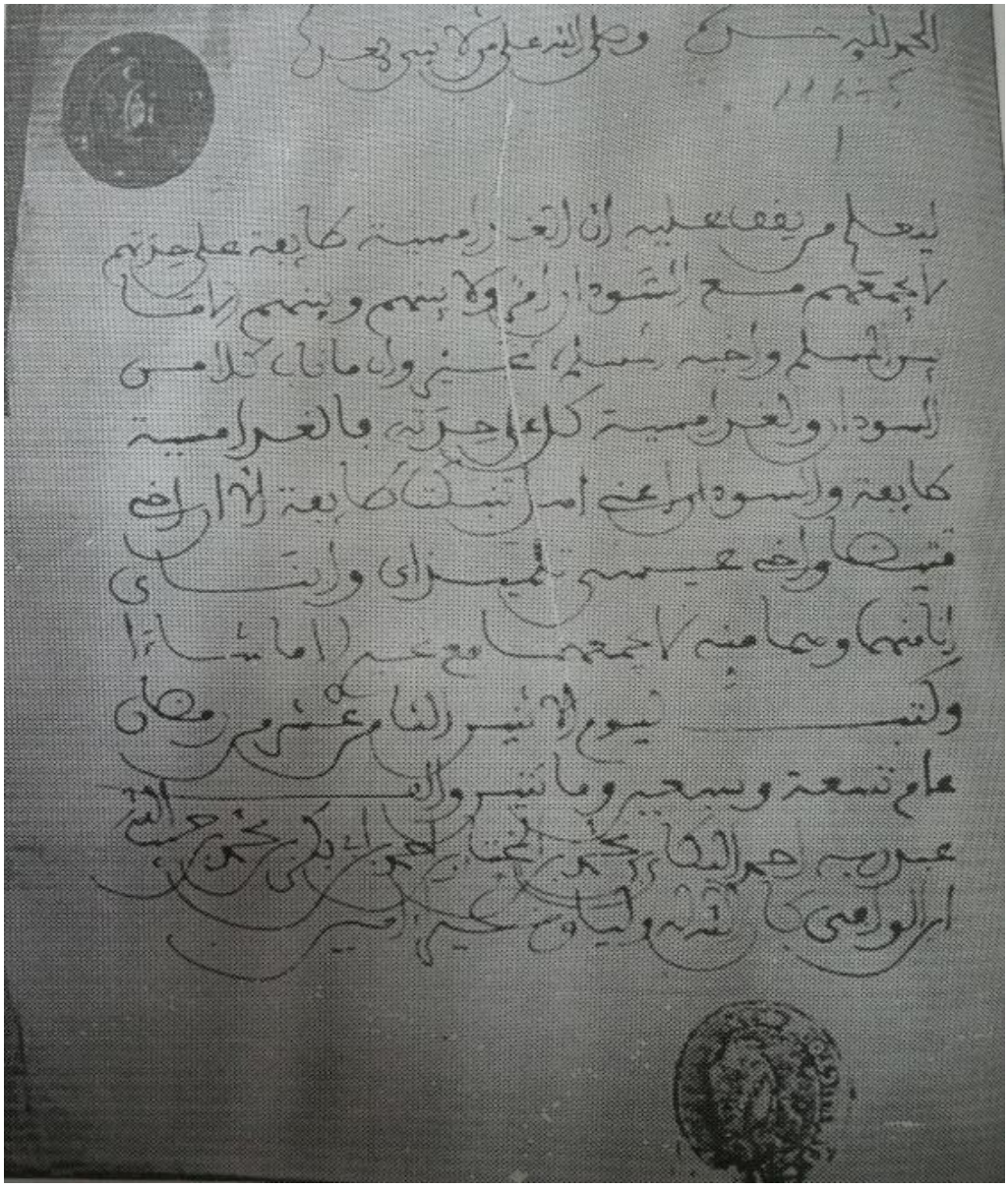

وثيقة صادرة من أمير المؤمنين الشيخ سيدا احمد البكاي بن الشيخ محمد الكنتي في التساوي بين الغدامسيين وأهل تنبكت تحت رقم – 1646 مكتبة احمد بابا التمبكتي . المصدر ، اصلاح البخاري

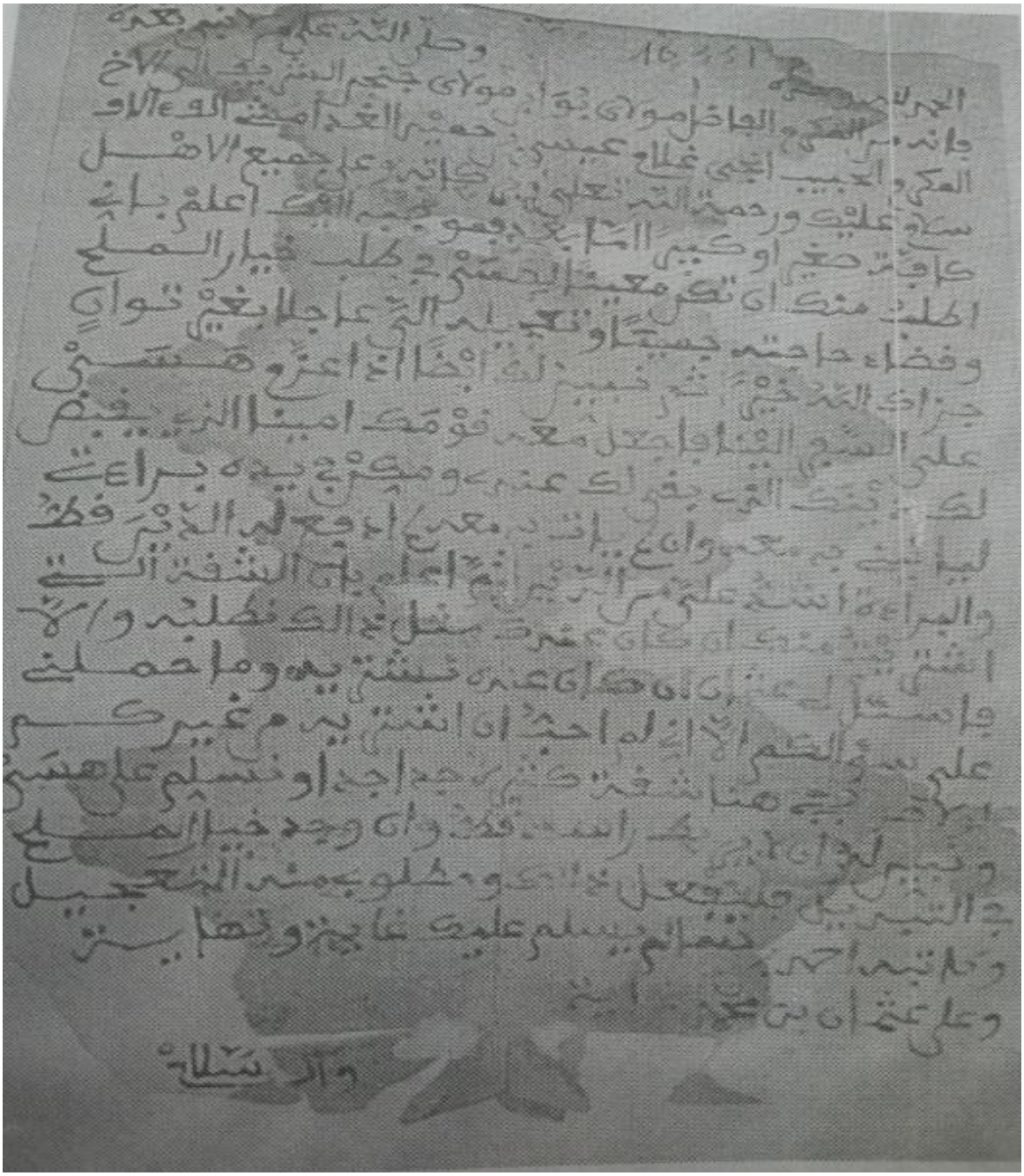

رسالة من مولاي جنجي الشريف إلي انجي غلام عيسي الغدامسي تحت رقم 10331 ـ مكتبة احمد بابا التنبكتي، المصدر السابق نفسه.

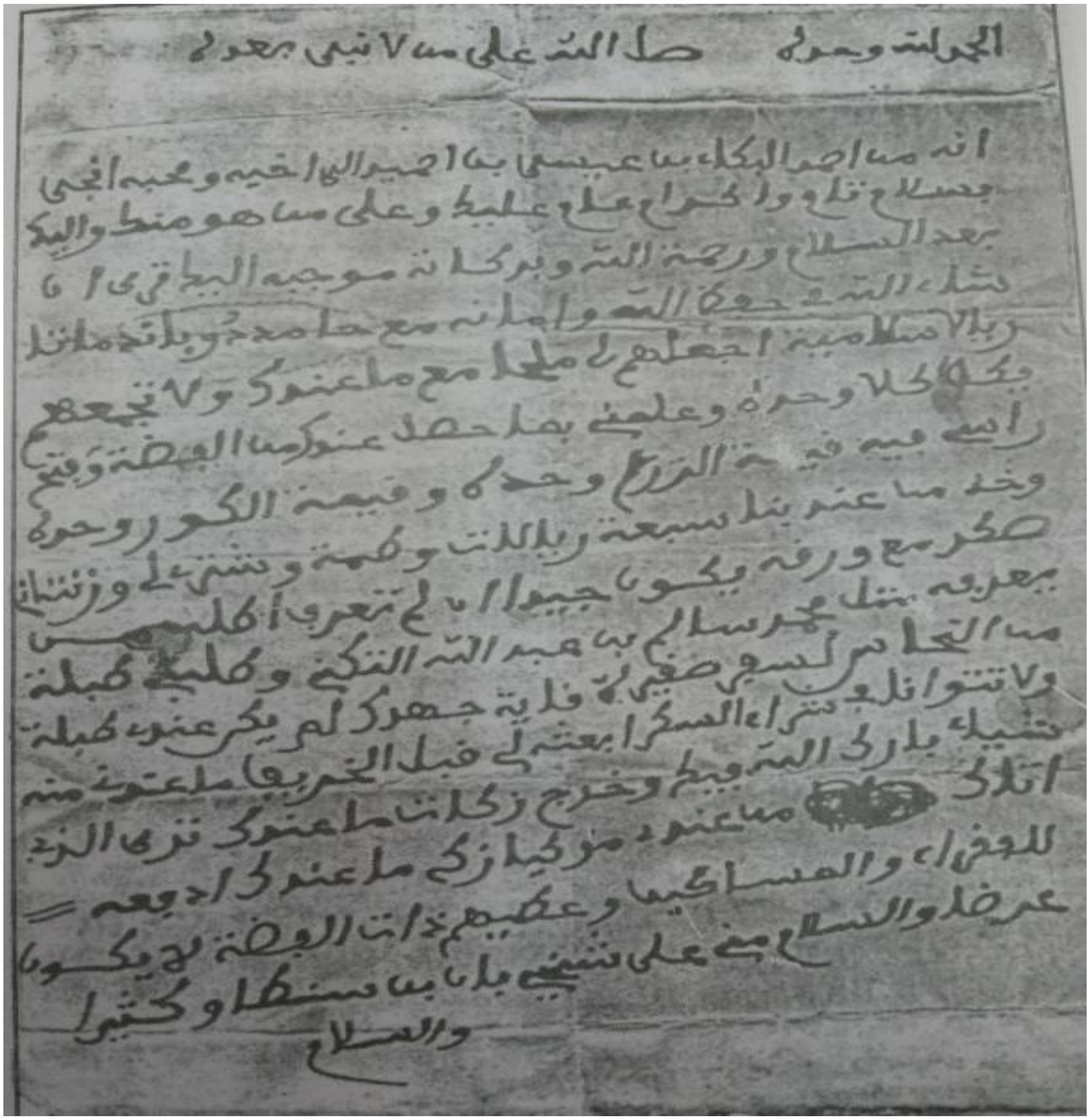
الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده

انه من احمد البكاي بن عيسى بن احمد الى اخيه ومحبه انجي

رسالة من احمد البكاي بن عيسي بن احمد الغدامسي إلي انجي غلام عيسيي الغدامسي – تحت رقم 8276 . مكتبة احمد بابا التنبكتي . المصدر السابق نفسه.

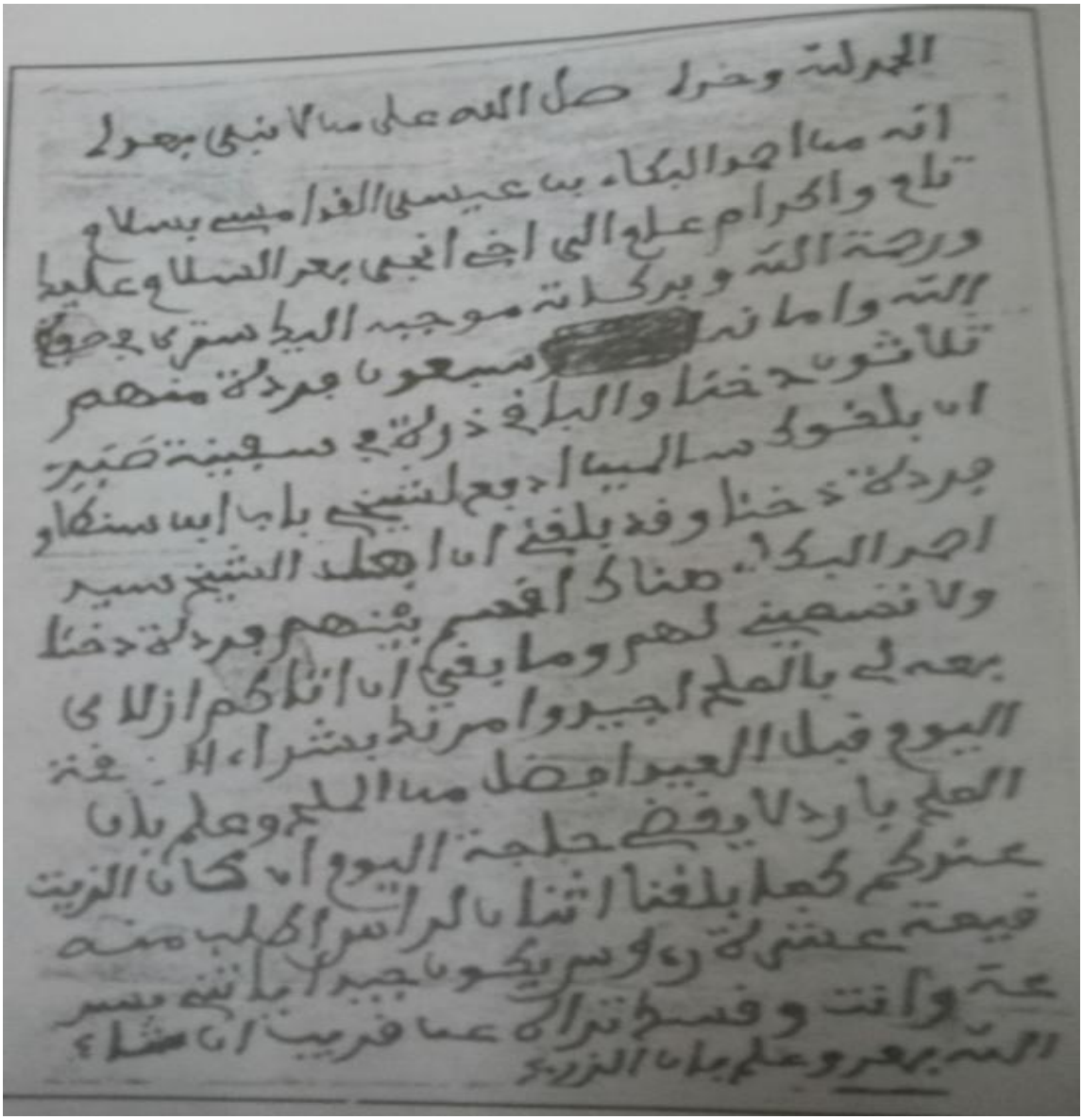

رسالة من احمد البكاي بن عيسي بن حميد الغدامسي إلي انجي غلام عيسي الغدامسي – تحت رقم 10381 . مكتبة احمد بابا التنبكتي. المصدر السابق نفسه.

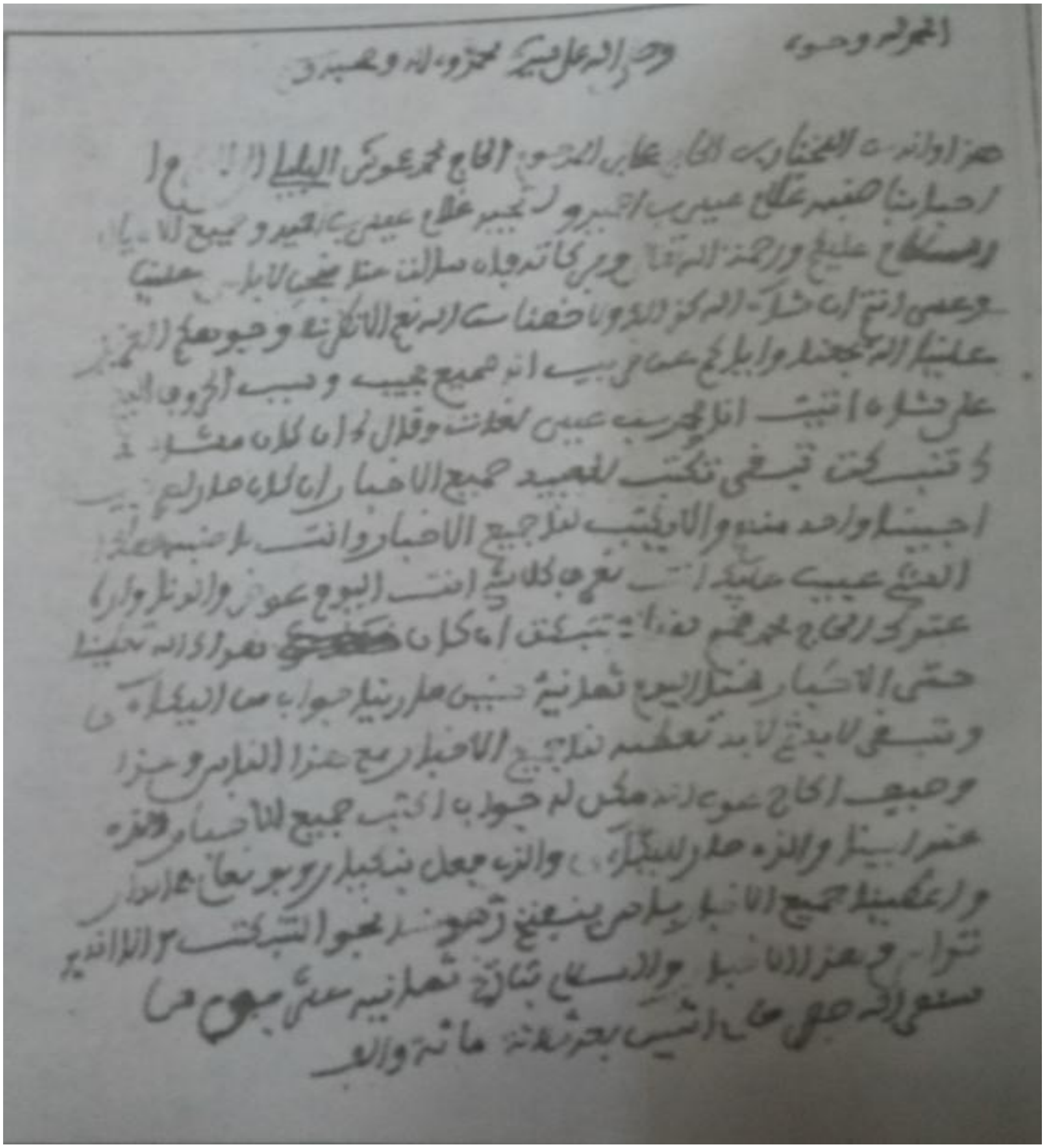

رسالة من المختار الحاج علي بن الحاج محمد عموش البليلي إلي عيسي حميد تحت رقم 8246 . مكتبة احمد بابا التنبكتي.المصدر السابق نفسه.

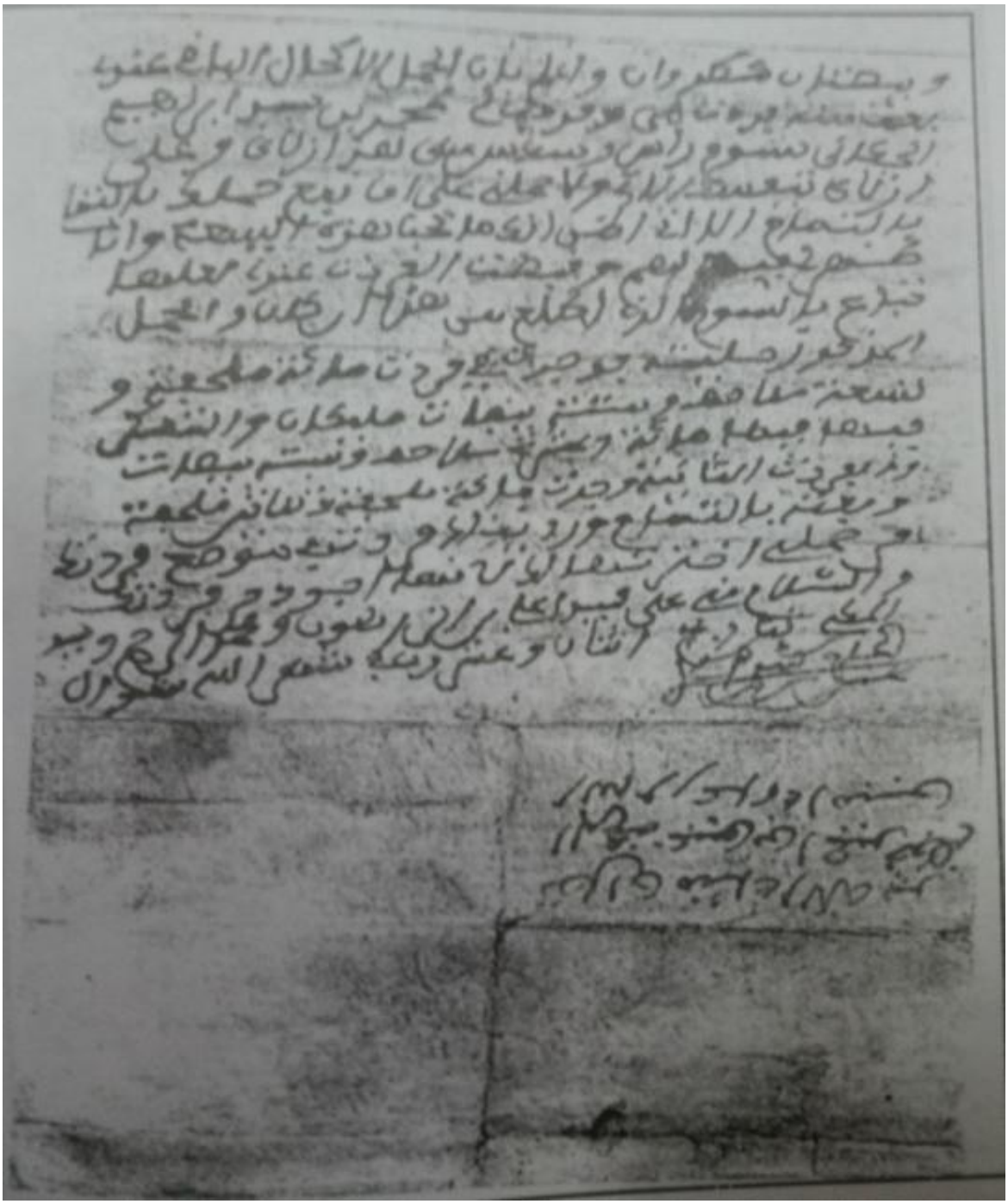

رسالة من البركة سيد مولاي البخاري بن مولاي عبد الرحمن إلي عيسي بن احميد الغدامسي تحت رقم 8238 .

مكتبة احمد بابا التنبكتي.المصدر **مركز البحوث والدراسات الأفريقية.**

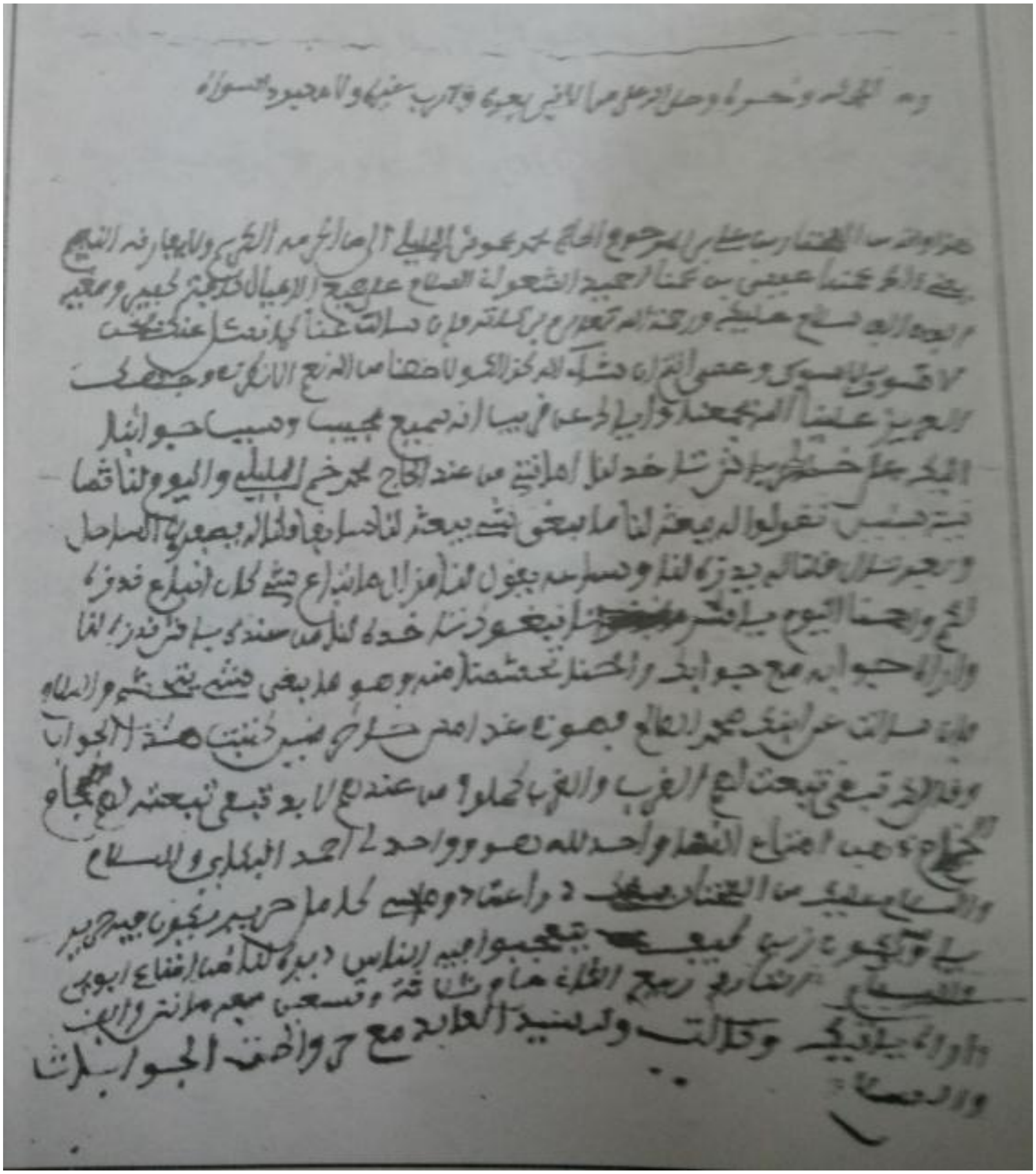

رسالة من المختار علي بن الحاج محمد عموش البليلي إلي عيسي بن احميد الغدامسي تحت رقم 8239 . مكتبة احمد بابا التنبكتي. المصدر السابق نفسه.

رسالة من محمد بن لعبيد بن بالحاج التواتي إلي عيسي بن احميد الغدامسي تحت رقم 8236 . مكتبة احمد بابا التنبكتي.المصدر ، اصلاح البخاري ، مصدر سابق.

الحواشى :

[1] تقع مدينة تمبكتو شمال شرق العاصمة المالية باماكو ، وتبعد عنها بحوالي 1300 كم على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى يعرف بمنحى نهر النيجر، وقد تأسست في القرن الخامس الهجري على أيدي قبائل مقشرن وقد وصفها المختار بن حمد بقوله " إنها قاعدة السودان الضاربة في البحر والبر الجامعة بين السود والحمر ..." وقد مدحها عبد الرحمن السعدي بقوله : ((لم يسجد على أديمها قط لغير الرحمن)) . مثلث تمبكتو ملتقى الحضارة العربية الأفريقية وكانت بها مكتبة أحمد بابا التمبكتي وجامعة سنكري التي كانت تضاهي مثيلاتها جامعة الزيتونة والقرويين والأزهر للمزيد انظر: أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية ، دراسة وتقديم ، الهادي المبروك الدالي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس 2001م ، ص ص ، 64 – 65 ، وكذلك انظر: المختارين أحمد بن المختار ، رسالة إلى أمير المؤمنين الشيخ أحمد بن أحمد مخطوط بمكتبة الهادي الدالي ، ورقة 2 .

[2] الحاج أحمد جد أحمد بابا التنبكتي ،كان على درجة عالية من الخلق ، فاضلاً ، صالحاً ، محافظا على السنة ملازما لقراءة مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كان فقيها ، نحوياً ، لغويا ، عروضيا ، درس العلم على جده لأمه وخاله الفقيه مختار ، أدى فريضة الحج عام 890 هـ \ 1484 م ، واجتمع بالسيوطي وخالد الازهري ، ثم رجع إلى بلاده ، توفى ليلة الجمعة من ربيع الثاني ، عام 942 هـ \ 1535 م . للمزيد انظر : أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية ، في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتقديم وتحقيق الهادي المبروك الدالي ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 2001 ، ص 35 .

[3] جميلة امحمد التكيتك ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الآسكيا محمد الكبير 1493هـ – 1528م ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1998م ، ص 188 .

[4] الاسكيا الحاج محمد سوداني الأصل من قبيلة سراكوليا هاجر أجداده من الجنوب الموريتاني الحالي حينما اضطربت الأمور في مملكة غانا الوثنية عند نهاية القرن الحادي عشر الميلادي واستقروا حول نهر النيجر الأوسط حيث تصاهروا وانصهروا في قبيلة سنغاي . للمزيد انظر : محمد عبدالكريم المغيلي ، أسئلة الأسقياء وأجوبة المغيلي ، تقديم وتحقيق عبدالقادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ،1974 م ، ص 10 .

[5] جميلة امحمد التكيتك مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير ، مرجع سابق ،ص 189 .

[6] المرجع السابق ، ص 189.

[7] شبكة المعلومات الإلكترونية ، موقع غوغل ، البحث في مادة أحمد بابا التمبكتي .

[8] Timbuktu libraries, Journee du livre consacree au manuserits de Tombouctou , p. 1.

[9] احمد بابا التمبكتي ، مصدر سابق ، ص11.

[10] عبدالرحمن السعدي ، تاريخ السودان ، طبعة هوداسي ، انجي ، 1989م ،ص35.

[11] مراكش بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة، أعظم مدينة بالمغرب وأجملها وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين الملقب بأمير المسلمين، في حدود عام 470هـ 1077م، وكان موضع مراكش قبل ذلك يشكل خطورة على

القوافل التجارية ، فكان إذا انتهت القوافل إليها قالوا : مراكش ومعناه باللهجة المحلية : أسرع المشي وقد أرسلت مراكش أفواجاً من الدعاة الفاتحين إلى أفريقيا ولعب هؤلاء دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية في ربوع أفريقيا فيما وراء الصحراء. للمزيد انظر: شهاب الذين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد 8، دار صادر، بيروت، 1979 م ، ص 7.

[12] وصفها الحسن الوزان بقوله : مكناس مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة قسمت باسمها وتبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثون ميلاً ... تقع مكناس في سهل بديع جداً ويمر بالقرب منها نهر صغير... تنتج ثماراً ممتازة لاسيما السفرجل والرمان الغريب حجماً وجودة إذ لا نواة له ، للمزيد انظر : الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، مصدر سابق ، ص 214 .

[13] فاس مدينة مغربية يرجع تأسيسها إلى عام 191هـ – 806م ، وكانت من المدن العلمية ،احتضن رحابها جامعة القرويين التي تعتبر منارة من منارات العلم في العالم ،أدت دوراً رائداً في نشر الإسلام والثقافة العربية بمنطقة أفريقيا فيما وراء الصحراء فكانت المناهج المغربية تعج بها مثل مؤلفات القاضي عياض في جامعة سنكري والمقري ، وعبد القادر الفاسي، وكانت جامعة القرويين ترسل وفوداً من علمائها في مختلف فروع المعرفة ، للمزيد انظر: محمد بن السالك التنواجيري ، فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول وأصول الانتساب ، مخطوط بمكتبة الهادي الدالي ، ورقة رقم 20، وكذلك على الجرناتي، خبر زهرة في بناء مدينة فاس " المطبعة الملكية ، الرباط ، 1967 م، ص 19 .

[14] احمد بابا التمبكتي مصدر سابق ، ص 15

[15] مخطوط مركز أحمد بابا تمبكتو ، تحت رقم 736 .

[16] ألفه في مراكش عام 1005 هـ1596م .

[17] ألفه في تمبكتو عام 1024 – 1610م ، مخطوط بمركز أحمد بابا التمبكتي تحت رقم 6409م .

[18] أحمد بلعراف التكني ، إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء و أهل شنقيط ، تحقيق الهادي المبروك الدالي ، الشركة العامة للورق والطباعة ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، 2001م ، ص88.

[19] أحمد بلعراف التكني ، إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء و أهل شنقيط ، المصدر نفسه ، ص 89.

[20] مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم "3692".

[21] إصلاح محمد البخاري ، مرجع سابق ، ص ص 213 ، 214، 215 .

[22] تقع مدينة غدامس إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس ، وقد ارتبطت بعلاقات تجارية بعدد من المدن السودانية منها تمبكتو ، وجاو ، وجني ، واقدز ، فصارت محطة في بداية الطريق عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى ، وكان حي الغدامسية في مدينة تمبكتو من أرقى الأحياء بالمدينة وقال عنها موسى السعدي :" إنها بلد بالمغرب ضاربة في بلاد السودان " ، للمزيد انظر : زهور البساتين ، مخطوط بمكتبة الهادي المبروك الدالي ، ورقة رقم 35 ، اطلعنا عليه .

[23] مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور الهادي المبروك الدالي ، بمدينة طرابلس ، بتاريخ 2–10–2010م.

[24] إصلاح محمد البخاري ، المرجع السابق من ص 249 ، إلى300 .

[25] عامر بن علي الشماقي ، كتاب الإيضاح ، مطبعة الوطن العربي ، بيروت ، 1970 ، ص 76.

[26] احمد التمبكتي ، مخطوطة ، أهمية التاريخ ، رقم 1430 ، تمبكتو ، مركز أحمد بابا ، ورقة 4 – 20 .

[27] السر أحمد سيد العراقي ،"انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقيا عبر التاريخ " ، دراسات أفريقية ، الخرطوم ،1985م ، ص : 102–103.

[28] محمد بن عبدالله اللواتي ويكنى بأبي عبدالله " ابن بطوطة " ت 779 هـ رحلة ابن بطوطة : (تحفة النظار في غرائب الأسفار) ، تعليق وتقديم علي المنتصر الكتاني ، دار صعب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج2 ، 1979 ، ص 709 .

[29] جمال زكريا ،"الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية "، العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، 1977م ، ص45.

[30] مقابلة أجراها الباحث مع الدكتور الهادي المبروك الدالي ، مصدر سابق .

[31] اسم يطلق بالحسانية على الأحمال والأمتعة التي تحمل على الابل من بضائع وامتعة .

[32] كلمة تعني : تبين أنه .

[33] كور بلد ة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة تنبكت ، تبعد عنها حوالي 600كم ، وتعتبر من أقرب المحطات التي كانت تستريح فيها القوافل المتجه إلى تنبكت.

[34] أهل الصحراء لهم رموز وكلمات معينة في رسائلهم ، لربما ترمز إلى شيء معين .

[35] يقصد بها السكر .

[36] يعني : الذي بناتي معه .

[37] الملاحف تلك الأزياء التي ترتديها النسوة في المناطق الصحراوية .

[38] اصلاح محمد البخاري ، مرجع سابق ، ص ص 135 – 136.

تقرير عن أعمال الحصر والتوثيق للنقوش الكتابية بمدينة لبده الكبرى لكلية الآثار السياحة – جامعة المرقب للعام الجامعي 2016- 2017 م

مجموعة من أعضاء هيأة التدريس والمعيدين
بكلية الآثار والسياحة – جامعة المرقب

قام فريق كلية الآثار والسياحة بجامعة المرقب الخمس بأعمال الحصر والتوثيق للنقوش الكتابية بمدينة لبده الكبرى الأثرية، حيث ضم هذا الفريق طلاب السنة الرابعة بالكلية بجميع الاقسام وكذلك المعيدين ومشرفين من اعضاء هيئة التدريس بالكلية، وبقيادة رئيس قسم الآثار الكلاسيكية بالكلية.

أسماء المشرفين:

م	الاســم	الصفة
1-	د. مصطفى عثمان الحوات (رئيس الحفرية)	رئيســاً
2-	أ.عبد الحميد ناجي مركوب (نائب رئيس الحفرية 1)	نائب الأول
3-	أ.الصادق محمد الدزيري (نائب رئيس الحفرية 2)	نائب الثاني
4-	د. محمد عبد الله القطوس	عضو
5-	د.جمال أحمد الموير	عضو
6-	د.محمد علي الدراوي	عضو
7-	د.حميدة محمد أكتيبي	عضو
8-	د.حنان سالم زريق	عضو
9-	د. عمران أحمد الشريف	عضو
10-	أ.محمد مصطفي الخازمي	عضو

11-	أ.عباس رجب عبد الرحيم	عضو
12-	أ.فتحية سليمان الصديق	عضو
13-	أ. معمر محمد عبد الرحيم	عضو
14-	أ.حنان مفتاح الغول	عضو
15-	أ.مريم علي الشريف	عضو
16-	أ.أم العز سعيد الشافعي	عضو
17-	أ.ماجد عبد الله أبو خطوة	عضو
18-	أ.عبد العزيز الديراوي	عضو
19-	رمضان معمر روبه	عضو
20-	صالح عبد السلام الملتوي	عضو
21-	أكرم مسعود بشينه	عضو
22-	مصطفى إدريس الربيقي	عضو

ويهدف هذا العمل إلى تدريب الطلاب على اعمال توثيق وتسجيل النقوش الاثرية ورصد الاضرار التي تتعرض لها ومحاولة وضع اقتراحات لحمايتها وحفظها، اذ تعد النقوش الأثرية من أهم المصادر التاريخية بوجه عام، لأن أكثر ما وصل إلينا عن الحضارات القديمة من كتب المؤرخين لا يكفي لاستقراء صورة واضحة عن الماضي، وذلك أما لندرتها أو لتناقض ما جاء فيها أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير، وتعتبر النقوش ايضا سجلاً تاريخياً حياً لتلك الحضارات القديمة التي كشفت لنا الكثير من الحقائق التاريخية الثابتة عن حياة تلك الشعوب وثقافاتها القديمة.

نظراً للأعداد الكبيرة للنقوش الكتابية بمدينة لبده الكبرى وأهميتها وبعد التشاور مع مراقبة آثار لبده بالخصوص جاء هذا العمل التوثيقي، لتجسيده ميدانيا في حصر وتوثيق هذه النقوش، وقد تم تقسيم الطلبة المشاركين بهذا العمل إلى أربع مجموعات، وكانت كل مجموعة بإشراف ثلاثة أعضاء هيئة تدريس ومعيد.

بدأت أعمال الحصر والتسجيل يوم السبت الموافق 2017/4/7 في حدود الساعة 8:30 صباحا، حيث قام رئيس فريق التوثيق والتسجيل وأعضاء هيئة التدريس بالكلية بإعطاء شرح مفصل

عن كيفية تعبئة النموذج الذي جهزه لذلك (مرفق نسخة من النموذج) كطريقة ترقيم نموذج خاص لكل نقش، وطريقة تحديد موقع النقش سواء بواسطة GPS، وأيضاً اسم المبنى الذي يتواجد به، وأخذ الأبعاد، وكيفية الوصف المتمثلة في نوعية ولون حجارة النقش، واللغة المكتوب بها، وحصر عدد الأسطر وعدد الأحرف وأحجامها، ووصف النقش هل مكتمل او غير مكتمل، وكذلك توضيح النقش مرمم او غير مرمم، و ما طرأ على النقش من أضرار بشرية أو طبيعية، وإبراز آراء واقتراحات أعضاء المجموعة لحفظ او صيانة النقش، وكذلك رسم النقش على ورق شفاف، وتصويره بوضوح، بحيث يكون كل نموذج مرقم وملحق به رسم وصورة للنقش.

قد قام كل فريق بتعبئة البيانات الخاصة بكل نقش وفق ما هو بالنموذج، وتم توزيع مجموعات الفريق على بعض المباني والمعالم بمدينة لبده وهي:

- شارع الكاردو بالمنطقة الممتدة من قوس سبتيميوس سيفيروس الى ما بعد البوابة البيزنطية وبداية منطقة الميدان القديم، بما في ذلك (بجوار البوابة البيزنطية – بجوار قوس تراجان – بجوار قوس طيبيريوس)
- الميدان القديم (كنيسة الميدان القديم، معبد هرقل، معبد روما وأغسطس، المجلس البلدي "الكوريا")
- معبد فلافيو
- مبنى الكليكيديكوم
- السوق البونيقي
- مبعد الاباطرة المؤلهين
- المسرح
- وأخيرا نقشين بإحدى حجرات حمامات هادريان.

وقد لاحظ فريق التوثيق والحصر اختلاف النقوش بمدينة لبده من حيث :

- شكل القطعة الحجرية الذي نقشت عليه الكتابات، إذ أن بعض النقوش كانت على كتل حجرية مربعة او مستطيلة، او على هيئة إفريز، و أحياناً على هيئة قاعدة، و أحياناً أخرى على هيئة لوحة حجرية، ووجدت ايضا بعض النقوش على اجزاء من اعمدة او عوارض.
- مكان وجود النقش، حيث ان بعض النقوش كانت بالأرضيات، ونقوش اخرى كانت على كتل موضوعة بمنتصف المبنى او احد زواياه، ونقوش اخرى على أفاريز علوية لبعض المباني، ووجدت أيضاً نقوش على الحجارة التي بجدران بعض المباني.

- نوع ولون حجارة النقوش، حيث اختلف نوع وتنوع حجر النقوش من رخام الى الحجر الجيري والكلسي والرملي، وكذلك فإن ألوان هذه الحجارة كانت تختلف باختلاف نوع الحجر ومكوناته من ابيض الى رمادي فاتح ومتوسط وغامق الى بني فاتح ومتوسط وغامق .
- لغة الكتابة، فقد تعددت لغة كتابة النقوش من الاغريقية الى البونيقية الى اللاتينية، كما وجدت ايضا نقوش كتابية نصية ونقوش كتابية مصحوبة برسم.
- نقوش مرممة ونقوش غير مرممة، فبعض النقوش تم اجراء عمليات ترميم وصيانة لها في فترات مختلفة، والبعض الاخر لم يسبق ترميمها .
- نقوش مكتملة ونقوش غير مكتملة، إذ ان بعض النقوش وجدت عبارة عن اجزاء متجاورة يكمل بعضها البعض، سواء كانت تمثل كأجزاء نقش واحد أو أكثر من نقش، وبعضها الاخر كان ينقصه جزء من نقش او بعض الحروف او بعض الاسطر، أو ان الكتلة التي عليها النقش جزء منها مفقود.
- نقوش في مكانها الاصلي ونقوش ليست بمكانها الاصلي، إذ أن عمليات التنقيب والترميم والتنظيف التي مرت بمدينة لبده جعلت بعض النقوش تنقل من مكانها لمكان مجاور او قريب من موقع اكتشاف النقش.
- عوامل تلف طبيعية وبشرية تهدد بعض النقوش، وهذا الامر غاية في الاهمية، لان بعض النقوش تحتاج عمليات ترميم مستعجلة بسبب نمو النباتات بشقوقها، او وجودها في اماكن تجمع المياه، او وجود لون اسود يغطي النقش بسبب العامل الطبيعي، او لان بعض زوار مدينة لبده يصعدون عليها أو يمشون فوقها بسبب قلة الوعي بأهميتها.

وقد بلغ مجموع النقوش التي وقع حصرها وتسجيلها من فريق الكلية حوالي 173 نقش، البعض منها يمثل مجموعة اجزاء لنقش واحد، وقد اختلفت من حيث النقاط التي سبق ذكرها، وتوزعت من حيث مواقع تواجدها في المباني والمعالم التي سبق الإشارة إليها، وانتهى العمل لهذا الموسم على أن يستكمل حصر وتسجيل النقوش الكتابية المتبقية في المدينة في العام الجامعي القادم 2017-2018م.

كلية الآثار والسياحة . جامعة المرقب

المجموعة رقم ( )

أعمال حصر وتوثيق النقوش بمدينة لبده الكبرى. ابريل . 2017م

نموذج تسجيل بيانات نقش ( )

رقم تسجيل النقش				
الـــــموقع				
لغة النقش				
عدد الأسطر				
عدد الحروف				
نقش مصحوب برسم/ غير مصحوب برسم				
نوع الحجر				
لون الحجر				
مقاسات النقش	الطول	العرض	الارتفاع	السمك
حــالــة الـنـقـش				
مكتمل / غير مكتمل				
التوضيح:				
مرمم / غير مرمم				
التوضيح:				
الوصف				
اهم المشاكل ومظاهر التلف التي يتعرض لها النقش				
عمليات الحفظ والترميم والصيانة المقترحة				
أي معلومات أخرى				

كلية الاثار والسياحة . جامعة المرقب

المجموعة رقم (4)

أعمال حصر وتوثيق النقوش بمدينة لبده الكبرى. ابريل . 2017

نموذج تسجيل بيانات نقش (4) بشارع الكاردو

رقم تسجيل النقش	(4)
الـــــموقع	**تقع في الجهة المقابلة لمبني الكالكديوم N 32 38 225** **في الجهة الشرقية لشارع الكاردو E 14 17 482**
لغة النقش	**اللغة اللاتينية**
عدد الأسطر	**سطر واحد واغلبها تتكون من سطرين**
عدد الحروف	**42 حرف**
نقش مصحوب برسم/ غير مصحوب برسم	**غير مصحوب برسم**
نوع الحجر	**حجر جيري**
لون الحجر	**بني غامق**

مقاسات النقش	**الطول**	**العرض**	**الارتفاع**	**السمك**
	157.4م	**204 سم**		

حـالـــة الـنـقـش

مكتمل/ غير مكتمل	**غير مكتمل**
التوضيح: توجد بعض الحروف مفقودة	
مرمم / غير مرمم	**غير مرمم**

الوصف	**هو عبارة عن نقش موجود على افريز مستطيل الشكل يقع في الجهة المقابلة للكلكيديوم .**
اهم المشاكل ومظاهر التلف التي يتعرض لها النقش	**بقع اللونية سوداء وصفراء تأكل عوامل ميكانيكية مناخية وإجمالا طبيعية.**
عمليات الحفظ والترميم والصيانة المقترحة	**يتطلب النقش ان تجري له عمليات تنظيف وصيانة بصفة دوريه للحفاظ عليه لأطول فترة ممكنه؛ او نقله للمتحف أو المخزن.**

النقش (4)

رقم تسجيل النقش	**40**
الـموقع	**اعلى خشية المسرح ، الاحداثيات GPS N 32° 38' 315" E 014° 17' 434"**
لغة النقش	**لاتينية**
عدد الأسطر	**سطر واحد**
عدد الحروف	**17 حرف**
نقش مصحوب برسم/ غير مصحوب برسم	**غير مصحوب برسم**
نوع الحجر	**رخام**
لون الحجر	**أبيض**

مقاسات النقش	**الطول**	**العرض**	**الارتفاع**	**السمك**
	3.37 سم	**70 سم**	**9 متر**	**50 سم**

حـالـــة الـنـقـش	
مكتمل غير مكتمل /	**غير مكتمل**
التوضيح: فقد أجزاء في الناحية الشرقية العليا	
مرمم / غير مرمم	**غير مرمم**
التوضيح:	

الوصف	**عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل محمولة على أعمدة وفي أعلى النقش توجد زخرفة البيضة والسهم .**
اهم المشاكل ومظاهر التلف التي يتعرض لها النقش	**يوجد به تشققات في منتصف العارضة**
عمليات الحفظ والترميم والصيانة المقترحة	**يتوجب تدعيمه وتقويته بأسرع وقت تفاديا لسقوطه.**
أي معلومات أخرى	/

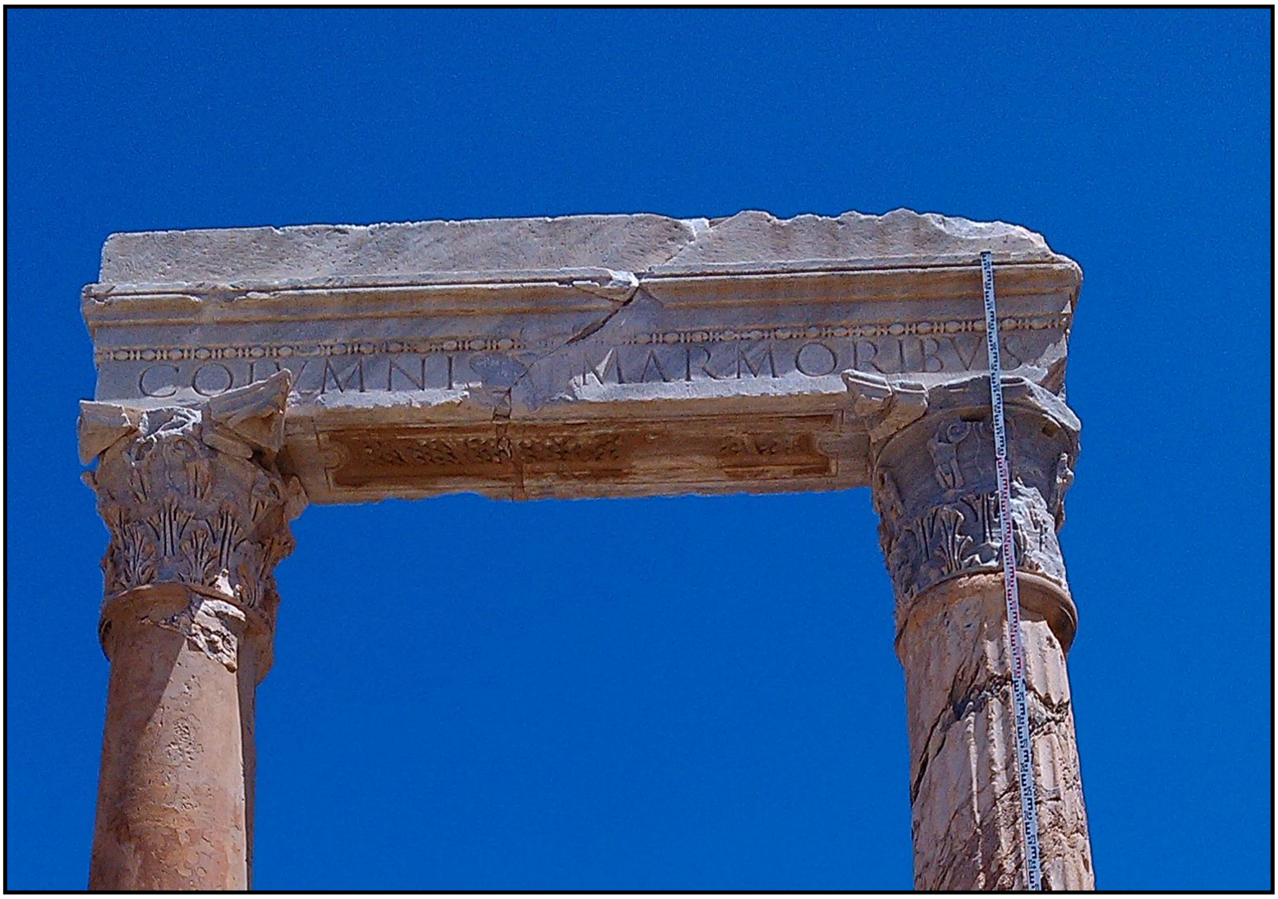

النقش (40)

LEPTIS MAGNA

Issue No. 3

April 2018

LEPTIS MAGNA

Issue No. 2 April 2017